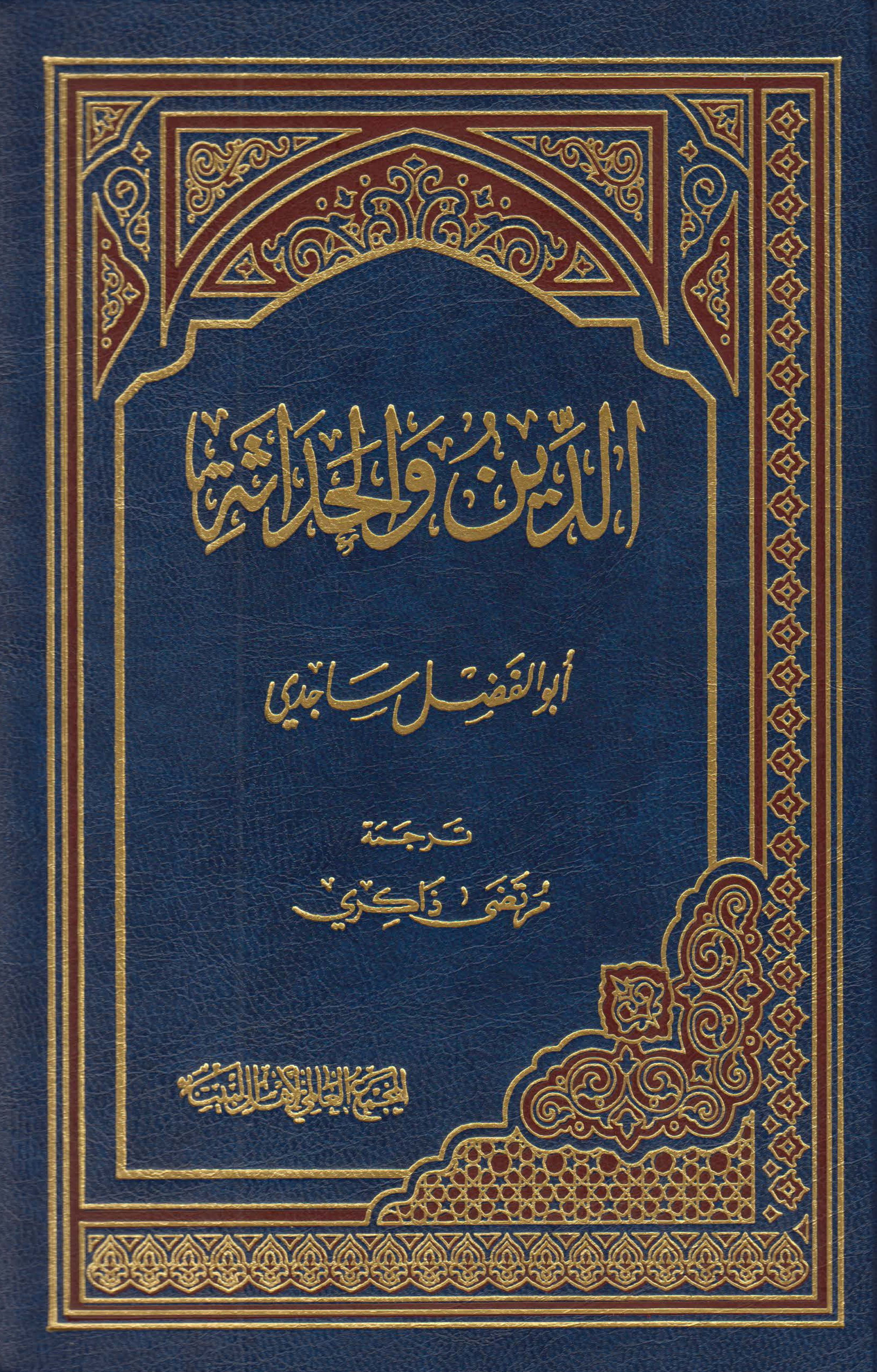

الدين والحداثة
أبو الفضل ساجدي
ترجمة
مرتضى ذاكري
المجمع العالمي لأهل البيت


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

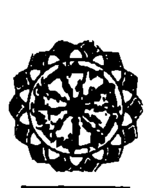
الدين والحداثة

أبو الفضل ساجدي

ترجمة

مرتضى ذاكري

المجمع العالمي لأهل البيت



إسم الكتاب : الدين والحداثة

التأليف: ابوالفضل ساجدي

الإعداد: دائرة الترجمة، المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الترجمة: مرتضى ذاكري

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الثانية

تاريخ النشر: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

العنـوان: بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسنين

ت : ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٨ - ٠٠٩٦١٣٨٢٣٦٢٠

المستودع : حارة حريك - خلف كنيسة مار يوسف - بناية دار الزهراء - ط٢.



قال الله عزّوجلّ:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

(سورة الأحزاب: الآية ٣٣)

تضافرت الأحاديث النبوية الشريفة في المصادر السنيّة والشيعية على نزول هذه الآية المباركة في خصوص الخمسة أصحاب الكساء، وانحصار مصطلح (أهل البيت) بهم، وهم: محمّد وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، راجع على سبيل المثال:

مسند أحمد(٢٤١هـ): ١: ٣٣١، ٤: ١٠٧، ٦: ٢٩٢ و٣٠٤، صحيح مسلم (٢٦١ هـ): ٧: ١٣٠، سنن الترمذي (٢٧٩ هـ): ٥: ٣٦١ وغيرها، السنن الكبرى للنسائي (٣٠٣ هـ): ٥: ١٠٨ و١١٣، الذرية الطاهرة النبوية للدولابي (٣١٠ هـ): ١٠٨، المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ): ٢: ٤١٦، ٣: ١٣٣ و١٤٦ و١٤٧، البرهان للزركشي (٧٩٤ هـ): ١٩٧، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ): ٧: ١٠٤، أصول الكافي للكليني (٣٢٨ هـ): ١: ٢٨٧، الإمامة والتبصرة لابن بابويه (٣٢٩ هـ): ٤٧، ح ٢٩، دعائم الإسلام للمغربي (٣٦٣ هـ): ٣٥ و٣٧، الخصال للصدوق (٣٨١ هـ): ٤٠٣ و٥٥٠، الأمالي للطوسي (٤٦٠ هـ): ح ٤٣٨ و٤٨٢ و٧٨٣.

وكذلك انظر تفسير الآية في: جامع البيان للطبري (٣١٠ هـ) أحكام القرآن للجصاص (٣٧٠ هـ)، أسباب النزول للواحدي (٤٦٨ هـ)، زاد المسير لابن الجوزي (٥٩٧ هـ)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٧١ هـ)، تفسير ابن كثير (٧٧٤ هـ)، تفسير الثعالبي (٨٢٥ هـ) ، الدر المنثور للسيوطي (٩١١ هـ)، فتح القدير للشوكاني (١٢٥٠ هـ)، تفسير العياشي (٣٢٠ هـ)، تفسير القمي (٣٢٩ هـ)، تفسير فرات الكوفي (٣٥٢ هـ) ذيل آية أُولوالأمر، مجمع البيان للطبرسي (٥٦٠ هـ) وكثير من المصادر الأُخرى.

قَالَ رَسُول اللهﷺ

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ الله، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا أَبَداً، وَإِنَّهمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتىّ يرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

(ورد هذا الحديث الشريف المتواتر بصور متعددة في الكثير من المصادر الإسلامية، راجع على سبيل المثال: صحيح مسلم، ج٧، ص١٢٢، سنن الدارمي، ج٢، ص٤٣٢، مسند أحمد، ج٣، ص١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، ج٤، ص٣٦٦، ٣٧١، ج٥، ص ١٨٢، مستدرك الحاكم، ج٣، ص١٠٩، ١٤٨، ٥٣٣).

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنَتْهُ مدرستُهم، وحَفِظَهُ من الضياع أتباعُهم، يعبِّر عن مدرسةٍ جامعةٍ لشتّى فروع المعرفة الإسلاميّة، وقد استطاعتْ هذه المدرسةُ أن تربّيَ النفوسَ المستعدّةَ للاغتراف من هذا المعين، وتقدّمَ للأمّة الإسلاميّة كبارَ العلماءِ المحتذين لخُطى أهل البيت عليهم السلام الرساليّة، مستوعبين إثاراتِ وأسئلةَ شتّى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلاميّة وخارجها، مقدّمين لها أمتَنَ الأجوبةِ والحلولِ على مدى القرون المتالية.

وقد بادَر المجمعُ العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤوليّاته التي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريمِ الرسالةِ وحقائِقِها التي ضبّب عليها أربابُ الفرقِ والمذاهبِ وأصحابُ الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباعَ مدرستهم الرشيدة التي حرصَت على الردِّ على التحدّيات المستمرّة، وحاولَتْ أن تبقى على الدوامِ في خطِّ المواجهةِ وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتبُ علماءِ مدرسةِ أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدةٌ في نوعها؛ لأنّها ذات رصيدٍ علميٍّ يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنّبُ الهوى والتعصبَ المذمومَ، ويخاطبُ العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبّله الفطرةُ السليمةُ.

وقد حاول المجمعُ العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدِّمَ لطلاب الحقيقة مرحلةً جديدةً من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعةٍ من البحوث والمؤلّفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، أومن الذين أنعم الله عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يُتوخّى فيه الفائدة من مؤلفات قدامى علماء الشيعة الأعلام أيضاً، لتكون هذه المؤلّفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحقّ، كي تنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسةُ أهل البيت عليهم السلام الرساليّة للعالم أجمع، في عصرٍ تتكاملُ فيه العقول وتتواصلُ النفوس والأرواح بشكلٍ سريعٍ وفريدٍ.

نرجومن القرّاء الكرام أن لا يبخلوا علينا بآرائهم ومقترحاتهم القيّمة وانتقاداتهم البنّاءة في هذا المجال. وندعوكافّة المراكز المعنيّة والعلماء والمؤلفين والمترجمين للتعاون معنا في نشر الثقافة الإسلاميّة المحمديّة الأصيلة.

سائلين الله تعالى أن يتقبّل منّا هذا القليل ويوفّقنا للمزيد في ظلّ عنايته الخاصة ورعاية خليفته في الأرض الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

ونتقدّم بالشكر الجزيل لسماحة الاستاذ الفاضل السيد أبي الفضل ساجدي لتأليفه هذا الكتاب كما نشكر حضرة الأخ مرتضى ذاكري لنقله هذا الكتاب من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، وكذلك جميع زملائنا الذين ساهموا في إنجاز هذا الأثر، بالأخص الاخوة العاملين في قسم الترجمة المثابرين على أداء واجبهم.

المعاونية الثقافيّة

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المقدمة

هناك مجموعة من الاسئلة تواجه جيل الشباب في ايامنا هذه حول نوع العلاقة التي تربط بين الدين والعالم المتطور مثل:

ما موقع الدين في عصرنا الحاضر ؟

هل يمكن اعتبار الدين مهماً مع كل هذا التطور العلمي للانسان في القرون الأخيرة ؟

هل يعتبر العقل التدين والالتزام بالدين ضرورياً ؟

هل يمكن ان يشعر الإنسان بعدم الحاجة إلى الدين بعد هذا التطور المتنامي للعلوم والتحولات في ساحة الثقافة والمدنية ؟

ما الأدلة التي يسوقها دعاة عدم الحاجة إلى الدين لتبرير رأيهم ؟

ما موقف الاتجاه الديني والاتجاه الالحادي من مفكري المجتمع الغربي في العقود الأخيرة؟. وما رؤيتهما بالخصوص للإسلام ؟

تتبّع الكتاب الذي بين يديك هذه الأسئلة، واستعرض أولاً لمحة سريعة لمفهوم «ضرورة الدين»، وارتباطه بما يشابهه من المفاهيم، ثم وضّح موقف المفكرين الغربيين والمسلمين من هذا الموضوع وأوجه الاختلاف بينهما.

وفي المرحلة التالية يوضّح الكتاب بشكل مفصّل رؤية المفكرين المسلمين لأدلّة وجوب الرجوع الى الدين وضرورة بعث الأنبياء، ويقع الكلام في هذا

الفصل حول مواضيع مثل حاجة المجتمع إلى القانون، والمعرفة والسلوك الى الحق، وقيمة التكليف، ومعرفة طريق الكمال.

ثم يأتي دور تقويم الآراء وبيان الرأي المختار.

ثم تطرح بعد ذلك إشكالية الاكتفاء بالعقل والعلم المعاصر، ودعوى الدكتور سروش في باب الاستغناء المحمود عن الدين، وتقويم تلك الآراء.

ثم نبيّن الأضرار الفادحة الناتجة عن الاعتماد المفرط على العلم والعقل في العالم الغربي.

وسوف نركّز البحث على النزعة الدينية المتنامية في الغرب وبالخصوص التوجه نحوالإسلام الحنيف، وبيان اسباب ذلك التوجّه على لسان المهتدين حديثاً الى الإسلام في الغرب.

وفي الختام نبين خلاصة مطالب الكتاب، وما الرسالة التي يريد أن يوصلها للقارئ الكريم.

إنّ الرؤيةالسائدة للمفكرين الغربيين وبالخصوص مجموعة من الفلاسفة الماديين والعقليين المتطرفين في عصر النهضة والتطور، كانت نفي ضرورة الدين اعتماداً على العلم والعقل، ولهذا السبب فقد تطرّق الكتاب الذي بين يديك باختصار لرؤية المفكرين الغربيين في مجال ضرورة الدين، وقد بحثت هذه الرؤية بصورة أكثر تفصيلاً في فصل دعوى الاكتفاء بالعلم والعقل.

أبوالفضل ساجدي

١

رؤية المفكرين والباحثين الغربيين للدين

طرحت أدلة عديدة لإثبات ضرورة الدين من قبل المؤيدين لهذه الرؤية، والمقصود من ضرورة الدين هو: وجوب الرجوع الى الدين والالتزام به عقلاً، وهذا الاصطلاح يختلف عن مفاهيم مثل «الحاجة الى الدين».

عندما يستعمل اليوم مفهوم «الحاجة الى الدين» في الكتب التي تبحث حول الدين، فإنّه يقصد به غالباً، الحاجة والمصلحة الدنيوية دون النظر للأهداف والنتائج الأخروية، وقد يقصد في بعض الاحيان بمفهوم «الحاجة الى الدين» حاجة الفرد والمجتمع، وأحياناً قد يقصد به الحاجات النفسية والفكرية والاجتماعية.

إنّ الرجوع الى الدين بهذا المعنى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بـ «ضرورة بعثة الأنبياء» التي يتكلّم عنها علماء الإسلام، لأنّ أهم دليل على ضرورة بعثة الأنبياء الذي ورد في براهينهم، هووجود نوع من النقائص في أدوات المعرفة الإنسانية.

هذا النقص، كان السبب في ضرورة الرجوع والحاجة الى أداة أكمل، لذا فإنّ الحاجة الى الوحي وضرورته هي مقدمة وسابقة على ضرورة بعثة الأنبياء.

فلأنّ الإنسان محتاج الى الوحي ، يجب على الله تعالى إرسال الأنبياء ليكونوا واسطة في تلقّي الوحي ونقله الى البشر.

يجب الالتفات هنا إلى الاختلاف العملي بين «ضرورة الدين» و«الحاجة الى الدين» على الرغم من تقارب المفاهيم بينهما.

ومن هنا فانّ المفكرين الغربيين عندما يتكلمون عن «الحاجة الى الدين» فغالباً ما يتناولونه من زاوية نظريات علم الاجتماع وعلم النفس، ويرون أن الرجوع الى الدين ضروري نظراً للمنافع الخاصة التي يحصل عليها الإنسان من التزامه بالدين.

وقد جاءت هذه الرؤية للدين في الغرب بعد التحول الذي حصل في القرون الأخيرة في رؤية المفكرين الغربيين للدين.

ففي الماضي كان اكثر ما تختص به بحوث علماء الغرب ومفكريهم حول الدين، في المعرفة الإلهية واثبات وجود الخالق، وكان سعيهم منصبّاً على إثبات صدق المعتقدات الدينية[1].

أمّا اليوم فانّ البحوث والتحقيقات حول الدين حلّت محل المعرفة الإلهية الى جانب الأسئلة المطروحة حول مدى صدق المعتقدات الدينية، وانصبّ الإهتمام على النتائج والآثار النفسية للدين.

---

١ ـ للاطلاع اكثر حول رؤى الباحثين الغربيين للدين يراجع: اج. بي. آون، **ديدگاه‌ها درباره خدا**، ترجمة حميد بخشنده.

ويمكن طرح مثال في هذا المجال من كلام «هيك»، إذ يقول مشيرا لهذه النقطة:

> **حصل نوع من التغيير والاستبدال لمصطلح «الله» باعتباره المصطلح الرئيس لمجموعة من الكلمات والمصطلحات المستعملة في البحوث حول الدين، بمصطلح «الدين» باعتباره المصطلح الرئيس لهذه المجموعة نفسها[١].**

في الماضي كانت عناوين ومواضيع البحوث تدور حول وجود الله وصفاته وغايات أفعاله؛ أما اليوم وكنموذج على هذا التغيير، فالعناوين والمواضيع نفسها تطرح ولكن عن طريق ربطها بالدين وماهيته وقيمته العلمية[٢].

واليوم أيضاً يعتبر البحث حول الله من الناحية الأكاديمية من العناوين الفرعية لموضوع أوسع وهو «الدين»، أما بقية البحوث فتتناول دراسة تاريخ الدين، والأشكال المختلفة لهذه الظاهرة، وأثر الدين في الثقافة بشكل عام، وكونه عنصراً مساعداً للأفراد للوصول إلى حالة من التوازن والإنسجام الداخلي، ومن الارتباط بالبيئة أيضاً.

إنّ السؤال التقليدي المطروح عن الله وبشكل طبيعي هوهل الله موجود أم لا؟ فمثل هذا السؤال لا يطرح بالنسبة للدين، لأنّه واضح تماماً أنّ الدين موجود.

فالأسئلة الأساسية مرتبطة بأهداف الدين في حياة البشر، واما الاسئلة التي تتناول الحقائق الدينية فتأتي استطراداً، وإنّ ما يشغل الجميع هومدى الفائدة العملية لهذه المعتقدات[٣].

١ـ Hick, John; **Philisophy of Religion**, p. ٩.

٢ـ المصدر السابق.

٣ـ المصدر نفسه: ٩٠ـ ٩١.

هل هذا الاستبدال للرؤية التقليدية للحقائق العينية يعتبر استبدالاً طبيعياً في عصر ومرحلة يكون الدين فيها في حال الأفول ؟

«هيك» يعتقد أن ستيوارت مل، وبرتراند رسل يعتبران الاستبدال المصلحي والنفعي بمنهج الاستدلال على وجود الله غير صحيح، ويؤكدان أهمية إثبات صدق أوكذب الحقائق المرتبطة بعقائد المتدينين[١].

ومن المؤكد لدينا إنّه على الرغم ممّا شاهدنا من تنامي التيارات الفكرية الالحادية في عصر النهضة وعصر التطور فإنّ هذه التيارات واجهت في العقود الأخيرة الكثير من المشكلات والعوائق الناشئة من نظريات القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ادّت الى تعرضها الى إشكالات عميقة، وإلى بزوغ ظاهرة التدين.

في فصل «التوجه المتزايد لعلماء الغرب نحو التدين» سنشير الى نشوء وتطور ظاهرة الاعتقاد الديني عند علماء الغرب، ولتبرير ظاهرة الرجوع الى الدين، يطرح علماء الغرب بعض الآثار الايجابية للدين على مستوى الفرد والمجتمع. فأما الآثار الإيجابية للدين على مستوى الفرد فهي مثل: إضفاء معنى على الحياة، علاج للإحساس بالوحدة، الفراغ الروحي والمعنوي والأخلاقي، الحيلولة دون تحول الإنسان الى آلة، تنظيم حياة الفرد، الإجابة عن أسرار الوجود.

١ـ المصدر نفسه: ٩٢.

وأما الآثار الإيجابية على مستوى المجتمع فهي مثل: الوحدة وإيجاد الارتباط الجماعي ، السيطرة على الأضرار الاجتماعية والمفاسد الناشئة من ضعف الإيمان[1].

ويمكن ان نلاحظ هذه النظرة النفعية للدين في الغرب في تعاريفاتهم النفعية للدين أيضاً، لأنّ أكثر هذه التعريفات المطروحة في مجال الدين هي من هذا النوع.

١ـ كنموذج يراجع : «ويلهم، ژان پل»؛ جامعه شناسي اديان: ١٦٨ دين بجوهى ١: ٣٥٩؛ «آبر كرومبي، نيكلاس»؛ فرهنك جامعه شناسى، ترجمة حسن بويا: ٣٢٠.

٢

رؤية المفكرين المسلمين للدين

خلافاً لرؤية المفكرين الغربيين للدين، والتي تؤكّد غالباً أنّ الرجوع الى الدين له آثار ونتائج غير معرفية، فإنّ المفكرين والفلاسفة المسلمين يؤكدون ويثبتون أنّ ضرورة الرجوع الى الدين تعتمد غالباً على الآثار المعرفية للدين، ويعدّون الدين هوالمكمّل للنقص المعرفي عند البشر، وعلى الرغم من ذلك فإنّهم لم يهملوا الجوانب والآثار العملية غير المعرفية للدين، وكانوا يتناولون ذلك بين الحين والآخر، ولكنّ أساس استدلالهم على ضرورة الدين ينصبّ على البعد المعرفي للدين، والعلماء في مقام تعريف الاديان الإلهية وما تحويه من مضامين قريبة من بعضها ، يعتبرون الدين هوالاعتقاد بالله، وبيان الضوابط العملية المتناسبة معه[١].

وعلى هذا الأساس يمكن تعريف الأديان الإلهية عموما، فنقول: بانّ الدين هومجموعة من الإخبارات الشاملة لمعرفة الله ومعرفة الإنسان، ومعرفة الكون مطلقاً، سواءاً بالنسبة للدنيا أوالآخرة، وكذلك الإخبار عن الأوامر والنواهي

١ـ مصباح يزدي، محمد تقي؛ آموزش عقايد: ١: ٢٨؛ طباطبائي، محمد حسين؛ الميزان: ١٥: ٨؛ جوادي آملي، عبدالله؛ شريعت در آيينه معرفت: ١٥٧.

التي تؤدّي عن طريق الإيمان والالتزام بها الى هداية وكمال الإنسانية، فاذا كانت تلك التعاليم صادقة ومطابقة للواقع، كان ذلك الدين حقاً والعمل بتلك التعاليم مطلوباً، والّا يعدّ ذلك الدين باطلاً.

إنّ الاخبارات أوالتعاليم الدينية يمكن أن نحصل عليها من طريق العقل والوحي، ويستلزم الإيمان بها التزام الجوانح والجوارح بتلك التعاليم.

يتكلّم علماء الإسلام في مقام اثبات النبوّة عن ضرورة بعثة الأنبياء، وسنبيّن فيما يلي آراءهم ضمن مجموعة من الأدلة.

٢ـ١. حاجة المجتمع إلى القانون

من الأدلة التي طرحت حول ضرورة بعثة الأنبياء: الدليل المشهور بـ(دليل الحكماء).

وهذا الدليل يستند على كون الإنسان اجتماعياً بالطبع، وحاجة المجتمع الى القانون، وعدم قدرة الإنسان على وضع وإجراء القانون.

ويمكن ملاحظة الشرح والتوضيح الكامل لهذا الدليل في كتب ابن سينا ورسائله، وان كان الفارابي قد تطرّق إلى ذلك قبله.

بيان الفارابي

إنّ الإنسان عند الفارابي (٢٦٠ ـ ٣٣٩ هـ. ق) خُلق محتاجاً الى الجماعة والمجتمع، لكونه فاقداً للقدرة التامة على وضع واجراء القوانين التي يكون بها قوامه وحفظ نظامه الاجتماعي في المدينة الفاضلة[١].

إنّ حاكمية وتثبيت القانون يمكن أن تكون بطرق مختلفة، فعلى سبيل المثال: إن الروابط الاجتماعية في المدينة الضرورية والكرامية[٢] باعتبارهما نموذجين عن الحياة الاجتماعية يستندان على آراء أهل تلك المدينتين، ولكن تثبيت المدينة الفاضلة يكون في إطار تعاليم الوحي.

يعرّف الفارابي المدينة الفاضلة بإنّها: (المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها، التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية)[٣].

يصف الفارابي رئيس المدينة الفاضلة، بمثل هذه الأوصاف:

١ـ الفارابي، أبونصر محمد؛ انديشه‌هاي اهل مدينه فاضله؛ سجادي، الدكتور سيد جعفر: ٢٥١ ـ ٢٥٢.

٢ـ يرى الفارابي، أنّ المدينة الضرورية هي المدينة التي هدفها فقط كسب الضرورات المادية أعم من الأكل والمليس والمسكن والزواج، والتعاون فيها هوللحصول على تلك الامكانات، وهدف المدينة الكرامية، هوكسب الكرامة والشهرة بين الأمم الأُخرى. (يراجع: الطوسي، الخواجة نصيرالدين؛ الأخلاق الناصرية: ٢٤٥ ـ ٢٤٧، سعد، فاروق؛ مع الفارابي والمدن الفاضلة: ٦٢ ـ ٦٥).

٣ـ المصدر السابق: ٢٥٥.

«وهذا الإنسان هوالملك في الحقيقة عند القدماء، وهوالذي ينبغي أن يقال فيه إنّه يوحى إليه».

فأنّ الإنسان إنّما يوحى إليه إذا بلغ هذه الرتبة، وذلك اذا لم يبق بينه وبين العقل الفعّال واسطة، فحينئذ يفيض من العقل الفعّال على العقل المنفعل القوة التي يمكن بها أن يوقف على تحديد الأشياء والأفعال وتسديدها نحوالسعادة.

وبهذا الترتيب، فإنّ الله تعالى يوحي لمثل هذا الإنسان عن طريق العقل الفعّال.

فالاعتقاد على أساس هذه الرؤية هوأنّ الوحي نوع من العطاء اوالفيض المنتقل من العقل الفعّال الى العقل المنفعل.

بيان ابن سينا

أورد ابن سينا (٣٧٠ـ ٤٣٨ هـ ق) في الالهيات من كتابه الشفاء توضيحاً كاملاً لهذا البرهان، يمكن ذكره ضمن المقدمات التالية:

الإنسان موجود اجتماعي يميل الى الحياة الاجتماعية ويختلف الإنسان بشكل رئيس عن الحيوان بمدنيته.

إنّ الحياة الفردية لا تؤمّن كل احتياجات ومتطلبات الحياة الكريمة، فالحصول على حياة كريمة يحتاج الى تعاون البشر، وهذا الأمر لا يتحقق الا في ظل الحياة الاجتماعية.

إن التعاون يحتاج الى المعاملة، والمعاملة تحتاج الى القانون ورعاية العدالة، ومثل هذه الحاجة مرهون بوجود قانون شامل للعدالة.

من الواضح جداً، إن الإنسان لكونه يتحرك من منطلق حب الذّات، فهو يسعى لتحقيق رغباته ومنافعه المتزايدة، وهذا الأمر لا يتناسب مع النظام الاجتماعي ويؤدّي الى انتشار الفوضى في المجتمع.

ولهذا يجب السيطرة على الرغبات الفردية، وتحكيم النظام والقانون الذي تعيّن في ظله حقوق وواجبات الأفراد.

وعليه يجب ان يكون المقنّن بإذن الله تعالى والمطبّق للعدالة إنساناً، ويجب أن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس؛ حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد فيهم، فيتميز به منهم، فتكون له المعجزات، ويتلقّى الجمهور قانونه المنزل على لسانه من الله والملائكة بالسمع والطاعة.

فالحاجة إلى هذا الإنسان لبقاء نوع الإنسان وتحقيق وجوده أشدّ من الحاجة إلى إنبات الشَعر علي الأشفار وعلى الحاجبين وأشياء اخرى من المنافع التي لا ضرورة فيها للبقاء، فلا يجوز أن تكون العناية الأُولى(الإلهية) تقتضي تحقيق تلك المنافع ولا تقتضي وجود هذا الإنسان المناسب لهذا الأمر.

إنّ خالق الوجود حكيم ومدبّر بحيث إنّه في نظام الخلق أوجد كلّ ما يؤمّن إحتياجات البشر، فمن المحال أن يكون الله تعالى عارفاً بالحاجة لهذا الإنسان

الكامل المقنّن والمطبّق للعدالة ولايوجده، ونتيجة ذلك كلّه هي: ضرورة بعثة الأنبياء[١].

ويمكن أن نشاهد استدلالات مشابهة لاستدلال ابن سينا عند بعض الفلاسفة المسلمين الآخرين، مثل شيخ الاشراق شهاب الدين السهروردي (٥٤٩ـ ٥٨٧ هـ ق)[٢] وملا صدرا الشيرازي[٣]، والفيض الكاشاني[٤]، والعلامة الطباطبائي و... الخ.

واكتفينا برأي العلّامة الطباطبائي رعاية للاختصار وابتعاداً عن التكرار، وباعتباره الأكمل في هذا المجال.

بيان العلامة الطباطبائي

إنّ أكثر ما استند عليه العلاّمة الطباطبائي هواستدلال الفلاسفة ، وحاول أن يقرر هذا الاستدلال الذي يحلّ الاشكالات الواردة على الفلاسفة السابقين.

ويمكن تنظيم بيان العلاّمة ضمن المقدمات التالية:

١ـ ابن سينا؛ **إلهيات الشفاء**، المقالة العاشرة، الفصل الثاني: ٤٤١ـ٤٤٢. هذا البحث جاء مختصراً في الاشارات والتنبيهات في قسم من النمط التاسع: ٣٧١ـ٣٧٥.

٢ـ السهروردي، شهاب الدين؛ **مجموعة مصنفات شيخ الاشراق**، تصحيح ومقدمة هنري كوربن: ١: ٩٥ ـ ١٩٦.

٣ـ الشيرازي، ملا صدرا؛ **الشواهد الربوبية**، تصحيح سيد جلال الدين الاشتياني: ٣٥٩ـ٣٦٠.

٤ـ المولى الكاشاني، محسن؛ **علم اليقين في أُصول الدين**: ١: ٤٤٨ـ٤٤٩.

إنّ نظام الوجود ـ ومن ضمنه الإنسان ـ خلق بالشكل الذي يتحرك كل موجود فيه باتجاه الكمال الواقعي له.

والإنسان بطبيعته محبّ لذاته، ولذلك فهويسخّر كل الامكانات الموجودة لخدمته ، وهذا الأمر يحفّز الإنسان ويدفعه لتشكيل المجتمع.

وإنّ هذا التسخير للإنسان يؤدّي بطبيعته الى الاختلاف في المجتمع. وإنّ نظام الوجود يقتضي رفع هذه الاختلافات، حتى يستطيع البشر الوصول لكمالهم.

إنّ أدوات المعرفة عند الإنسان لا تستطيع وحدها أن تساعده على وضع قانون مناسب لتحقيق أغراضه وحاجاته في الجانب المادي والمعنوي، ورفع الاختلافات أيضاً.

إذاً لابد للبشر من مصدر آخر لكشف ووضع القوانين التي يحتاجها، وهذا المصدر الاخر لا يكون إلا في الوحي الذي يختصّ بالأنبياء.

والنتيجة: إنّ إرسال الوحي من قبل الله تعالى ضروري لرفع الاختلاف عن المجتمعات البشرية، وتهيئة الأرضية للكمال المادي والمعنوي للبشر[1].

التقويم

إستشكل عدة من المفكرين والفلاسفة المسلمين على استدلال الحكماء بإشكالات، نذكر إشكالين رئيسين منها، ونضيف إشكالين آخرين أيضاً:

١ـ راجع: الطباطبائي، محمد حسين؛ **الميزان في تفسير القرآن**: ٢: ٣٠ـ١٥٠؛ **الشيعة في الإسلام**: ٨٠ـ٨٣.

الإشكال الأوّل: يمتاز هذا الإشكال بأهمّية خاصة؛ لأنّه يثبت إمكان استقرار النظام الاجتماعي دون حاجة الى الدين، وبذلك يُحكم الإشكال على تصوير الحكماء لضرورة بعثة الأنبياء.

يقول الخواجة نصير الدين الطوسي في شرحه للاشارات والتنبيهات، بعد توضيحه كلام الشيخ الرئيس ابن سينا:

إذا كان النظام الاجتماعي بصدد تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية معاً، فهوبحاجة الى الوحي، وإمّا المحافظة على النظام الاجتماعي والحيلولة دون وقوع الهرج والمرج، فإنّه قابل للتحقق بنوع من السياسة غير المستندة الى الوحي، ولذا فإنّه خلافاً لرأي الشيخ، يستطيع البشر أيضاً أن يحافظوا على النظام الاجتماعي في معزل عن الوحي[1].

وإنّ أبا حامد الغزالي (٤٥٠ـ ٥٠٥ هـ ق) يرى أيضاً أنّ بيان ابن سينا هوتفسير للدين من بُعد دنيوي.

فهويعتقد أنّ من أسباب هشاشة وانحلال العقيدة الدينية هوتحليل الفلاسفة للدين، الذي يبيّن أن الحكمة والهدف من النبوة هوحفظ العامّة من النزاع والغرق في الشهوات[2].

١ـ ابن سينا، **الإشارات والتنبيهات**، مع تعليقة الخواجة نصير الدين والفخر الرازي:٣: ٣٧٣ـ٤٣٧.

٢ـ الغزالي، أبوحامد؛ **المنقذ من الضلال**، ترجمة صادق آيينة وند: ٥٧ـ٦٥.

ويقبل ابن خلدون هذا النقد أيضاً، ويورد لتأييده نماذج من الحياة الاجتماعية، منها: إنّه على الرغم من عدم تديّن بعض المجتمعات وفقدانها للحكومة الدينية؛ نرى أنّ النظام والاستقرار يسود وينظم أُمور تلك المجتمعات، ويشير الى زمانه فيقول: إنّ أهل الكتاب وأتباع الأنبياء هم أقلّية بالنسبة لأكثر سكان العالم من غير المتدينين، ومع ذلك فلدى الأكثرية غير المتدينة نظم حاكمة ومجتمعات منظمة أيضاً، فهم ليس لديهم نظام اجتماعي فقط، بل ربما يقال: إنّهم تركوا آثاراً إيجابية في هذا الاتجاه.

فعلى هذا الأساس لا يمكن القول إنّه بإرسال الأنبياء فقط يحصل استقرار المجتمع ويرتفع النزاع[١].

وللجواب عن الاشكال السابق يمكن القول:

مع أنّ ظاهر استدلال الحكماء على ضرورة ارسال الوحي لوضع القوانين الاجتماعية والحيلولة دون الهرج والمرج، الذي هونوع من التحليل الذي يلاحظ البعد الدنيوي للوحي، فإنّ في كلام الحكماء ما يشير الى وجود حاجة وضرورة لإبلاغ الوحي أكبر من الأُمور الدنيوية.

فنرى مثلاً ابن سينا في بحث ضرورة النبوة يؤكّد البعدَ الدنيوي والحياة الاجتماعية العادلة، ولكنه في الالهيات من كتابه الشفاء في المقالة العاشرة في الفصل الأول، وفي باب البهجة والسعادة العقلية أيضاً يبيّن أنّ الأنبياء لديهم هدفان:

١ـ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: ٤٣ـ٤٤.

الهدف الأول: الإرشاد للسعادة المعنوية التي تتحقق عن طريق الإيمان بالله والمعاد والأخلاق الحميدة.

الهدف الثاني: هوالإرشاد الى المصالح الاجتماعية العليا التي تتحقق في ظل وجود قوانين عادلة.

والدين ضروري لتحصيل هاتين السعادتين[١].

ويرى الملا صدرا أيضاً أنّ الحاجة الى الوحي ـ اضافة لتنظيم المجتمع ـ هي هداية البشر الى طريق رضا الله سبحانه وتعالى في الدارين حيث يقول:

(من لم يهمل انبات الشعر على الحاجبين للزينة، كيف أهمل وجود رحمة للعالمين، وسائق العباد الى رحمته ورضوانه في النشأتين)[٢].

وأكّد العلّامة الطباطبائي وجوبَ هداية الإنسان الى طريق كماله النوعي؛ لأن هذا الأمر أشمل وأوسع من السعادة الدنيوية.

إضافة لذلك فإنّه أكّد في العديد من كتبه على الرؤية الشاملة والجامعة للوحي؛ إذ ذكر في تفسيره:

«إنّ الدين لم يعتبر في تشريعه مجرد الكمال المادي الطبيعي للإنسان ، بل اعتبر حقيقة الوجود الإنساني وبنى اساسه على الكمال الروحي والجسمي معاً، وابتغى السعادة المادية والمعنوية كليهما، ولازم ذلك ان يعتبر فيه حال

١ـ ابن سينا ، الشفاء؛ الإلهيات: ٤٣٥؛ مطهري، مرتضى؛ مجموعة الآثار: ٧ : ١٢٢.

٢ـ ملا صدرا؛ الشواهد الربوبية: ٣٥٩ـ٣٦٠.

الفرد الاجتماعي المتكامل بالتكامل الديني دون الفرد الاجتماعي المتكامل بالصنعة والسياسة»[١].

وعلى كل حال، يمكن القول ان الحكماء اذا كانوا في مقام بيان أن النظام الاجتماعي المؤدّي لهداية البشر يحتاج الى النبوة، فهذا الكلام صحيح؛ لأن الشواهد السابقة بيّنت ووضّحت هذا الادّعاء، ولكن اذا كان المطلوب هو تنظيم المجتمع في بعده المادي فقط، فهذا الأمر يمكن تحصيله ـ الى حد كبير ـ عن طريق العقل.

وبعبارة أُخرى: إنّ بعض القوانين اللازمة لاستقرار النظام الاجتماعي يمكن معرفتها بادوات العقل والتجربة، ولكن بعض القوانين التي توجّه النظام الاجتماعي باتجاه الأهداف الأسمى، تحتاج إلى الوحي. فكما اننا في حياتنا الفردية لدينا درجة من المعرفة نحصل عليها من العقل والتجربة، ودرجة اسمى منها نحتاج لمعرفتها الرجوعَ إلى الوحي، فكذلك الامر في معرفة قوانين الحياة الاجتماعية.

وعلى هذا الأساس، فإنّ مقدار الحاجة الى الدين لإيجاد النظام في المجتمع يرتبط بمقدار المصالح التي نريد ان نحققها للمجتمع.

الإشكال الثاني: إن مقتضى الإستدلال المذكور آنفاً، هوعدم ضرورة إرسال الوحي للمجتمعات البسيطة أوالبدائية؛ لأن هذه المجتمعات لاتوجد فيها أرضية لتعارض المصالح، ولا تحكمها روابط معقدة.

١ـ الطباطبائي، محمد حسين؛ الميزان في تفسير القرآن: ٢: ١٤٩،١٣٣ـ١٤٧.

وعلى هذا الأساس، فإنّه يمكن للجميع الانتفاع بالمنابع الطبيعية الغنية وحلّ النزاعات بشكل بسيط.

وإذا قيل: إنّه ليس هناك مجتمع بسيط لا يحتاج الى القانون، فإنّه يمكن القول: إنّ حاجة المجتمعات الصغيرة والبسيطة لقانون من مصدر أعلى من الإنسان غير واضح، طبعاً إذا فهمنا من بيان الفلاسفة في مورد النبوة، إنّها للوصل لأهداف أعم من النظام الدنيوي، فإن الإشكال الثاني يرتفع أيضاً.

الإشكال الثالث: إنّ برهان الحكماء لإثبات ضرورة البعثة لا يستلزم نزول الوحي في جميع الأمور الفردية والاجتماعية، بل في الموارد التي يعجز عن إدراكها العقل البشري.

ومن جانب آخر، فإنّ أكثر الآيات القرآنية هي إرشاد لحكم العقل، إذاً لا يمكن أن يكون هذا البرهان توجيهاً كافياً لنزول مثل هذه الآيات[1].

١ـ إشكال: إنّ الحكماء أرادوا بهذا الاستدلال إثبات ضرورة إرسال الوحي، وليس إثبات حسن الإرشاد لحكم العقل، وإن كانوا قد أشاروا في أماكن أخرى لحسن الإرشاد لحكم العقل، وعدّوا ذلك من محاسن النبوة.

الجواب نقبل الإشكال المذكور بان إرسال الوحي محدود فقط بالموارد التي لا يستطيع العقل إدراكها، وأما إرسال الوحي في الأمور الأخرى، فلا ضرورة له، وإن كان فعلاً ممدوحاً ومن محاسن الوحي، وبالالتفات إلى الفرق بين ضرورة الوحي وحسنه نستطيع القول: إنّ استدلال الحكماء ليس له القدرة على إثبات ضرورة الوحي في الأمور الإرشادية، وأكثر ما يمكن أن يعتبره العقل هوحسنه، إضافة لذلك فإنّه وإن⇐

الإشكال الرابع: إنّ البرهان المذكور أعلاه جعل مركز ثقله على نقص الأدوات المعرفية للإنسان للوصول إلى الكمال، مع أننا نرى أن ما يجعل إرسال الوحي ضرورياً، إضافة للجانب المعرفي، هوحركة الإنسان عملياً نحوطريق الهداية، بل إنّ العمل أهم من المعرفة، ومن دون نزول الوحي والإيمان به لا يمكن حصول العمل، فإنّ الحركة والعمل لا يأتيان دائماً من زيادة المعرفة.

ومثال ذلك: فإنّ الكثيرين يعترفون بضرر السجائر، ولكنهم لا يتركون التدخين.

فالإنسان إضافة لحاجته للبعد المعرفي، لديه بعد عاطفي وميول وإحساسات، وما يحرك الإنسان هوالتعلق والميل الشديد للشيء الذي علمه وفهمه، والوحي هوعامل توليد لتلك القوى التي تحرك الإنسان باتجاه مقصده وهدفه[1].

⇐ تكلّم الحكماء على حسن إرشاد الوحي للأمور القابلة للإدراك العقلي، ولكنهم لم يبينوا ضرورة الإرشاد.

١ـ سؤال : إنّ الحكماء عندما أثبتوا ضرورة بعثة الأنبياء، فإنّهم لم يكونوا بصدد بيان جميع الثمرات والنتائج المترتبة على الوحي حتى يبيّنوا عامل التحريك في دليلهم.

الجواب : لم يكن سؤالنا هوإنّه لماذا لم يذكر الحكماء في بحث ضرورة البعثة نتائج وثمرات الوحي، بل كان كلامنا حول دليلهم على ضرورة الوحي، وإنّه محدود بضرورة المعرفة، ولم يتناولوا في دليلهم بقية الوجوه لضرورة البعثة.

٢ـ٢. المعرفة والسير إلى الله

إنّ العرفاء يرون أنّ الوحي ضروري باعتباره أداة لازمة لمعرفة الله والسير والسلوك إليه تعالى.

إنّ قافلة السلوك هذه تحتاج إلى قائد ملهم يعلمهم المعارف الإلهية اللازمة التي يتلقاها وحياً من الله ويرشدهم إلى حقائق الوجود ومضار الطريق والمسير ومنافعه، ويحركهم باتجاه الهدف.

إنّ الوحي ضروري لكي لا يبقى الناس في هذا المسير بلا راع وقائد، ولكي ينتفعوا بالمعرفة، ويعلموا ما ينفعهم وما يضرهم.[١]

إنّ السيد حيدر الآملي العارف المشهور في القرن الثامن الهجري يرى أيضاً ضرورة الوحي للتعريف بالحقائق الإلهية، فيقول:

«إعلم أن النبوة عند هذه الطائفة هي الإخبار عن الحقائق الإلهية، أي: معرفة ذات الحقّ تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه»[٢].

وكذلك يقول الإمام الخميني (رض) القائد العارف والسالك: يرى أنّ أصْلَ الوحي والنبوة هولكي يعرف البشر الله تعالى فيقول:

١ـ اللاهيجي، عبد الرزاق؛ كزيده كوهرمراد، باهتمام صمد موحد: ٢٥٤ـ٢٥٥.

ملا صدرا يرى أنّ السير التكاملي له أربع مراتب: ١ـ السفر من الخلق على الحق، ٢ـ السفر من الحق إلى الحق، ٣ـ السفر من الحق الى الخلق، ٤ـ السفر من الخلق إلى الخلق بالحق. ملا صدرا؛ الأسفار الأربعة: ١: ١٣.

٢ـ الآملي، سيد حيدر؛ جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٣٧٩.

«إنّ كلّ أهداف الأنبياء ترجع إلى معرفة الله، فإنّ ما كانوا يهدفون إليه في الواقع هومعرفة الله»[١].

التقويم

إنّ ظاهر مراد العرفاء من دور الوحي في معرفة الله والسير والسلوك إليه تعالى، هوالغاية والهدف النهائي للمعرفة، اعم من الحصولي والحضوري (المعرفة العقلية والقلبية)، وهذا الأمر لا يتنافى مع بيان التعاليم والطرق التي يسلكها الإنسان لبلوغ تلك الغاية.

وعلى أساس ذلك، فإنّ أشخاصاً مثل الإمام الخميني قدس سره أعطى رؤية واسعة لإطار ومجال الدين وذلك بإجراء العدالة وتطبيق النظام الديني.

وأما الذين يجعلون الحاجة الى الوحي محدودة فقط بمعرفة الله تعالى، ويرون ذلك ليس الهدف النهائي فحسب، بل الأول والآخر، فإنّ هذا الكلام محل تأمل.

٢ـ٣. حسن التكليف

إنّ متكلّمي الشيعة والمعتزلة ـ خلافاً للأشاعرة ـ يستندون على قاعدة الحُسن والقبح العقليين وقاعدة اللطف في إثبات ضرورة إرسال الوحي، وهذا الاستدلال قد ذكر بطرق مختلفة في الكتب الكلامية، ويحتاج بيانّه للمقدمات التالية:

١ـ الإمام الخميني؛ صحيفة النور: ٧: ٢٥٠.

المقدمة الأولى: إن تكليف العباد من قبل الله تعالى حسن عقلاً؛ لأنّه يشتمل على مصالح لا تحصل من دونه، كما أن التكليف يستطيع أن يصل بالإنسان إلى الكمال، ويطلق المتكلّمون على هذه المسألة (حسن التكليف).

ومن جانب آخر، فإنّ إبلاغ التكاليف الدينية من قبل الله تعالى لطف منه تعالى بعباده[1].

المقدمة الثانية: على أساس قاعدة اللطف، يجب على الله سبحانه وتعالى أن يلطف بعباده، ويوفّر ويهيّئ لهم المقدمات اللازمة لتكاملهم.

وبالنتيجة، فإنّ وضع وإبلاغ قوانين الشرع، أوتكليف العباد بفعل الحسن وترك القبيح، واجب على الله تعالى.

ومن هنا، فإنّ إيجاد طريق لبيان التكاليف للعباد لازم، وذلك بإنزال الوحي من قبل الله تعالى للناس، فإنّ وجود النبي - كواسطة في نقل الوحي - ضروري[2].

١ـ اللطف في اصطلاح المتكلمين يعني ما يقرّب العبد للطاعة ويبعّده عن المعصية، وقسّموا اللطف إلى قسمين:

ـ اللطف المحصّل ويعني ما يكون سببا للإنسان في أن يختار بنفسه أداء تكليفه (أن يطيع الله ويبتعد عن المعاصي).

ـ واللطف المقرّب ويعني ما يكون سببا في تقريب العبد لأداء التكليف، يعني ما يهيّئ الأرضية للطاعة.

٢ـ راجع: الطوسي، الخواجة نصير الدين؛ **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**؛ شرح العلامة الحلي؛ أبوالحسن الشعراني: ٣٧٥ـ ٣٧٧؛ الشيخ المفيد؛ **مصنفات الشيخ**

التقويم

وفي الاستدلال المتقدّم إبهامات تُطرح تؤدي الى الشك فيه والترديد.

إنّ هذا الاستدلال اعتمد على قبول قاعدة اللطف، مع أنّ هناك أسئلة مطروحة حول أساس هذه القاعدة، ووجه ضرورتها على الله تعالى.

إضافة الى ذلك، فإنّ تبيين أبعاد مسألة الحسن والقبح العقليين وتفكيك المسائل العملية عن النظرية وارتباطهما ببعضهما، كلّ ذلك له حقل واسع في الفلسفة والكلام.

وبالتأكيد لا يعني هذا الكلام بطلان مقدمات المتكلمين، بقدر ما يعني أن هناك بعض الغموض الذي إذا أمكن توضيحه بطريقة أخرى لإثبات ضرورة الوحي، يكون أفضل وأرجح[١].

إضافة الى ذلك، فإنّ الإشكال الرابع الوارد على دليل الحكماء في ضرورة النبوة، يرد أيضاً على هذا البرهان.

المفيد ١٠: ٣٤ـ٤٦؛ الطوسي، محمد بن الحسن؛ **الاقتصاد، الهادي إلى طريق الرشاد**: ٧٨ ـ ٨٠.

١ـ مصباح، محمد تقي؛ **راهنما شناسي**: ٢٦ـ٢٧.

٢ـ٤. معرفة طريق الكمال

إنّ بعض المفكرين بيّنوا ضرورةَ إرسال الوحي على أساس حاجة البشر إلى معرفة طريق الكمال.

ومثال ذلك: فإنّ الأستاذ آية الله مصباح اليزدي وضح استدلاله ضمن ثلاث مقدمات:

أوّلاً: إن الهدف من خلق الإنسان هوأن يطوي الإنسان مسير تكامله باتجاه الكمال المطلق من خلال أفعاله الاختيارية، هذا الكمال الذي لا يحصل إلا بالاختيار والانتخاب. وبعبارة أخرى: إن الإنسان خلق لكي يكون بعبادته وطاعته لله تعالى لائقاً للحصول على الرحمة الإلهية الخاصة بالإنسان الكامل.

إنّ الإرادة الإلهية الحكيمة تعلّقت في المرتبة الأولى بكمال الإنسان، ولكن باعتبار أنّ هذه السعادة العظيمة لا تحصل إلا عن طريق القيام بالأفعال الاختيارية، ولكي تكون هناك أرضية للانتخاب والاختيار، لابد لمسيرة الحياة البشرية من طريقين، وبشكل طبيعي فإنّ أحد هذين الطريقين سيؤدي إلى الشقاء والعذاب، ويعتبر هذا الطريق بشكل غير مباشر ضمن الإرادة الإلهية.

ثانياً: إنّ الإنسان إضافة لقدرته على القيام بالأعمال وتوفير الشروط الخارجية اللازمة للأعمال المختلفة، ووجود الميل الباطني لذلك، فإن هذا الإنسان يحتاج أيضاً الى المعرفة التامة بالأعمال الصالحة والطالحة ،والطرق والوسائل الصحيحة وغير الصحيحة.

فالإنسان يستطيع أن يختار طريق تكامله بشكل حر وبوعيٍ كامل عندما يتضح له الهدف ، بل والطريق الموصل إلى ذلك الهدف أيضاً، وأن يكون واعياً لما يحيطه به في طريق هدفه لكي لا تلتبس عليه الأمور.

إذن فإن مقتضى الحكمة الإلهية أن توضع أمام الإنسان الأدوات والوسائل اللازمة لتحصيل مثل هذه المعارف، وإلا سيكون الأمر مثل شخص يدعو ضيفه لداره ولا يدلّه على مكانها ولا الطريق الموصل إليها!

فمن البديهي أنّ مثل هذا التصرّف خلاف للحكمة وموجب لنقض الغرض. وهذه المقدمة لا تحتاج لتفصيل وتوضيح أكثر من ذلك.

ثالثاً: إن المعارف العادية للإنسان تحصل من تعاون الحس والعقل.

وهي وإن كان لها أثر مهم في تأمين حاجات الإنسان في حياته، ولكنّها غير كافية لمعرفة طريق الكمال الحقيقي في كلّ الأبعاد الفردية والاجتماعية، والمادية والمعنوية، والدنيوية والأخروية، فإذا لم يكن هنالك طريق لتأمين هذه الحاجات للإنسان، فإنّ الهدف الإلهي لخلق الإنسان لا يتحقق.

إنّ هذه المقدمات الثلاث تقودنا إلى هذه النتيجة وهي: أنّ مقتضى الحكمة الإلهية إيجاد طريق آخر فوق الحس والعقل لمعرفة مسير التكامل المتعدد الجوانب، لكي يستطيع الإنسان أن ينتفع به سواء بشكل مباشر أوبواسطة فرد أوأفراد آخرين.

هذا الطريق هوالوحي الذي كان مع الأنبياء يسترشدون به بشكل مباشر ويتم تبليغه لبقية الناس من طريق الأنبياء، ويحصلون منه على ما يلزمهم للوصول إلى السعادة المطلقة[١].

وهناك بيانات واستدلالات مشابهة العلماء آخرين مثل آية الله جعفر السبحاني وأحمد أمين، طرحت في هذا المجال[٢].

التقويم

يمكن ملاحظة ثلاث نقاط مهمة في هذا الدليل، وهي:

١ـ إن البرهان السابق الذي كان بصدد إثبات ضرورة بعث الأنبياء تناول فقط اقتضاء بيان الأحكام التي لا يستطيع أن يدركها العقل، مع أن القرآن يشتمل على الكثير من الآيات القابلة للإدراك من قبل العقل كذلك والتي لا يثبتها البرهان السابق[٣].

١ـ مصباح، محمد تقي؛ **آموزش عقائد**، ص١٧٧ـ١٧٨؛ كذلك راجع: بقية كتب المؤلف نفسه، **راهنما شناسي**: ٣٦ـ٢٧؛ **راه وراهنما شناسي**: ١٠ـ١٩.

٢ـ أمين، أحمد؛ **التكامل في الإسلام**: ١ : ١٦٦، آية الله السبحاني يذكر ذلك الدليل بوصفه أحد أدلة ضرورة النبوة. السبحاني، جعفر؛ **الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل**: ٣ : ٣١ـ٣٧، محاضرات في الإلهيات، تلخيص علي رباني كلبايكاني: ٣٥٥ـ٣٥٨.

٣ـ لتوضيح أكثر راجع الإشكال الثالث على برهان الحكماء.

٢ـ إنّ هذا الدليل يفترض في المقدمة الأولى وجود الله والتطلع للكمال، وذلك ضمن إطار هدف خلق الله للإنسان، وعلى أساس ذلك ذكر بحث ضرورة الوحي في كلام العلماء بعد إثبات وجود الله وصفاته، ولكن من الأفضل ابتداءً ـ وبعيداً عن هذين المطلبين ـ أن نثبت ضرورة الرجوع لمنبع ومصدر أشمل وأوسع من مصادر المعرفة المتداولة، لكي يجد الاستدلال طريقه إلى فكر وقلب أولئك الذين لا يلتزمون بأيّ دين، ثم نستدل بعد ذلك على ضرورة إرسال الوحي.

٣ـ إنّ ضرورة إرسال الوحي ليست لإيجاد أدوات معرفية جديدة إلى جانب العقل فقط، وتوضيح ذلك قد مضى ضمن الإشكال الرابع على البرهان الأول.

٢ـ٥. الرأي المختار ـ التوعية والتحريك باتجاه الكمال

إنّ الوجه الأفضل لبيان ضرورة إرسال الوحي والرجوع إليه، هو: توفير الأدوات لرفع نواقص العقل والإرادة للوصول إلى الكمال.

ممّا يساعدنا على فهم طريق الهداية ويقوّي الدوافع لدينا للحركة باتجاه الكمال، وتوضيح هذا الكلام يأتي ضمن المقدمات التالية:

أولاً: الإنسان موجود ذوأبعاد مختلفة

الإنسان يتكون من وجود معقد، وقد بحثت هذه الحقيقة في كتب الفلسفة، وعلم النفس، والإنثروبولوجيا، ولمعرفة تلك الأبعاد المختلفة للإنسان، علينا

أن ننظر إلى الأبعاد المعرفية والعاطفية والاجتماعية والأخلاقية....،وآثارها التي تشكّل شخصية الفرد.

إنّ هذه الأبعاد المختلفة للإنسان مرتبطة ببعضها. فالناس غالباً ما يغفلون عن تلك الأبعاد الموجودة عندهم، مما يؤدّي إلى هدر تلك الإمكانات والطاقات العظيمة عندهم، بل إنّهم لا يعطون لأنفسهم الوقت الكافي للتعرّف على تلك الطاقات، فكيف يستطيع الناس أن يسلكوا طريق الكمال على أساس المعرفة الصحيحة؟

فالإنسان غير محدود ببعده المادي ، فهويتمتع إضافة لهذا البعد ببعد روحي أونفسي مجرّد، ممّا يجعل التعقيد في الإنسان أوضح، بملاحظة هذا البعد الروحي[١].

ثانياً: قابلية الكمال

كلّ بعد من تلك الأبعاد قابل للكمال، فالإنسان يستطيع أن يصل إلى الكمال المرتبط بالبعد البدني ، فيستطيع أن يستخدم طاقاته البدنية ويقوّيها، وأن يشترك في مجال رفع الأثقال والساحة والميدان، والمصارعة،....ويحصل

١ـ إن الدلائل العقلية توضح أموراً مثل: ثبات الشخصية، عدم القابلية للتقسيم، وعدم الحاجة للمكان، والشواهد التجريبية توضّح الارتباط بالأرواح، الرؤى الصادقة والتخاطر، تجرد الروح الإنسانية. راجع: آملي، حسن زادة؛ **عيون مسائل النفس**: ٣٨٩ـ٤٠٠، رجبي؛ **إنسان شناسي**: ١٠٩ـ١١٢، ابن سينا؛ **الإشارات والتنبيهات**: ٢ : ٢٩٢ـ٢٩٦.

على مراكز عالية وأوسمة رياضية كثيرة، ويستطيع إضافة إلى تنمية وتدريب جسده، أن يستفيد أيضاً من طاقاته في الكمال الروحي.

فإنّ تنمية القوى البدنية ليست وحدها ممّا يعدّ من امتيازات الإنسان، لأن الحيوانات تشترك مع الإنسان في هذه الجهة، فإن أكثر الحيوانات من ناحية القدرة البدنية تتمتع بقدرات أوسع من الإنسان.

فالإنسان إذا تدرّب على رفع الأثقال أوالملاكمة و... ، وسعى ليلاً ونهاراً لكي يقوّي عضلاته، فلن تكون له القدرة على مواجهة بعض الحيوانات الوحشية.

إنّ الكمال الحقيقي للإنسان هوفي الصفات السامية، يعني أنّ هذا البعد هوالذي يختصّ به الإنسان ويمتاز به عن الحيوانات، فالمراد من قيد (وحدها) وأنّ الحصول على كمال الجسم وحده لا يمثّل امتيازاً خاصاً للإنسان، هوإن كانت تنمية القوى البدنية أداة لتكامل البعد أوالأبعاد الأسمى للفرد أوالمجتمع الإسلامي، فإنّها ستحصل أيضاً على قيمة أفضل وأسمى.

إنّ مباحث الإنثروبولوجيا الفلسفية وفلسفة الأخلاق توضّح لنا أنّ الإنسان له أبعاد مختلفة، والبعد الروحي هوالبعد الذي له الموقع الأفضل عند الإنسان، لأن الكمال الحقيقي ليس في نموالأبعاد المادية للإنسان، التي هي رهن للكمال النفسي والروحي وبالتالي التقرّب إلى الله تعالى.

ثالثاً: طلب الحصول على الكمال

إنّ الإنسان بطبيعته يحبّ نفسه وبالتالي، يحبّ أن يشبع رغباته ويبتعد عن الآلام ويحبّ الكمال أيضاً.

إنّ حبّ النفس موجود عند الجميع وغير مخصوص بقوم أوبشعب خاص أوبفترة زمنية معينة ،إذن فإنّ حب الذات موجود عند الناس في مختلف البلدان وفي كلّ زمان ومكان، حتى الذي يقدم على الانتحار، فإنّه في الواقع يقوم بهذا العمل ليتخلّص من الأحزان الدنيوية والآلام النفسية، وهويتصور إنّه بهذه الطريقة يستطيع أن يتخلّص من آلامه الروحية.

رابعاً: طلب معرفة طريق الكمال

لأن الإنسان يحب نفسه ويطلب السعادة لها، فإنّه يبحث عن طريق الكمال ويؤدّي كلّ التعاليم التي ترشده إلى طريق الوصول إلى الكمال، وعلى هذا الأساس، فإنّ تاريخ الفكر البشري يشير إلى هذه المسألة وهي: أنّ كلّ الناس كانوا يطلبون الإجابة عن هذا السؤال، ويملؤهم الشوق لكي يبذلوا كل ما في وسعهم في هذا الطريق.

وعلى هذا الأساس أيضاً، فالكل يحبّ معرفة ذاته؛ لأنّهم يرون ذلك مقدمة لمعرفة الكمال.

خامساً: التمتع بالعقل والاختيار

الإنسان لديه عقل واختيار، وللعقل مجالات مختلفة، والمقصود من مجالات العقل هو: قوة إدراك الكليات، والقدرة على الاستدلال الذي يستعمل للأهداف المختلفة للمعرفة،ومنشأ كسب العلوم النظرية، وهذه المقدرة، خاصة بالإنسان ومنفصلة عن خصوصيات الحيوان.

الإنسان الذي يتمتع بالعقل لديه مراتب مختلفة[1] . هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ الإنسان لديه اختيار، وهنا يجب أن نؤكّد نقطتين مهمتين:

أ: إنّ المقصود من الاختيار ليس الاختيار المطلق، بمعنى أنّ الإنسان لا يستطيع أن يقوم بكلّ شيء، وفي أي وقت، بل إنّ الاختيار نسبي، ولا شكّ أنّ «**الاختيار**» غير «**القدرة**».

١ــ الغزالي؛ إحياء علوم الدين: ١: ١٠٤ــ١٠٦؛ ملا صدرا؛ شرح أصول الكافي:١ :٢٢٢ـ٢٢٩.ـ في روايات المعصومينعليهم السلام يوصف العقل بأنّه أداة لعبادة الله وكسب الجنان "العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان"، الكليني؛ الكافي: ١: ١١. ويمكن القول أن هذا التعريف يشير للمصداق الأكمل للعقل، وإن أفضل الأعمال التي يمكن أن نؤديها بهذه القدرة الإدراكية هوعبادة خالق الكون ونيل القرب الإلهي، وما نحن بصدد إثباته هو: أصل لزوم الرجوع إلى الوحي والدين، فلذا من الأفضل أن ندعَ التعريف الديني للعقل، ونعمم مفهوم العقل ونعتبره مفهوماً مشتركاً بين المتدين وغير المتدين.

وبالتأكيد يفترض أنّ هناك مقدمات كثيرة لبعض التصرفات الخارجة عن اختيار الإنسان، والتي تحصل بسبب الإنسان نفسه.

إنّ الكثير من التصرفات الاختيارية للإنسان، تكون سبباً لسلب الاختيار عمّا بعدها من الأعمال.

ومثال ذلك: الشخص الذي ليس لديه أي تمرين على رفع الأثقال، فإنّه لا يستطيع أن يرفع وزناً مقداره مائة كيلوغرام في المرة الأولى، وعدم قدرته هنا، هوبسبب اختياره السابق، فإنّه في الأيام الماضية كان قد اختار أعمالاً أخرى بدلاً من التمارين البدنية التي هي مقدمة لرفع أوزان ثقيلة، فإنّ هذه التصرفات الاختيارية نفسها، أصبحت الآن سببا لأن لا يستطيع أن يختار رفع أثقال تزن مائة كيلوغرام.

وبالتأكيد فإنّه ليس سبب عدم قدرة الإنسان على أداء بعض الأعمال، هواختياراته السابقة غير المتناسبة دائماً، بل إنّه من الممكن أيضاً أن تكون هناك عوامل وراثية لا إرادية، وعوامل بيئية وجسمية ونفسية، تكون سبباً لعدم قدرة الفرد على القيام ببعض التصرفات.

وعلى كل حال، فإنّه على الرغم من سلب الاختيار في بعض الموارد، فإنّ هنالك أفرادا أيضاً لديهم القدرة على القيام بأكثر الأعمال، ولديهم قدرة الاختيار، ولكن منشأ سلب الاختيار لديهم في أكثر الموارد هي التصرفات الاختيارية السابقة لهم.

ب: إنّ الإنسان لا بد له في كل لحظة من القيام بأعمال يختارها، وهي الأعمال الإرادية، التي لها تأثير مهم في بناء شخصية الإنسان، سواءً بالجانب السلبي أوالإيجابي، فالإنسان في كلّ لحظة وعلى أساس قراراته التي اتخذها، يكون لتلك القرارات تأثيرات في نفسيته، ولايمكن لشخص أن يدّعي إنّه يتخذ قراراً بأنّه لن يؤدّي أي عملٍ بعد الآن ويحفظ نفسه من أي تأثّر، فهذا القرار نفسه يعدّ عملاً يختاره الإنسان بنفسه أيضاً.

وعلى كل حال فما دام الإنسان حيّاً لا بدّ له من القيام بتصرفات غير محدودة. ومثال ذلك: أنّ الإنسان يفكّر، ويمشي، ويأكل الطعام، وينام، ويتحرك، ويختار عملاً، ويتكلم مع الآخرين، وفي كل تصرف من تصرفاته يُظهر شخصيته ونفسيته، وإضافة إلى ذلك فإن الأعمال الاختيارية للإنسان في زمن معيّن يكون لها أثر مهم في سلب قدرة الاختيار في القرارات المستقبلية، وبالنتيجة، فإذا كان للإنسان تخطيط وتدبير مناسب لتصرفاته وأفكاره، ويعمل على أساس ذلك التخطيط، ففي كلّ لحظة هوفي حال بناء شخصيته ومستقبله وتوجيهها إلى الجهة الصحيحة، وإلا فإنّه سيكون دائماً في حال تحطيم وتوجيه نفسه ومستقبله إلى الجهة الخاطئة.

إنّ هذا الطريق يبدأ منذ بداية الحياة ومنذ زمن الطفولة، وبالخصوص منذ بداية البلوغ، ولا يتوقف ويستمر حتى لحظة الموت.

سادساً: وجود الميول المتعارضة

إن الإنسان إضافة إلى ما لديه من قدرة الإدراك والفهم، لديه أيضاً ميول وإحساسات متعددة ومتعارضة.

إنّ الميول المادية الزائلة للإنسان تعارض في الأغلب التطلّع المتعالي له، ممّا يجعل طريق الكمال صعباً عليه.

وبعبارة أخرى: إنّ الوجدان والفطرة الإنسانية، يمكن أن تُسحق بسهولة تحت وطأة جموح النفس الأمّارة بالسوء.

سابعاً: النقص المعرفي والنفسي للإنسان في طريق الهداية

إنّ قدرة المعرفة الإنسانية، أعم من الحواس الظاهرية والعقل، وعلى الرغم من نتائجها النسبية في مقابل تأمين الحاجات المادية، فإنّه الالتفات إلى كل الأبعاد الوجودية للإنسان(الفردية والاجتماعية، المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية) نجد تلك القدرة غير كافية لمعرفة طريق السعادة الحقيقية.

إنّ المعرفة الكاملة بجميع المصالح غير ممكنة، ليس لشخص واحد أوعدة أشخاص فقط، بل لمئات المتخصصين أيضاً. فكما أنّ الإنسان لكي يحصل على أهدافه المادية، عليه أن يعرف المتغيرات المختلفة في طريقه، وأن يخطط لها بما يناسبها، فكذلك هداية الإنسان إلى طريق الكمال تحتاج إلى برنامج منظّم مع إحاطة كاملة بالمتغيرات المادية والمعنوية، الفردية والاجتماعية، الدنيوية والأخروية للإنسان، في حين أن الحواس الظاهرية العقلية ليس لديها القدرة الكافية على معرفة تلك الأمور.

وإن الوضع الروحي والنفسي للإنسان لا يُمَكّنه كذلك ـ حتى مع الإمكانات النفسية الموجودة لديه ـ أن يكون له قدرة الحركة في طريق الكمال وهداية نفسه في ذلك المسير، فمهما عمل الإنسان، فإنّه لا يستطيع أن يثبت في بحر الميول والغرائز المتلاطم الأمواج،والتجاذبات المتعارضة للنفس الإنسانية،وأن يعمل وفق توصيات العقل والوجدان، لأنّه سيصبح بكل سهولة فريسة لنفسه الحيوانية.

ثامناً: الحكمة الإلهية

إننا نحتاج إلى أداة أخرى لمعرفة طريق الكمال الحقيقي وكسب القدرة على الحركة باتجاهه، والله الحكيم لا يترك مثل هذا الإنسان القابل للكمال في الظلمات، من دون أداة للهداية.

إنّ الله تعالى الذي خلق إنساناً، مختاراً، عاقلاً، طالباً للكمال، ولديه ميول متعارضة، تحول دون أن يختار طريقه بوعي ومعرفة، فإن لم يوفر له الله تعالى المقدمات اللازمة لسلوك طريق الكمال، يكون قد جاء بعمل غير حكيم، وهذا الأمر لا يتناسب مع حكمة الله تعالى ورحمته.

النتيجة

وعلى أساس ما ذكرنا، فإنّ نزول الوحي من قبل الله تعالى ضروري، ولأنّه لا يمكن للجميع أن يحصل على الوحي بشكل مباشر من الله تعالى، فلذلك يجب إرسال الأنبياء من قبل الله تعالى[1].

خلاصة المقدمات الثمان السابقة:

الإنسان موجود معقد وقابل للكمال.

الحصول على الكمال يحتاج إلى أداة معرفية ونفسية.

إنّ العقل والتجربة والوجدان ليس لها القدرة الكافية على تحصيل تلك المعرفة والتحريك باتجاه الكمال.

١ـ للعلامة الطباطبائي برهان آخر بعنوان: **برهان الحكمة**، يبيّن فيه ضرورة النبوة، يختلف إلى حد ما عن بياننا، والإشارة إليه مفيدة في المقام: إذا ثبت وجود الخالق والصانع الذي هوأشرف وأفضل من جميع المخلوقات في نظام الوجود، فمثل هذا الخالق لا يأتي بالعمل غير الحكيم، ومن طرف آخر، لأنّ الخالق غير قابل للرؤية، فعليه أن يختار سفراء لكي يرشدوا الناس لربهم ويعلموهم مصالح ومفاسد الأمور.
هؤلاء الآمرون والناهون هم الأنبياء الإلهيون الذين يظهرون في المجتمع مع الدلائل والشواهد والبراهين على نبوتهم، مثل إحياء الموتى وشفاء المرضى و.... وهم المؤيدون من الله تعالى. (الميزان: ٢: ١٤٦؛ راجع: خليلي، مصطفى؛ **انديشة هاى كلامي علامة طباطبائي**: ٢٨٨ـ٢٩٦).

نحن نحتاج إلى أداة أخرى لمعرفة طريق الكمال، وعدم تهيئة المقدمات اللازمة للإنسان للوصول إلى هدفه، غير مناسب للحكمة الإلهية.

ونتيجة ذلك أن إرسال الوحي الإلهي ضروري.

ومن بين تلك المقدمات الثمان، فإنّ المقدمات السبع الأولى تثبت ضرورة الرجوع إلى مصدر معرفي أوسع وأشمل من المصادر المعرفية المتداولة، والالتزام به، ومع ضم المقدمة الأخيرة لتلك المقدمات تتضح ضرورة إرسال الوحي من قبل الله تعالى.

إذا ادعى شخص ـ بشأن ضرورة الرجوع إلى الوحي ـ إنّه يحبّ اتباع اللذات المادية فقط، ويعتبر هذا كمالاً له، فيمكن إجابته:

بأنّ الإنسان يبحث عن الكمال، ولكنه من الممكن أن يخطئ في معرفة مصداق طريق الكمال، ولا يمكن تعيين مصداق الكمال الحقيقي للإنسان من دون ملاك وأساس، فكيف إذا قال لنا طفل أوشاب:

أنا أرى كمالي في اللعب، أومشاهدة الأفلام، أوالتسلية، أوترك الدرس، فهل يمكن قبول ذلك الكلام؟ وهل يمكن أن يكون كماله في هذه الأمور؟

إذن لتعيين الكمال يجب معرفة حقيقة الإنسان أولاً.

إن الإنثروبولوجيا الفلسفية تشير إلى أن ميزة الإنسان وحقيقته الباقية هي الروح، والجسم بالنسبة للإنسان يعتبر أداة مسخّرة للروح، فكما أن حجم الكتاب وظاهره لا يعتبره الإنسان من امتيازات الكتاب وكماله الحقيقي،

فكذلك الأمر بالنسبة للّذات المادية الزائلة للإنسان؛ لأن الكمال الحقيقي للإنسان هو كمال النفس، وليس اللذات المادية.

ومن جانب آخر، فلأنّ الكمال المطلق يكون لله تعالى فقط، فالكمال الحقيقي للنفس الإنسانية هو تقرّب وجودي إلى الله تعالى[١].

وعلى أساس المقدمات المذكورة، يكون للرجوع إلى الوحي ضرورة منطقية(من نوع الضرورة بالقياس).

وإذا كان كسب الكمالات مطلوباً ومراداً للإنسان، والأدوات المعرفية المحركة للإنسان للوصول إلى الكمال غير كافية، فإنّ الرجوع إلى الوحي لمعرفة الطرق والوسائل الموصلة للكمال، وثم معرفة مصاديقها في الحياة يكون ضرورياً بالقياس.

١ـ للبحث بشكل مفصل، راجع: مصباح، مجتبى؛ بنياد أخلاق: ٢٣٧ـ٢٤٢.

٣

دعوى الاكتفاء بالعلم والعقل

إنّ المقدمات السابقة كان أغلبها مقبولاً عند المفكرين، وكانت المقدمة التي لها صدىً كبير لديهم وعند مجموعة من الفلاسفة الماديين والعقليين المتطرفين، هي دعوى الاكتفاء بالعلم والعقل عن الدين، وخصوصاً في عصر النهضة والتطور، حيث أبدوا تمسكاً كبيراً بها، وانجر وراءهم عدد كبير فحرموا من نعمة الدين.

إنّ ما كان يردّده علماء الغرب ومفكّروهم في هذا المجال، ونظرتهم السيئة للتدين، كان مصدره عوامل مختلفة بعضها، عبارة عن: المستوى الثقافي،والاجتماعي، والديني المتدنّي الحاكم على القرون الوسطى، والركود العلمي والفكري في ذلك العصر، والحروب الصليبية، ومحاكمة وإعدام العلماء في مختلف العلوم التجريبية، وجرائم الكنيسة بحق الناس خصوصاً المثقفين، وعلماء الفيزياء، وعلماء الفلك، والنساء،وتحريف الكتاب المقدس واشتماله على أصول عقائدية خرافية وغير عقلانية، ونمو الفكر الفلسفي والعلمي في عصر النهضة والتطور، والتحولات الكبيرة والتطور الصناعي والتقني، وتطور العلوم الإنسانية في عصر النهضة.

إنّ هذه العوامل لم تكن سبباً للابتعاد عن الدين في الغرب فقط، بل في بقية دول العالم أيضاً، تأييداً للرؤية الغربية وتبعاً للتطور الصناعي في الغرب والابتعاد عن الدين، والادعاء بأنّ عصر الدين قد انتهى، وقد أعلنوا أن دليلهم على ذلك هوالتطور التقني والعلمي والعقلي.

إنّ الاتجاه العقلي والعلمي الإلحادي بلغ ذروته في عصر التنوير الغربي في القرن الثامن عشر، وكانوا يطلقون على هذا القرن عصر العقل [1]، وقد شهد هذا العصر تطوراً في الفيزياء، والكيمياء الجديدة وعلم الأحياء.

وفي أواخر هذا القرن، كان للتطبيقات الفنية في الفيزياء، وخصوصاً في المراحل الأولى للثورة الصناعية في بريطانيا، تأثير في المجتمع.

وشهد هذا القرن تحوّلاً نوعيّاً في نظرة المجتمع الى العالم والوجود، بسبب النفوذ الواسع للعلم والرؤية العلمية [2]، ووصل الأمر في ذلك الزمان في مواجهة مواجهة الدين الى أنّ البعض لم يكن يريد حتى أن يسمع كلمة الله تعالى.

ومن الأمثلة على ذلك: إنّه في سنة ١٧٩٨، عندما كان احد المدافعين عن الدين الطبيعي يلقي كلمته في الأكاديمية الفرنسية، ارتفعت فجأة أصوات المعترضين من الحضور من كل جانب وصرخ احدهم:

«نطلب منك عدم ذكر اسم الله هنا» [3].

١ـ «Age of Reason.»

٢ـ باربور، ايان؛ علم ودين: ٧٠.

٣ـ سير تكامل عقل نوين: ١: ٣٣٤ـ ٣٣٥، نقلاً عن خردوزري: ٤٣.

فهؤلاء كانوا يرون أنّ الموجود الجدير بالعبادة هي الطبيعة، وكان «هولباخ» يقول: «إنّ الطبيعة وحدها هي الجديرة بالعبادة أيتها الطبيعة، أيتها الحاكمة على كل الوجود،وأنت أيتها الفضيلة والعقل والحقيقة التي أعزّ الآلهة تلجأ إليك، لتكوني آلهتنا إلى الأبد»[1] .

وكانت الروحية والرؤية الغالبة في ذلك العصر هي الوثوق بقابلية الإنسان لبلوغ الكمال، والحصول على المجتمع المنشود من خلال اللجوء إلى تطبيقات العلم في كل شؤون الحياة[2] .

إنّ الدكتور عبد الكريم سروش من الذين ساروا على طريق الإفراط العقلي، وهويربط بين التطور العلمي للبشر في العصر الحديث وبين عدم الحاجة إلى الدين، فيقول:

"إنّ حدثاً مهمّاً يمرّ به عالمنا اليوم، جعل الإنسان المعاصر والعالم الجديد يتميّز ويختلف عن العالم القديم، وهذا الحدث هودخول العلم في ساحة التاريخ البشري.

ولا يسعنا هنا طرح المقدمات النظرية والعملية التي أدت إلى هذا الدخول والتحوّل، وعلى كلّ حال، فإنّ بزوغ العلم أدّى إلى تغيّر ساحة التاريخ....إنّ

١ـ باربور، ايان؛ علم ودين، ص ٧٧.

٢ـ المصدر نفسه: ٧١. للاطلاع أكثر في هذا المجال راجع: فصل "حركة تدين العلماء إلى أوائل القرن العشرين" .

تفاوت المعرفة- إذا لم نقل تكامل المعرفة - أوجد هذا التحوّل العظيم في العالم، ولم يترك أيّ شيء مصوناً عن النقد حتى الدين والتدين"[١].

ثم إنّه وبصدد الإجابة عن هذا السؤال يتساءل: إنّه مع وجود هذا النموهذا الرشد للإنسان المعاصر، هل لاتزال للإنسان حاجة الى الدين؟ وهل حصل الاستغناء عن الدين ؟

وفي حال عدم حاجة الإنسان المعاصر الى الدين، فماذا يعني عدم الحاجة هذه ؟ فهويذكر بشان هذه المسألة: "إنّ ما يمكن أن نراه بوضوح هوما ظهر من استغناء مجموع البشرية عن الأنبياء وتعاليمهم".

وبعد أن طرح مسألة وضوح استغناء الإنسان المعاصر عن الدين، تطرّق للجواب عن هذه المشكلة وهي: أنّ ادعاء الاستغناء عن الدين ربما يزعج الأشخاص المتدينين، ممّا يجعلهم يتساءلون: كيف يمكن أن يكون الإنسان غير محتاج الى الدين؟[٢].

وأجاب قائلاً: "يجب أن نفرق بين الاستغناء المحمود والاستغناء المذموم عن الدين ونموذج الاستغناء المحمود هو: عدم حاجة التلميذ الى معلمه بعد التعلم، وعدم حاجة المريض الى الطبيب بعد المعالجة، ونموذج للاستغناء المذموم ادعاء عدم حاجة التلميذ إلى معلمه قبل انتهاء الدرس، وعدم حاجة

١ـ مجلة كيان، العدد٢٩، ص١٢.

٢ـ المصدر نفسه: ١٢ـ١٣.

المريض الى الطبيب قبل المعالجة". ثمّ يدّعي أن عدم حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين هومن النوع المحمود[1].

التقويم

يمكن القول في مقام الرد على الادعاء السابق: إنّه مع وجود التطور الذي حصلت عليه البشرية في مجال العلوم التجريبية: (الفيزياء، الكيمياء،الطب، الميكانيك، والكهرباء،...) والعلوم الإنسانية: (الفلسفة، المنطق، علم النفس، علم الاجتماع، الحقوق، والإدارة،...)، فإنّ الإنسان مع كل هذا التطور يحتاج في طريق هدايته إلى أدوات أخرى؛ لأنّ المصدر المشترك الذي أدّى لتطور العلوم هي التجارب العلمية والتفكير العقلاني للإنسان، في حين أنّ كلاً من هاتين الأداتين، ومع وجود الفوائد غير المحدودة لها، بسبب المحدوديات التي سيأتي ذكرها ـ لا يمكن أن تكون كافية لهداية الإنسان.

يجب التذكير بهذه النقطة وهي: أنّ نواقص العقل والعلم، لا تستلزم نفي العلم والعقل بشكل كلّي، ولا نفي فوائدهما في مجالهما الخاص بهما، بل تعني نفي أن يتجاوز العلم والعقل قدرتهما ومجالهما.

١ـ إن تفصيل رأي الدكتور سروش حول الاستغناء المحمود عن الدين وأدلّته سيأتي في فصل «دليل دعوى عدم الحاجة إلى الدين».

وعندما يدور الكلام حول محدوديات هذين المصدرين المعرفيين، يتوهم البعض إنّه كلام ضدّ العلم والعقل، في حين أنّ تعيين سعة ومجال المصادر المعرفية، يحتاج إلى منهجيّة صحيحة والاستفادة منها بشكل أفضل.

إنّ تعيين حدود ومجال العلوم، هوالخطوة الأولى لتطور العلم، وكلّما قلّ الخلط بين مجالات العلوم وحدودها، كان الطريق أوسع للوصول إلى نتائج صحيحة.

إنّ المراد بعدم كفاية العقل والتجربة لوضع برنامج لهداية الإنسان، ليس هوعدم الاعتراف بفائدة العقل والتجربة فإنّهما بلا شك قد جلبا منافع وخدمات غير متناهية للبشرية، وكثرة الاستفادة منهما من واجبات المجتمع المهمة.

إنّ الإنسان المؤمن، بالاستفادة من كلّ الإمكانات المادية، ومن ضمنها ثمار العلم والعقل، يخطوباتجاه الأهداف الإلهية، ومع استعمال كلّ تلك الإمكانات، فمن المؤكّد إنّه سيبلغ هدفه بأسرع ما يمكن.

إنّ جميع الإمكانات التي يستخدمها الفرد أوالمجتمع في مسيرتهم الإلهية إلى ما قبل الموت، تحصل في هذه الدنيا، بما فيها من الماديات والتجريبيات.

إنّ الأهداف الإلهية السامية، يمكن تحقيقها بشكل أسرع في ظل وجود جسم سليم، ومجتمع متطور ومستقل، ولديه القدرة الدفاعية اللازمة لمواجهة مختلف التحديات، ومجهز بأدوات متطورة.

إنّ التمتع بجسم سليم يحتاج إلى علم طبّ متطور، وصحة عامة، ونظام تعليم طبيٍّ أفضل.

وإنّ الوصول إلى مجتمع نموذجي، يحتاج إلى استخدام فعالٍ للعلم البشري في مختلف الأبعاد، الزراعية والصناعية، والمعادن وإعمار المدن و...

إنّ تهيئة الأجواء المناسبة للوصول إلى لأهداف الإلهية تحتاج بشدة إلى استخدام العلم والعقل، وعلى أساس ذلك، فإنّ هدف هذا البحث ليس تجاهل الأبعاد والنتائج الإيجابية للعلم والعقل، بل التذكير بمحدودية الإنسان، والنتيجة التي تتركها هذه المحدودية على العلوم البشرية.

فالمحدودية من خواص الأمور المادية، فالعين لا تستطيع أن تسمع، والأذن لا تستطيع أن ترى، واللسان لا يستطيع أن يكون وسيلة للمشي، ولكن عدم قدرة أي عضومن أعضاء البدن على القيام بوظائف الأعضاء الأخرى، لا يعني الغفلة عن العمل الخاص لذلك العضو.

فكما أننا إذا أردنا أن نحصل على عمل واستخدام إيجابي لبدن الإنسان نحتاج إلى الأخذ بنظر الاعتبار المحدوديات وقدرة كل عضو، والاستخدام الصحيح لكل منها، فكذلك الأمر بالنسبة لكل جوانب الإنسان نحتاج إلى المعرفة الدقيقة بكل معلومات العلوم التجريبية، والعقلية، وعلوم الوحي، والاستخدام الصحيح لكلٍ منها.

وقد أعطى الكتاب والسنة مِثل هذا المقام العالي للفهم البشري، فقد اعتبر الوحي مكمّلاً له وليس بديلا عنه، ففي نظر الإسلام إنّ التجربة والعقل والوحي يكمل بعضها الآخر، وتجاهل أيّ منها يوقع الإنسان في مشاكل وموانع تحول دون وصوله إلى الكمال المطلوب.

٣ـ١.نواقص العلم

إنّ العلم ليس كافياً لهداية الناس؛ لأنّه يعاني من المحدوديات التالية:

أولاً:

إنّ موضوع معرفة وحكم العلوم التجريبية يرتبط بالأمور المادية والمحسوسة، وبالنتيجة، فإنّ هذه الأداة تستطيع أن توضّح إلى حد كبير البعد المادي للإنسان، ولكنّها عاجزة عن الحكم على البعد الروحي والكمالات الأخلاقية للإنسان.

إنّ العلوم التجريبية لا تتناول مسائلَ أوسع من المسائل المرتبطة بحدودها ومجالها؛ فلا حكم لديها في المسائل الخارجة عن حدودها لا نفياً ولا إثباتاً، فمن يردّ الدعاوى التي تتناول المسائل غير التجريبية بالاستناد إلى العلوم التجريبية، كمن ينفي وجود أيّ شخص وراء الحائط الذي أمامه؛ لكونه لا يستطيع أن يرى ما وراء الحائط، أوكالأصم الذي ينفي وجود أي صوت بالاعتماد على عينه، أوكالأعمى الذي ينفي وجود حفرة أمامه اعتماداً على أذنه.

ومع وجود هذا المجال المادي الضيق للعلوم التجريبية، فإنّ هذه العلوم لا تملك الصلاحية الكافية لوضع برنامج لهداية البشر إلى الكمال؛ لأنّ الإنسان مركّب من بعدين، ويجب أن يشتمل برنامج هدايته على هذين البعدين وارتباطهما ببعضهما، والعلم ينظر إلى الإنسان من بعد واحد، فإنّه يلاحظ فقط مصلحة البعد المادي للإنسان، في حين أنّ وضع برنامج للهداية مرهون

بملاحظة جميع الأبعاد الوجودية للإنسان، وعلى سبيل المثال: نحن لا يمكن أن نتوقّع من طبيب الأمراض الجلدية أن يعطينا جميع الإرشادات الطبية، وأن نعتبره مرجعا موثوقاً لجميع الأمراض الجسدية، لأنّ الجلد هوجزء من أجزاء بدن الإنسان، وليس بجميعه. وكذلك نحن لا نتوقع أن نحصل على جميع التعاليم اللازمة للروح والبدن من متخصصٍ في البدن فقط.

ثانياً:

على أساس المحدوديات السابقة، فإن علاجات العلوم التجريبية في مجال الأمور المادية للبشر ،لا يمكن أن تكون مقبولة في كل الموارد أيضاً؛ لكونه مركّباً من بعدين، ولأنّ الروح مرتبطة بالجسم والكمالات المادية والأخلاقية، فإن ذلك يقتضي أن تكون نتائج العلوم التجريبية في المجال الذي تتابعه لا تسبب ضرراً للبعد الروحي والأخلاقي للإنسان، أما عند الاحتمال أو الوثوق بالضرر، فإنّ الاعتماد على نتائج العلوم التجريبية يكون عملاً غير عقلائي.

كما أنّ الأمراض التي يحتمل في علاجها الإضرار ببعض أعضاء الجسد، تتطلّب أن تنعقد لجنة من الأطباء؛ تأخذ بنظر الاعتبار كل جوانب المسألة، وتقدّم توصياتها للمريض، فكذلك يجب ملاحظة بقية الجوانب الكمالية للإنسان عند العمل بالتوصيات والنصائح المادية وتقوية الأبعاد الجسدية للإنسان.

وعلى سبيل المثال، فإنّه على أساس العلوم التجريبية ونصائح الطبيب أنّ تناول الطعام عند الجوع مفيدٌ ومناسبٌ وضروريٌّ ـ ولو كانت قيمته باهظة ـ ولكنه إذا كان بقربك شخص محتاج وجائع، فإنّ الأخلاق والكمال الإنساني والروحي يوجب عليك أن تقدم المساعدة للمحتاج، ولو أدّى ذلك إلى النقصان في طعامك، بينما إذا كنا ننظر لحاجة البدن فقط، فيجب أن نتجاهل الفقير.

وبالنسبة لحجاب النساء أمام غير المحارم من الرجال، فإنّه من الناحية الظاهرية والجسدية أمر صعب ومربك ومؤذٍ للمرأة وخصوصاً في حرّ الصيف، فهل يمكن أن يكون هذا الأمر دليلاً كافياً لتجويز السفور في الشوارع وأماكن العمل؟

فالجواب: لا؛ لأنّه من الممكن أن يكون السفور من بعض الجهات والأهداف الدنيوية البحتة له آثار ايجابية للمرأة، ولكنه ليس بمصلحة الفرد والمجتمع، بسبب ما يستتبع من آثار سلبية ومعنوية وأخروية، مما يؤدّي إلى الفساد الأخلاقي.

وعندما يحرّم الإسلام بعض الأفعال، فإنّه ينظر إلى محصّلة تأثيراتها في طريق الكمال.

وفي هذا الإطار نذكر على سبيل المثال، ما أشارت إليه الآيات القرآنية من الحكمة في حرمة شرب الخمر ولعب القمار حيث قال تعالى:

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ ومَنافِعُ لِلنَّاسِ وإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما ... كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الأياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[١]

تشير الآية الكريمة إلى أنّ الإسلام يهتم في أحكامه بالأبعاد الإيجابية والمادية للأمور المرتبطة بالإنسان، ولكنّه أحياناً يلاحظ الجوانب المختلفة للإنسان، فينظر إلى محصّلة طرفي الإيجاب والسلب، فإن رجحت كفّة السلب فالإسلام يجعل ذلك العمل حراماً.

فإنّه إضافة إلى أن العلم التجريبي ليس لديه إمكانية معرفة الأبعاد غير المادية للإنسان، فإنّ تبعية الإنسان المطلقة للقوانين المادية غير صحيحة بسبب الارتباط الوثيق للأبعاد الوجودية للإنسان، إلّا إذا كنا على اطمئنان بأنّ بعض الموارد لا تسبب الضرر للأبعاد الأخرى للإنسان.

ثالثاً:

إنّ وضع برنامج لهداية البشر، منوط إضافة إلى معرفة الأبعاد الروحية للإنسان، بملاحظة بقية الأمور غير المادية للعالم، مثل الله والآخرة، ـ على فرض إثبات وجودها ـ، إنّ من يكون في مقام إعطاء الكمال للإنسان، يجب أن يحيط ـ إضافة إلى الإمكانات والأبعاد الوجودية للإنسان ـ بالإمكانات المادية وغير المادية المحيطة بالإنسان حتى يستطيع أن يضع برنامجاً شاملاً.

١ـ سورة البقرة: ٢١٩ .

إنّ العلم ليس لديه القدرة على الإجابة عن جميع الأسئلة والمشاكل والأسرار المرتبطة بالإنسان، ففي العقود الأخيرة، أيّد بعض العلماء التجريبيين هذا الكلام، وكان أحد المحققين المعاصرين يقول:

"في عام ١٩٩٨ كنت حاضراً في مؤتمر، قال لي عالمان من كبار علماء الكونيّات بصراحة إنّهما توصلا في بحوثهما في السنوات الأخيرة إلى نتيجة هي: أنّ العلم لا يمكن الاكتفاء به، ويجب الرجوع إلى الله في الإجابة عن الكثير من الأسئلة والإشكالات"[١].

سؤال: هل يمكن للعلوم بسبب ارتباطها ببعضها أن تعطي رؤية كلية للعالم؟

الجواب: **أولاً:** لا يمكن إنكار ارتباط العلوم التجريبية ببعضها، ولكنّ هذا الارتباط لا يمكن أن يؤدي إلى الرؤية الكلية، بل إنّه يكون سبباً لبيان أكثر دقة في الحكم على أمور تجريبية جزئية، وعلى سبيل المثال فإنّ علم الفسيولوجيا له ارتباط بعلم البيولوجيا، أوعلم الميكانيك بعلم الرياضيات، ولكنّ هذا الارتباط من نوع(الارتباط السابق واللاحق)، يعني: (أنّ بعضها مقدّم وأساسي بالنسبة للآخر، وكنموذج فقط، فإنّ الرياضيات علم أساس لعلم الميكانيك، والبيولوجيا علم أساس بالنسبة للفسيولوجيا) ومثل هذه العلوم تهيّئ المقدمات اللازمة للبحث التجريبي في العلوم اللاحقة لها، ولكنّ هذا لا يعني أن تضع العلوم اللاحقة الرؤية الكلية للوجود والإنسان.

١ـ كلشني، مهدي؛ روزنامه كيهان، ١٣٧٥/١١/٧ و١٣٧٨/٤/٢٢ هـ.ش.

ثانياً: إنّ التجربة والعلوم التجريبية ـ إضافة إلى إنّها لا تملك رؤية كلية للعالم ـ عاجزة عن إعطاء حكم كلي وقاطع في مجال الأمور المحسوسة والتجريبية أيضاً، فإنّ التجربة أقصى ما يمكن أن تقوله لنا: إنّ حصيلة التجربة إلى الآن هي بهذا الشكل، ولكن هل هذا الجواب سيبقى في المستقبل كذلك، وسوف لا تستجدّ تجربة تنقض هذه النظرية أوتلك؟ إنّ هذا هوالسؤال الذي لا زالت العلوم التجريبية ساكتة عنه وعاجزة عن الإجابة عنه، وإذا كان علماء التجربة قد أعطوا حكماً كلياً، فإنّهم قد تقدموا خطوات أوسع من التجربة، واستفادوا من العقل، فإنّ الرؤية والنظرة الكلية حتى في الأمور التجريبية توضع بواسطة العقل.

٣ـ٢. نواقص العقل

إنّ العقل من الأدوات المهمة التي وضعت في متناول البشر، ولكنّ هذه الأداة لا يمكنها أن تضع برنامجاً كاملاً لهداية البشر.

إنّ الرؤية الجزئية هي من محدوديات العلم، وهي منتفية بالنسبة للعقل وإنّ العقل له القدرة على الرؤية الكلية، فالعقل يستطيع أن يخطوخطوات أبعد من مستوى جزئيات الأمور المادية وينظر إلى الأمور بنظرة ورؤية كلية، وأن يفكر بهدف الحياة وكيفية استخدام الأدوات والإمكانات المتوفرة، ولكنه على الرغم من قدرته على الرؤية الكلية، يعاني من محدوديات أخرى تبين عدم إمكان الاكتفاء به لوضع برنامج كامل لهداية البشر، ويمكن أن نذكر بعض محدودياته ومشكلاته كما يلي:

أولاً:

إنّ العقل له القدرة على معرفة البعد غير المادي للإنسان والأمور غير المادية للعالم، فإنّه ليس كالعلوم التجريبية التي حددت رؤيتها في مجال عالم المحسوسات فقط، ومع هذا فإنّ العقل ليس له القدرة على المعرفة الكاملة للبعد غير المادي للإنسان أوالعالم.

إنّ العقل يدرك الكليات أيضاً في الأمور الأخلاقية وما يرتبط بهداية الإنسان، ولكنه عاجز عن إدراك كلّ جزئياتها، وعلى سبيل المثال، فإنّ العقل يثبت وجود الله وكونه تعالى غير مادي، ولكنه عاجز عن الإدراك التفصيلي لصفات الله تعالى.

وأيضاً فإنّ العقل يثبت أصل وجود الآخرة وعالم ما بعد الموت، ولكنّه عاجز عن بيان جزئيات عالم البرزخ والقيامة والجنة والنار، فمن جانب لا ينكر العقل وجود عالم الآخرة بل يثبته، ومن جانب آخر يرى نفسه عاجزاً عن فهم جزئياته، فإنّ الواقعيات الجزئية المرتبطة بعالم الآخرة خارجة عن إدراك العقل البشري.

إنّ العقل يدرك الأصول الكلية للقيم الأخلاقية والارتقاء المعنوي للإنسان، ولكن ليست لديه القدرة الكافية على إيجاد الطرق والوسائل الجزئية للوصول إليها. فبينما يدرك العقل حسن العدالة وقبح الظلم، نجده أحياناً يواجه صعوبة في تشخيص مصاديق الظلم والحق والعدالة.

إنّ العقل يدرك ويؤيّد حسن تقوية البعد المعنوي عند الفرد والمجتمع، وتقليل تعلّق القلب بالدنيا والمال والشهوة و...، ويدرك حسن الإيثار ومساعدة المظلومين والمحرومين والصبر والمقاومة، والشجاعة في طريق الوصول الى الأهداف السامية، ومواجهة الظلم والفساد، وبسط العدالة في المجتمع، ويدرك أهمية التوجّه الى الكمالات الروحية وإيصالها إلى حدّ الفعلية على مدار الحياة و...

ومن جانب آخر فإنّ العقل يذم ويدرك قبح الصفات الأخلاقية السلبية مثل: النفاق وإيذاء الآخرين والغيبة والتهمة والقتل والسرقة، والحب الشديد للمال والشهوة والشهرة والتضحية بكلّ شيء في سبيلها، ويدرك أيضاً قبح البخل والحسد والرياء والتملّق والعجب ونسيان الأبعاد الروحية للإنسان و...

فإنّ العقل مع إدراكه للقيم الأخلاقية يحتاج إلى الوحي لمعرفة جزئيات طريق الكمالات الأخلاقية.

وإنّ الدين لم يأتِ ليضع العقل جانباً، بل لمساعدة العقل لكي يصل الإنسان إلى الكمالات التي يعتبر العقل الوصول إليها فضيلة.

سؤال: ألا يمكن للعلم والعقل أن يتعاونا، وأن يجعلا الإنسان غير محتاج إلى الوحي، بأن يتكفّل العلم بالجزئيات والعقل بالكليات؟

الجواب: إنّ العلم يدرك إلى حدٍ مّا جزئيات العالم المحسوس، والعقل يدرك إلى حدٍ ما كليات العالم المحسوس وغير المحسوس، ولكنّ العقل لا يملك القدرة الكافية على إدراك جزئيات الأبعاد غير المادية للإنسان والعالم،

وكيفية الارتباط بين الجوانب المختلفة للإنسان، والطرق والوسائل الجزئية للحصول على الهداية والكمال وكسب الفضائل الأخلاقية.

إنّ وضع برنامج تفصيلي لهداية الإنسان يحتاج إلى مصدر لديه إحاطة أشمل بمختلف الأبعاد الوجودية للبشر.

إضافة إلى ذلك، فإن للعقل محدوديات أخرى سنشير إليها في هذا الفصل.

إنّ القرآن الكريم يشير إلى الدور المعرفي للوحي في فهم عالم الغيب فيقول تعالى: ﴿وما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ولكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾[1].

فجميع الناس ليس لديهم القدرة على معرفة الغيب، لذلك اختار الله من بين عباده البعض لاستلام تلك الأخبار الغيبية وإيصالها إلى الآخرين.

وكذلك يقول الله تعالى:

﴿كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا ويُزَكِّيكُمْ ويُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ ويُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ وعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾[3].

فالعقل لا ينكر الواقعيات التي لم يصل إليها، فلا يوجد عاقل يدّعي أنّ ما لا يدركه غير موجود قطعاً، بل على العكس، فكلّما تقدّم الزمن أدرك الإنسان

١ـ سورة آل عمران: ١٧٩.

٢ـ سورة البقرة: ١٥١ .

٣ـ سورة النساء: ١١٣ .

عجزه أكثر، ومن المعلوم أن أعقل وأعلم الناس الذين اعترفوا بضعف عقولهم.

ثانياً:

إنّ جعل أيّ حكم أونظرية يقبلها العقل، يختلف عن بيان قيمتها ودليلها العقلي.

وبعبارة أخرى: (هناك اختلاف بين الإنشاء الابتدائي للحكم، والإدراك العقلي للحكم الذي تمّ تبيينه من مصدر آخر)، وعلى سبيل المثال، فإنّ تصميم أوبناء صرح تاريخي مقاوم، يختلف عن إدراك جماليته وانسجامه وقوّته، فهناك أشخاص كثيرون يستطيعون إدراك جمال المبنى وقوّته، ولكنهم لا يستطيعون تصميمه وبناءه.

ولكنّ من لديه قدرة التصميم هوالمعمار الماهر، فالعقل كذلك لديه قدرة اكتشاف الحكمة من الأحكام الشرعية، ولكنه عاجز عن جعل الحكم ابتداءً.

إنّ وضع قانون محكم ومتقن أصعب بكثير من الكشف عن حكمته وفائدته ومعرفته، كما أن وضع نظرية معينة أصعب من فهمها وتحليلها.

فالعقل وإن كانت لديه القدرة على كشف الحكمة من الأحكام الشرعية، لكنه ليس لديه القدرة على بيان ووضع تلك الأحكام ابتداءً.

إنّ العقل يدرك في موارد كثيرة الملاكات الموجودة في الأحكام الشرعية، ولكنه لا يستطيع كشف هذه الأحكام وحده.

ثالثاً:

إنّ أغلب الأحكام العقلية التي تعرض في العلوم الإنسانية(علم النفس، وعلم الاجتماع، والحقوق، والعلوم السياسية و...)وإن كانت تعتبر في الظاهر أحكاماً عقلية، ولكنها ليست عقلانية تماماً، بل تستند على مقدمات تجريبية، ولأنّ الإنسان يغفل عن مقدماتها التجريبية، أوليس لديه معرفة قطعية بها، فإنّه يقع في الخطأ.

هذه الأحكام ليست ناشئة من العقل بشكل مستقل، بل إنّها مستفادة من العلوم التجريبية أيضاً.

ونشير إلى نموذج صغير في المقام:

أحياناً يتصور الإنسان إنّه بحكم العقل يجب المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في الحقوق الاقتصادية، ويجب أن لا يكون هناك اختلاف بينهما؛ لأنّ كليهما إنسان، هما مولودان من أب وأم واحدة، ولكن هذا الحكم بسيط وساذج.

فيجب أولاً أن نوضّح ما هومنشأ الحق؟

إن الجواب القطعي للعقل عن هذا السؤال هو: إنّه إذا كانت أسباب نشوء الحقوق الاقتصادية لشخصين متساوية، فيجب أن تكون حقوقهما متساوية، ولكن إذا كانت تلك الأسباب مختلفة ومتفاوتة، فإنّ معلولاتها(الحقوق) ستكون مختلفة، وحق كلّ شخص سيكون متفاوتاً عن حق الآخر.

فهل أسباب نشوء الحقوق الاقتصادية للمرأة وللرجل واحدة؟

هنا لا يمكننا الحكم وحدنا، فيجب أولاً أن تثبت لنا العلوم التجريبية موارد الاختلاف والاتفاق بين المرأة والرجل، وبيان وظيفة كل منهما في المجتمع من نشوء الطفل، وتشكيل العائلة، واستمرار الأجيال البشرية، والمسائل الاجتماعية، حتى يستطيع العقل أن يعرف الموارد التي يكون الرجل والمرأة فيها متساويين.

إذا كان منشأ الحق للرجل والمرأة هوأحد الوجوه المشتركة بينهما، سيكون الحق لهما متساوياً أيضاً، وإذا كان منشأ الحق لهما هوإحدى جهات الاختلاف بينهما فإنّ الحق سيكون مختلفاً، فإذا كانت مصلحة النظام الأسري في حرية المرأة وإجبار الرجل على تأمين الحاجات الاقتصادية للعائلة، فإنّ إعطاء مثل هذا الامتياز الاقتصادي للمرأة يجب أن يقابله إعطاء امتياز اقتصادي آخر للرجل.

وعلى كل حال، فإنّ العقل لا يمكن أن يتتبع جميع موجبات نشوء الحق وموارد الاشتراك والافتراق بين الرجل والمرأة، لأنّه يتعامل مع المفاهيم الكلية، لذا لا يستطيع أن يحكم في كلّ الموارد الخاصة، إلا إذا حصلت مقدماتها من العلوم التجريبية والحسية[1].

لذلك، فمع وجود النتائج المهمة والقيّمة للعلوم الإنسانية التي حصل عليها الإنسان، ولكن للاستفادة منها يجب الأخذ بنظر الاعتبار المسألة المهمة التي

١ـ يزدي، مصباح؛ قلمرو دين، موقع أنديشة قم:

http:// andishe/٪٢٠qom/٪٢٠٨٢_١٠_١٣_\Index.htm

ذكرناها ، ومن أكثر الأسباب التي زادت في عامل خطأ العلوم الإنسانية بالنسبة للعلوم التجريبية المحضة، هوعدم التوجّه لهذه المسألة.

٣ـ٣. النواقص المشتركة للعلم والعقل

إضافة إلى المحدوديات المختصّة بكل من العلم والعقل التي ذكرت سابقاً، هنالك أيضاً نواقص أخرى مشتركة بين العلم والعقل تحول دون مقدرتهما على الهداية، وهي:

أولاً:

إنّ جهل الإنسان في مجال العلوم التجريبية والعقلية أكثر بمراتب من معرفته بها.

وكلّما كسب الإنسان معرفة أكثر، لمسَ أكثر تلك الأعماق غير المكتشفة والمجهولة للوجود.

ولذلك فإننا نرى أنّ العلماء على طول التاريخ اعترفوا بضعف العقل والتجربة، فابن سينا يعتبر أنّ أحمق الناس الذي إذا سمع بشيءٍ سارع إلى إنكار وجوده، ويرى إنّ الإنسان العاقل لا ينفي وجود شيء ما لم يتضح له عدم إمكانه، بل يضعه في بقعة الإمكان ، وكان يقول: «فضعه في بقعة الإمكان».

وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان ـ على الرغم من قدراته المعرفية ـ لديه محدوديات أيضاً.

بل ولأن الإنسان موجود محدود أساساً ، فكذلك معرفته وعقله محدود، لذا لا يمكن وضع برنامج هداية يحدّد مصير الفرد الاعتماد فقط على معارف الإنسان الذي جهله أكثر من علمه بمراتب[1] .

ثانياً:

إنّ نتائج العلوم التجريبية مقبولة ضمن إطارها ومجالها، والأمور المادية أيضاً يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الفرضيات التي تمّ إثباتها، أوالتي هي محلّ اتفاق أكثر العلماء التجريبيين، والفرضيات التي لم تثبت أوالمردودة؛ فإنّ الأولى هي فرضيات محدودة وليست قضايا وقوانين كافية لهداية البشر، وأمّا الثانية فهي وإن كانت كثيرة إلا إنّها غير جديرة بالاعتماد عليها.

وإنّ نظرة لتاريخ العلوم تظهر لنا إنّها مليئة بالنظريات والفرضيات المتعارضة والمردودة، وأنّ كثيراً منها محلّ للبحث والاختلاف.

إنّ المحدودية أعلاه تجري أيضاً في باب العقل؛ ذلك إنّ التفكير العقلي للبشر ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: القضايا البديهية التي تعتبر نتائجها قطعية ويقينية (مدركات العقل النظري مثل: استحالة الاجتماع، وارتفاع النقيضين، والكلّ أكبر من الجزء، والمعلومات الحضورية للإنسان مثل: علم الإنسان بحالاته النفسية

١ـ ملا صدرا الشيرازي؛ الحكمة المتعالية: ١: ٣٦٤.

ووجوده، وكذلك مدركات العقل العملي مثل: قبح الظلم، وعبادة النفس، والبخل، والحسد، وحسن العدل، والإيثار وعبادة الله.

وقضايا نظرية قطعية مبنية على مقدمات واضحة ومثبتة.

والقسم الثاني: قضايا نظرية غير قطعية وغير مثبتة، وادعاءات عقلانية كثيرة ومحلّ اختلاف.

ومن بين هذين القسمين يمكن الاعتماد غلى القضايا التي من القسم الأول ولكنها قليلة، وغير كافية لوضع برنامج هداية للبشر.

وأما القسم الثاني فإنّه يحتوي على قضايا غير محدودة ، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها.

إذن لا يمكن الاعتماد بشكل كامل على العقل والعلم في هداية الإنسان وإجراء برنامج قابل للاعتماد.

فكيف يمكن أن تسلِّم أزمّة أمور الهداية لنظريات متعارضة ومردودة علمياً، أوقضايا غير قطعية وقابلة للخطأ عقلياً وتشتمل على الكثير من الادعاءات العقلية؟

ألم يوضّح لنا تقادم الزمن النتائج الوخيمة للاعتماد على الآراء المشكوكة؟ ألم يعترف الإنسان ويسلّم أكثر فأكثر بعجز قدراته المعرفية؟

نحن نرى تحوّلاتٍ جدّية وتبدلاً كامل في آراء أكبر الفلاسفة، وعلى سبيل المثال فإنّ فيتجنشتاين كان له رأيان مختلفان ومتضادان في مرحلتين مختلفتين من حياته، وفي كلّ مرحلة كان لأفكاره ونظرياته تأثير كبير على

التفكير الفلسفي في عصره في الغرب، فإنّه في البداية طرح نظرياته التي أثرت وحوّلت بوصلة التفكير الفلسفي لمفكري عصره باتجاه نظريته، وبعد ما يقارب عشر سنوات اختار السكوت والإمتناع عن بيان أي رأيٍ ونظرية فلسفية، ثم طرح مرة أخرى نظرية جديدة فنّد فيها جميع نظرياته السابقة، وكان لنظريته الجديدة تأثير كبير كنظريته السابقة، وحوّلت اتجاه التفكير الفلسفي السائد باتجاه نظريته الجديدة.

ومثال آخر: فإنّ جون ديوي مرّ بثلاث مراحل في حياته، ترك فيها ثلاث نظريات مختلفة.

فمع وجود مثل هذه التحوّلات الفكرية الشديدة عند الفلاسفة والمفكرين المشهورين في العالم، كيف يمكن الاعتماد على النظريات العقلية غير القطعية، وان تسلّم لمثل هذه العقول مهمة وضع برنامج كلّي أوجزئي لهداية وكمال البشر، فضلاً عن عقول الآخرين؟

ولكي نطّلع على قابلية خطأ العقل في مجال النظريات (لا البديهيات) يكفي النظر في النظريات المتعارضة للمفكرين في طول الحياة البشرية.

إنّ من يتصفّح قصة تاريخ الفكر البشري تظهر له تقلّبات فكرية عجيبة، مما يبين قابلية العقل للخطأ.

وإذا رسمنا خطاً بيانياً للتحوّلات الفكرية في الفلسفة الغربية سنرى فيه نقاط ارتفاع وانخفاض كثيرة، ففي فترة ما كان بعض الفلاسفة المشهورين مثل: ديكارت، وكانت، وهيجل، يعزفون على أنغام الاتجاه العقلي المطلق،

وينظرون إلى الإنسان والعالم من هذا المنظار فقط، وبعد مدة وقفوا على أخطائهم وعرفوا بعض محدوديات رؤيتهم واتجاههم العقلي، وفي المقابل كان بعض الفلاسفة مثل جون لوك وباركلي وهيوم يتبّعون الاتجاه الحسي المتطرف، وبعد مدة انتبه الآخرون لأخطاء الحسّيين وأعرضوا عن نظرتهم واتجاههم الحسّي.

إنّ الإنسان مرّ بتجارب مريرة من القرون الوسطى حتى عصر النهضة والتطور، وبدأ يعيش عصراً جديداً بقي فيه متردداً في اختيار الطريق الصحيح من المدارس الفكرية السابقة، بسبب نظرته إلى طرفي الإفراط والتفريط عند الاتجاهات الفكرية السابقة، فتارة تقوده نظرته تلك إلى الحيرة والنسبية المطلقة، وتارة تقوده إلى التعديل والإصلاح في الاتجاهات الفكرية السابقة.

وفي فترة معينة يأتي نيتشه ويتكلّم عن موت الله، ويأخذ معه مجموعة من مؤيّديه، وبعد مدة نراه ينهزم ويُسحق تحت عجلة نقد الآخرين له، وفي فترة أخرى نرى أنّ الماركسية تتسلّم زمام السيادة في الفكر والسياسة، ولكنّها لا يمضي عليها وقت طويل حتى تهزم في المجال النظري والعملي.

ففي كلّ عصر نرى أنّ هناك نظريات سائدة تبعاً لعددٍ من المفكرين المشهورين، تجد لها روّاداً وأتباعاً تقودهم تلك النظريات وتأخذهم في دوّامتها.

ويمكن مشاهدة ذلك بنظرة إلى تاريخ القرون الوسطى وعصر النهضة والحداثة، وما بعد الحداثة، فمع وجود تلك الخلافات الشديدة والتعارض

بين نظريات الفلاسفة في العصور المختلفة، بل وحتى التعارض في نظريات وأفكار الفيلسوف الواحد في زمان وعصر واحد، ومع كل هذا كيف يمكن القول: إنّ العقل يكفي وحده لوضع برنامج لهداية البشر؟

فمع أن الأخطار الناشئة من أخطاء العلوم التجريبية أشد بمراتب من أخطاء العلوم العقلية للوهلة الأولى؛ لأنّ اشتباهات وأخطاء النوع الأول تؤدّي إلى الأضرار المادية المحسوسة كحد أعلى وبشكل سريع، إلا أنّ النوع الثاني ـ وان كان لا يمكن الإحساس بأخطاره إلّا بعد مضي زمان طويل ـ يؤدّي إلى مسخ الشخصية الإنسانية وانحرافها.

وإذا كان من المفترض أن نأخذ دروساً من تجارب البشر، وأن نعتمد فقط على العقل المليء بالأخطاء لهداية البشر فإنّ ذلك سيكون أكبر خطأ نقع فيه.

تُرى هل الإنسان بضاعة رخيصة حتى يترك زمام هدايته بيد أيٍّ كان؟

سؤال: مع الأخذ بنظر الاعتبار محدوديات العقل، لماذا نعتمد عليه في بعض المسائل، ونعتبره مورداً للاطمئنان؟

الجواب: إنّ جميع الأخطاء التي ذكرت تقع في دائرة الأحكام غير القطعية وغير المبنية على البديهيات، إنّ القضايا النظرية غير القطعية يجب التدقيق

فيها، وأن تؤسَّس على بديهيات أولية، لأنّ البديهيات الأولية غير قابلة للخطأ[١].

إذا وضعنا مثل هذه القضايا حجر أساس للمعرفة، فإننا نستطيع أن نصل إلى نتائج قطعية، لكنّ هذه النتائج لا تصل إلى حدٍ كافٍ لوضع برنامج جزئي لهداية وكمال البشرية، وبغضّ النظر عن البديهيات الأولية المرتبطة بالعقل النظري، فإنّ في مجال العقل العملي توجد أيضاً قضايا عقلائية واضحة ومحل اتفاق عند كل البشر، مثل القيم الأخلاقية الإيجابية والسلبية التي أشرنا إليها سابقاً.

إنّ أكثر الاختلافات والفرضيات المشكوكة مرتبط بالأمور التي يكون فيها العقل في مقام بيان الطرق والحلول الجزئية، وعلى هذا الأساس نحن لا نستطيع أن نعطي أونضع برنامجاً جامعاً وكاملاً لهداية البشر بالاعتماد على العقل فقط، وإهدار كلّ ما لدينا من إمكانات على أعتاب مثل هذا البرنامج.

ثالثاً:

إذا غضضنا النظر عن بعض النتائج العلمية والعقلية غير المعتبرة ونظرنا إلى الجانب المعتبر منها، فإنّه لن يحصل منها التنمية العقلية والعلمية المطلوبة بحيث يستطيع الجميع الاستفادة منها في طريق هدايتهم.

١ـ إنّ بيان علّة عدم قابلية البديهيات الأولية للخطأ خارج عن محل بحثنا.. للاطلاع أكثر يراجع : مصباح، محمد تقي؛ آموزش فلسفة: ١: ١٥١ـ ١٥٧؛ حسين زاده، محمد؛ معرفت شناسي: ١٢٤ـ ١٢٧ و٤٣ـ ٤٨.

وفي هذا المجال نجد أيضاً الإنسان لديه القدرة على الإدراك والفهم العلمي والعقلي فقط، بمعنى أنّ لديه الاستعداد للفهم، ولكن هناك فاصلة كبيرة بينه وبين جعل تلك الاستعدادات فعلية، فالكثير من الناس غافلون عن تلك القابلية العلمية والعقلية لديهم، ففي مثل هذا الوضع كيف يستطيع الإنسان أن يضع جميع إمكاناته الوجودية في خدمة الإدراك والفهم التجريبي والعقلي لديه بشكل مطلق.

سؤال: إذن هل يمكن الرجوع إلى نتائج آراء المتخصصين الذين استطاعوا أن يستخدموا خبراتهم ويستفيدوا من قدراتهم؟

الجواب: كما مضى سابقاً، إنّ الآراء القطعية أوالراجحة لأولئك المتخصصين قليلة وغير كافية لوضع برنامج هداية للبشر، والآراء المشكوكة والفرضيات غير الثابتة لأولئك المتخصصين لا يمكن أن تكون مرجعاً موثوقاً ومقبولاً.

ومع صرف النظر عن أننا بين آراء المفكرين المختلفة لا نعلم أيّ رأي نقبل به للحصول على برنامج عملي للوصول إلى الكمال، فإنّه لا يوجد دليل على ترجيح بعض تلك الآراء على الآخر بسبب عدم قطعية تلك النظريات والآراء، والخطر الكبير الناتج عن صرف كل طاقات وإمكانات الإنسان الوجودية في مثل هذه الطرق المشكوكة.

رابعاً:

إنّ العلم والعقل يستطيعان الحصول على نتائج من خلال إدراك بعض الواقعيات، ولكنهما من الممكن أن يحصلا عليها متأخراً، وإن البشرية

تستطيع معرفة الخطأ والصواب في طريق الهداية من خلال استعمال مناهج مختلفة وأحياناً عقلانية متضادة، وبالاستفادة من طريق التجربة والخطأ والمشاهدة العينية، ولكن هذا الطريق سوف يستلزم التضحية بالكثير من طاقات وإمكانات البشرية مع عدم تحقق الكثير من الكمالات الإنسانية.

إنّ البحث عن برنامج أودستور لهداية البشرية هوكالحصول على نصائح للوقاية من الأمراض أوعلاج الأمراض الفعلية، فالإنسان العاقل لا يقبل لنفسه أن يصبر إلى آخر عمره للحصول على وصفة لعلاج مرض ابتلي به من بداية طفولته؛ لأنّ الإنسان يجب أن يخضع في جميع تصرفاته لبرنامج هداية معتبر من بداية عمره وخاصّة بعد البلوغ؛ لكي يرتقي في مدارج الكمال.

فكلّما تأخّر الإنسان في الحصول على برنامج ودستور لهدايته ليعمل به، فإنّه سيصل إلى كمال أقل، بل إنّ فرصة الحصول على الكمال واكتشاف طاقات الإنسان معها تقلّ مع عبور مراحل الفتوة والشباب والكهولة.

إنّ مقدمات الكمالات الأخلاقية والمعنوية والتربوية والشخصية يجب أن تتوفر في السنوات الأولى للحياة؛ فإذا تعرّف شخص في سن الكهولة أوالشيخوخة على قيمة التعاليم الدينية وهوفي تلك السن، فكيف له أن يستفيد منها الفائدة الوافية، فهوفي مثل هذه السن قد فقد الكثير من قدراته وقد اكتملت شخصيته.

إنّ ضياع وقت الإنسان الباحث عن الكمال يعتبر خسارة عظيمة غير قابلة للتعويض، فالإنسان لا يستطيع الصبر حتى يتقدّم العلم والعقل، أوأن تنتهي

البشرية، ثم يحصل على نتائج ذلك التقدم لطريق هدايته. فإذاً إذا كانت الاستفادة من بعض التعاليم تساعد على رقي البشر وجب الحصول عليها بأسرع وقت، والعمل بها فوراً.

إنّ القرآن الكريم هووصفة الهداية التي أراد الله تعالى بها أن يضع أمامنا النصائح اللازمة لكمال الإنسان من بداية حياته، ونحن نشاهد أنّ تعاليم الإسلام تستند على المصالح التي اكتشفت تدريجياً على مدار التاريخ، وعلى سبيل المثال فإنّ الكثير من الأحكام والآداب والنصائح المرتبطة بالجسم والصحة، وبشكل عام كلّ التعاليم والنصائح المادية للإسلام نالت بالتدريج تأييد العلوم التجريبية، ولكنّ تأييد العلوم التجريبية جاء بعد مئات السنين من ظهور الإسلام، وربما نرى في المستقبل مثل تلك التأييدات العلمية والعقلية الجديدة لأحكام الإسلام.

نماذج من تلك الأحكام:

١ - إنّ الإسلام حرّم أكل لحم الخنزير، واكتشف العلم اليوم أنّ لحم الخنزير مضر للإنسان من الناحية الصحية.

٢- في بعض الدول مثل الصين نظّم العديد من غير المسلمين برنامجهم الغذائي على أساس العادات الغذائية للمسلمين، لأنّ التحقيقات الطبية في ذلك البلد أظهرت أنّ الابتلاء ببعض الأمراض الخطيرة مثل: التهاب الكبد الفيروسي من نوع «B» أقل بين المسلمين من بقية الناس هناك.

٣ـ اتضح اليوم أنّ طريقة الإسلام التي أوصى بها في ذبح الحيوانات أكثر صحية من خنقها ، لأنّ الخنق وهوالطريقة المعروفة في العالم، يترك آثاراً صحية سيئة على اللحم أولاً، ولأن الحيوان يتألم أقل بطريقة الذبح من قتله بواسطة الخنق ثانياً.

٤ـ ثبت اليوم أنّ النصائح الصحية للإسلام في آداب الطعام لها قيمة طبية كبيرة.

خامساً:

إن النتائج المشكوكة للعقل والعلم لا تستطيع أن تكون هادية ومنجية للبشرية، بل يمكن أن تكون الأداة لتعيين الرؤية الكونية والأهداف والميول في مكان آخر، فالعلم أداة يمكن أن يستخدم في مجالات مختلفة، فإنّ مجرد كون العلم يمتلك أداة لها تطبيقات مختلفة، لا يعني أن يكون لائقاً لوضع برنامج لهداية البشرية، فالعلوم التجريبية يمكن أن يستفاد منها في مجالات نافعة وفي مجالات مضرة، ومع وجود هذه الأداة(العلم) عند الإنسان فهولا يمكن أن يستغني عن وجود برنامج لهدايته والاستفادة الصحيحة منه.

إذا كان العلم وحده يستطيع أن يكون هادياً ومنقذاً للبشرية، لم تكن هذه الأداة(العلم) اليوم بيد القوى العظمى للمحافظة على هيمنتها الظالمة.

إنّ الوصول للأهداف الخبيثة للمتسلطين والجشعين مثل أمريكا وإسرائيل والقتل المريع للبشر، كلّ ذلك لم يكن ليحدث لولا هذا التطور للعلوم التجريبية.

إذا وقعت منجزات هذا العلم بيد طلاب السلطة والسيطرة فإنّها ستكون أداة للهلاك والتدمير وقتل الأجيال.

كما أنّ التكنولوجيا اليوم هي في خدمة القوى التي ترتكب جرائم بشكل مباشر أوغير مباشر في حق البشرية، وخصوصاً المجتمعات الضعيفة.إنّ المحافظة على البشرية من الطغيان والطغاة وتوفير التسهيلات المادية لهم، لا يكون إلا بواسطة استخدام هذه الأداة(العلم) من قبل الشعوب المظلومة كما افترضنا، فإنّ العالم التجريبي إذاً لم يكن مهتدياً، من الممكن أن يضع علمه في خدمة أعداء البشرية.

إذن فإنّ التطور العلمي إذا لم يكن إلى جانب التعاليم الإلهية الهادية للبشر والصانعة للإنسان والمؤكّدة بالقيم الأخلاقية، فإنّ نتائج هذا العلم ستجلب الويلات والمصائب للبشرية.

يذكر أحد علماء الغرب وهوجوليان هكسلي في كتاب «علم وسنتز»:

إنّ العلم في هذا العصر هوتيار مليء بالمعارف التي وهبها لنا، ولكنّه لم يقل لنا: كيف نستفيد منها، وفي الواقع إنّ العلم مثّل دور الساحر، وهذا الابداع للتكنولوجيا يشبه المجنون الذي فك وثاقه وأخذ يبطش ويقتل الناس[1].

١ـ فوراستيه، جان؛ بحران دانشكاه، ترجمة علي أكبر كسمائي: ٦٩.

والعقل أيضاً كالعلم ، يمكن أن يكون طريقاً للاستفادة منه في تحقيق الأهداف الخبيثة ويقع تحت تأثير الميول النفسية، وإنّ احتمال اختلاط العلم بالعواطف والميول الفردية يؤدّي عدم الاعتماد عليه.

إنّ تاريخ الفكر البشري يبين لنا أن العديد من القادة والمفكرين دافعوا عن أفكارهم لكي يجلبوا لأنفسهم الأتباع ويكسبوا الشهرة، وضللوا معهم عدداً غير محدود من الناس، بل إنّه على مدار تاريخ القوى الظالمة والطاغوتية استفاد القادة من العلماء لتحقيق مصالحهم وتبرير أعمالهم.

إنّ جميع الخطط الاستعمارية والسلطوية المخادعة تمّ تهيئتها وترتيبها بواسطة الخداع والاحتيال واستعمال الحيل العقلية، فهذا العقل هوالذي كان أداة ومحلاً للنقدعند الكثير من المفكرين في الغرب.

إذن فالتعلّق بالعلم يمكن أن يوقع صاحبه ـ بوعي كان أوبلا وعي ـ تحت تأثير الأهواء والرغبات النفسية، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الحبّ يعمي ويصم ويبكم»[1] .

إنّ هذه الرواية تشير إلى أن الميول والرغبات تأثر في النظام المعرفي للإنسان.

وإنّ بعض النزعات الغريزية والحيوانية عند البشر تميل للتحرر من كلّ قيد وحدود أخلاقية وسلوكية، كما ذكر ذلك القرآن الكريم:

﴿بَلْ يُرِيدُ الإنسان لِيَفْجُرَ أَمامَهُ﴾[2] .

١ـ الكافي: ٢ : ١٣٦.

٢ـ سورة القيامة: ٢٥ .

فمع وجود هذه الخصلة يمكن للإنسان أن يسيء الاستفادة من العقل، كما يشير القرآن الكريم إلى تمسّك أهل الفتنة وأصحاب العقول والقلوب المريضة بالمتشابه من الآيات الكريمة وسعيهم عن طريق الاستعمال غير الصحيح للعقل أن يؤولوا ويفسروا الآيات الكريمة على حسب أهوائهم وأغراضهم وأهدافهم[١].

وعلى هذا الأساس لا يسوغ إتباع أيّ عاقل، ذلك أن الإنسان الهادي والمصلح الإلهي يحتاج إلى تقوى أكبر إضافة إلى العقل والفَهم الأفضل، ويمكن أن نستكشف من هذا المطلب الحكمة من عصمة الأنبياء عليهم السلام.

سادساً:

إنّ الاكتفاء بالعقل والعلم المادي وحصر الاعتماد في هداية الفرد والمجتمع على هذه الأدوات وحرمان الإنسان من عطاء الوحي، كلّ هذا سوف ينحدر بالإنسان تدريجياً إلى الهاوية ويزيد من أزمته[٢].

١ـ ﴿هُوالَّذِي أَنزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُوالأَلْبَابِ﴾.

٢ـ تفصيل البحث سيأتي في فصل "الغرب والأضرار الناتجة عن الاعتماد المفرط على العلم والعقل"

سابعاً:

إنّ الحدّ الأعلى لقدرة العلم والعقل هوتهيئة المعارف للإنسان ضمن مجال خاص، أمّا بالنسبة لهداية الإنسان فإننا مضافاً إلى المعرفة نحتاج لعامل التحريك أيضاً.

الإنسان له بعدٌ معرفي، ولديه ميول، فهولا يعمل بالضرورة بكل ما يعلمه ويفهمه، بل إنّ من المشاكل التي كانت ولا زالت لدى الإنسان عدم عمله بما يعلمه، بل إنّه لطالما يتجاهل علمه ومعارفه ويضعها تحت قدميه.

إنّ هيجان الميول والرغبات الغريزية والحيوانية وسيطرة الصفات الأخلاقية الذميمة يمكنها بسهولة أن تؤدّي إلى قمع العقل والعواطف الإنسانية.

ولهذا السبب فإنّ الكثير من الناس ليس لديهم ارادة كافية للعمل وفق الأصول الاخلاقية القابلة للفهم والتعقل.

وعلى سبيل المثال، فإنّ الكثير من الناس على دراية تامة بمضار السجائر، ولكنّهم مع ذلك لا يقلعون عن التدخين، وقد سمعنا في بعض الأخبار أنّ شخصاً قتل حفيدته للحصول على الثروة والمال، وأنّ رجلاً في الثامنة والثلاثين من عمره قتل ابنته الصمّاء البالغة من العمر تسع سنوات وذلك طمعاً بالحصول على مبلغ التأمين على حياتها الذي يقدّر بمائتي ألف دولار، حيث رماها أمام عجلات سيارة نقل البضائع وهي في حال الحركة، وصدر عليه الحكم من قبل المحكمة بالقتل العمد[1].

١ـ مجلة اطلاعات بين المللي، ٩/٩ /١٣٧٥ هـ.ش ، ص٤.

إنّ الجميع يشعر بوجدانه بقيمة احترام الوالدين والعجزة ومساعدة المحرومين والفقراء، ولكن هناك عدة عوامل تسبب ضعف هذا الوجدان وانحرافه.

فإنّ الجميع يئنّ من روتينية ونفعية الروابط الإنسانية وضعف الجانب العاطفي لدى الناس، وبالتالي الكل يبحث عن طريق مّا لتلافي هذا النقص لأنّ المجتمع والناس ضعيفي الإيمان يتحركون بشكل لا إرادي بهذا الاتجاه.

إنّ التعاليم الدينية توقظ الوجدان وتحول دون ضعفه؛ وإنّ عدم التديّن يؤدّي إلى ضعف الوجدان، لذا فلانحراف الأخلاقي والوجداني لا يختصّ بمجموعة من الناس دون أخرى، بل إنّه يعمُّ أهل العقل والفكر أيضاً؛ فإنّ هؤلاء يقعون في شراك الغرور وهوى النفس ويضحّون بالمعارف الأخلاقية في هذا الطريق، بل إنّ هنالك موارد تكون فيها مشكلات أهل العلم أكثر من الآخرين بسبب ما يملكونه من قدرات خاصة.

فعلى سبيل المثال أشارت نتائج أحد البحوث العلمية المقدَّمة من قبل نقابة الأطباء في ايران بناءً على تصريح الأمين العام لجمعية مكافحة استعمال السجائر أنّ نسبة استعمال السجائر عند الأطباء أكثر بمرتين من الناس العاديين، وأن أكثر من ٤٪ من الطبيبات و٢٨,٣ ٪ من الأطباء في إيران هم من المدخنين للسجائر[1].

١ـ بولتن؛ العدد٥٧، ص٣٦. وفي هذا المجال قال الدكتور محمد رضا مسجدي في المؤتمر الخامس عشر لتجمع الأطباء المتخصصين في الأمراض الباطنية في إيران:⟸

تشير المواضيع المذكورة آنفاً إلى أنّ العلم والعقل لا يعتبران الدافع والمحرك الكافي للعمل على وفقهما، ولا يمكنهما توليد القوة اللازمة للتحريك، وأن الإنسان يحتاج إلى قوة أكبر لكي يتحرك باتجاه الكمال والابتعاد عن الخطأ، لذلك نعتقد أنّ العقيدة الدينية يمكن أن تترك تأثيراً كبيراً في هذا المجال.

إنّ تقبّل الوحي والإيمان به يولّد في الإنسان قوة خاصة محركة ودافعة لا يمكن مقايستها بأيّ محرك آخر، سواءٌ كان داخلياً أوخارجياً، فالعقيدة الدينية أداة مولّدة للطاقة تهيّئ أسباباً للتحريك الداخلي عند الفرد باتجاه الهداية، وتؤدّي إلى تطابق سلوكه مع معرفته الصحيحة.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نعتبر الدين القاعدة لتحقيق الأحكام العقلية العملية، فإنّ سماع الكلام من مصدر مقدس مثل الله تعالى له تأثير أكبر ويولّد إرادة قوية للعمل والسلوك وفقاً لتلك التعاليم، فالإنسان يصغي أكثر عندما يكون الكلام من الله تعالى أعظم الموجودات، ومن أولياء الله الذين هم أفضل مَن على وجه الأرض.

وإضافة إلى ذلك، فإنّ الدين والإيمان يحفّزان الإنسان إلى العمل باعتبار الثواب والعقاب المترتب على سلوكه الأخلاقي، والحاصل من كل ذلك: أنّ

⇐ للأسف إنّ الأطباء ـ في البلد ـ الذين عليهم أن يتقدموا خطوات كبيرة في مجال مكافحة وتقليل استعمال السجائر نراهم لا يعتقدون بالمضار الواقعية للسجائر.

الأخلاق من دون الدين لا يمكن أن تقود إلى المقصود، وإذا قادت فإنّها تترك الإنسان وسط الطريق ولا توصله إلى الهدف المنشود.

وفي الواقع إنّ الدين يؤدّي إلى إحياء الوجدان النائم وتقوية الشعلة الخافتة للفطرة، فالعقل والعلم وحدهما ليس لديهما مثل هذه القدرة ، ولكنّ الدين يقوم برفع نواقص العلم والعقل بضمه إليهما.

وعلى هذا الأساس فليس الدين ضد العلم والعقل، بل هومكمّل لهما، فإنّه يكشف ويستخرج جواهر وخزائن العقول، ويقود العلم التجريبي لنيل السعادة والفضيلة.

ثامناً:

إنّ جميع البشر مع امتلاكهم أدوات المعرفة الداخلية، يمكن ببساطة أن يغفلوا عن مبادئهم الأخلاقية، بسبب الميول الغريزية والحيوانية، وأيضاً بسبب إحاطتهم بمجموعة من العوامل المؤدّية إلى الغفلة.

ومن هنا، فانّ البشر ـ إضافة لمعرفتهم الداخلية ـ يحتاجون في طريق الهداية للتذكير من قبل مصدر مقدّس ومعتمد، ولا يمكن الاكتفاء بالعقل والعلم فقط لتحقيق الهدف من الهداية.

ويمكن تلافي هذا النقص للعقل والعلم بواسطة إرسال الوحي من قبل الله تعالى عن طريق الأنبياء الطاهرين.

والقرآن الكريم يشير إلى احد وجوه ضرورة بعثة الأنبياء وهوالتذكير، وقد وصف القران الكريم أكثر الكتب السماوية وحتى القران بعنوان (الذكر، ذكرى، تذكرة، مذكر..وما إلى ذلك).

وأشار الإمام علي عليه السلام أيضاً لأحد أهداف إرسال الوحي والأنبياء وهوالتذكير بالنعم الإلهية المنسيّة وفطرة العبودية لله المغفول عنها[١].

تاسعاً:

إن محدوديات العلم والعقل ليس ممّا ندّعيه نحن فقط، بل اعترف به الآن الناس في الغرب ووصلوا إلى هذه النتيجة أيضاً.

فنحن نرى اليوم أنّ مفكري ما بعد الحداثة ينتقدون أصحاب الاتجاه العقلي وأتباع العلم في عصر الحداثة.

وأنّ بروز التيار الفكري لما بعد الحداثة كان أصلاً بسبب نواقص نظريات الحداثة ، الذي أدّى الى نقد أصولها الفكرية.

وإنّ من أشهر تلك الأصول والأسس الاعتماد المفرط على العلم والعقل.

عاشراً:

إنّ أيّاً من المحدوديات المذكورة للعلم والعقل لإنسان هذا العصر لم ترتفع، وإنّ كثرة المدارس الفلسفية والعقلية ونمووتطور العلوم والفنون في القرون

١ـ نهج البلاغة، الخطبة الأولى؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته. للاطلاع اكثر راجع: مصباح يزدي، محمد تقي؛ راه وراهنما شناسي: ٣٨ـ ٣٩.

الأخيرة، لم ترفع نواقص العقل والعلم من طريق الهداية، ولا زالت تلك النواقص باقية كما هي اليوم.

ولم يؤدِّ ما أضيف على البديهيات، ولا وضع زمام هداية البشر بيد أصحاب النظريات المشكوكة إلى نتائج مرضية، إنّ العقل البشري المعاصر لم يصل إلى نتائج كافية موثوقة في مجال بيان تفاصيل طريق الهداية، ولم يبتعد الإنسان المتطور عن الميول والعواطف في استفادته من العقل. ولم ترتفع بقية المحدوديات المذكورة سابقاً.

إنّ من أسباب استمرار المحدوديات المذكورة وبالخصوص بالنسبة للعلوم التجريبية أنّ هذه المحدوديات والخصوصيات مرتبطة بماهيّة وذات العلوم التجريبية والإنسانية، وزيادة حجم المعلومات التجريبية للبشر لا تغير من ماهيّتها، بل تساعد الإنسان على معرفتها ومعرفة محدوديتها.

ولذلك أصبحت اليوم محدوديات العلم عند العلماء أوضح وأجلى[1].

إنّ التطور العقلي والتجريبي للبشر لم يتمكن من رفع النواقص المذكورة سابقاً، بل إنّه أدّى اليوم إلى الشعور بالحاجة إلى الدين أكثر من السابق؛ وذلك:

أولاً: إنّ قدرة الإنسان على تطويع واستعمال العلم قد ازدادت وأصبح استعماله في الأهداف الشريرة أكثر.

١ـ راجع: فصل الغرب والأضرار الناتجة عن الاعتماد المفرط على العلم والعقل.

ولذلك فإنّ العصر الحالي يحتاج أكثر من السابق إلى قوة تسيطر على هذه القدرة المتنامية فيه.

فكما إنّه كلّما كان للإنسان قدرة بدنية اكبر وسلامة أكثر وسلاح أقوى، فإنّ قدرته على استعمال تلك القوة في طريق الصواب أوالخطأ تزداد فإنّ امتلاك الأدوات والوسائل التي تؤدّي إلى التطور العلمي أكثر فأكثر تضعنا أمام الأخطار نفسها، وتزيد قدرة الإنسان على بناء أوتدمير نفسه والآخرين.

ولهذا السبب، كلّما كان لدى الإنسان إمكانات أكثر، كانت حاجته للهداية أكثر استعمال تلك الإمكانات لديه في طريق الخير أكثر.

ثانياً: إن وجود الوسائل الموجهة للميول والعواطف الإنسانية باتجاه الغرائز الحيوانية، وإن السخرية بمصير الإنسان وقدره، ووجود أرضيّة الضياع والحيرة، ومواجهة الكثير من الطرق والسبل المختلفة في الحياة، والغرق في بحر الحيرة، إنّ كلّ تلك الأُمور أصبحت واضحة ومهيأة أكثر من السابق، وجرّت الإنسان إليها أكثر فأكثر بقوة لا سابق لها.

ومن هنا فإنّ الإنسان يحتاج في هذه الحالة إلى الهداية لانتشاله من هذا المستنقع المهلك.

٣ ـ ٤.محدوديات العقل الجمعي

يتحدثون تارة عن العقل الجمعي ويقولون: إنّه وإن كان العقل الفردي لا مفرّ له من الوقوع في الخطأ، ولكن يمكننا الرجوع إلى لعقل الجمعي ممّا يجعلنا غير محتاجين إلى الدين.

هل يمكن للعقل الجمعي أن يجعلنا غير محتاجين إلى الوحي الإلهي، ويوصلنا للحقيقة، ويضع لنا برنامجاً متكاملاً للهداية والكمال؟

من الواضح هنا أن الهدف من الرجوع إلى العقل الجمعي ليس هوانتخاب الشخص الأفضل لإدارة عمل السلطة والنظام السياسي، بل المقصود منه هنا هوكشف الحقيقة، فكما أنّ الاعتماد على العقل باعتباره بديلاً للدين في معرفة الأبعاد المادية وغير المادية للإنسان والعالم، ووضع الطرق اللازمة لهداية وكمال البشر، كذلك الاعتماد على العقل الجمعي هومن هذه الجهة. وكما أنّ بيان محدوديات العقل الفردي لا يعني نفياً لقيمة العقل في المجالات الخاصة به أيضاً، فإنّ بيان محدوديات العقل الجمعي من جهة كونه بديلاً للدين لا يعني ذلك نفي فائدته في المجالات الخاصة به.

إنّ نقد العقل الجمعي باعتباره بديلاً للوحي في كشف الحقائق التي يعجز عنها العقل الفردي، لا يستلزم نفي ضرورة الاستفادة من الآراء والعقل الجمعي في نظام الحكومة الدينية؛ لأننا في مجال السلطة ووضع القوانين لسنا بالضرورة في مقام كشف الحقيقة، بل إننا في مقام التنفيذ والعمل ووضع القوانين للناس، وإن للناس في هذا المجال وفي إطار الشريعة حق الاختيار.

إنّ المراد من العقل الجمعي يمكن تصوّره بأحد الوجوه التالية:

الوجه الأول: العقل الجمعي لجميع الناس العادين في العالم، على طول التاريخ.

الوجه الثاني: العقل الجمعي للناس العادين في زمان ومكان خاصًين وقوم خاصِّين.

الوجه الثالث: العقل الجمعي لجميع النخب المميزة من الناس في العالم، على طول التاريخ.

الوجه الرابع:العقل الجمعي للنخب المميزة من الناس في زمان ومكان خاصًين وقوم خاصِّين.

إن الوجه الأول والثالث ترد عليهما الإشكالات التالية:

أولاً:إنّ نتائج العقل الجمعي بالمعنى المذكور في الوجه الأول والثالث لا يمكن الحصول عليها؛ لأنّه لا يوجد لدينا طريق للكشف عن نظريات الذين سيأتون في المستقبل ولا معرفة كلّ نظريات الماضين سواء في الماضي البعيد أوالقريب،إضافة إلى أننا ليس لدينا اطلاع على نظريات الذين سيأتون في المستقبل.

فإذا وضع شخص ما مجموع آراء عقلاء العالم معياراً، فإنّه لا يستطيع أن يتجاهل آراء ونظريات من سيأتون في المستقبل، باعتبار إنّهم سيعتمدون على التطور البشري وستكون لديهم معرفة بتجارب السابقين، لذا فإنّهم سيصلون إلى نتائج أفضل وأكثر دقة من أسلافهم.

إنّ أقصى ما يمكن أن نصل إليه هومعرفة نتائج العقل الجمعي للماضين والمعاصرين لنا.

وعلى هذا الأساس، فإنّه لا يوجد لدينا طريق للكشف عن اتفاق آراء عقلاء العالم في الماضي والحاضر والمستقبل.

ومن المؤكّد إننا إذا قلنا: إنّ البشر في الزمن الماضي والحاضر لم يتفقوا على أيّ قضية واضحة في طريق الهداية، فإنّ هذه المسألة تكفي لإثبات صحّة ما قلناه وهو:

إنّ جميع البشر في الماضي والحاضر والمستقبل لم يكن لديهم أيّ اتفاق على قضايا وأحكام واضحة للهداية.

وبعبارة أخرى: إنّ اتفاق الآراء المحتملة للناس في المستقبل على هذه المسألة لا ينفي صحّة الكلام الذي ذكرناه؛ لأنّه إذا لم يكن للعقل الجمعي للماضين والمعاصرين اتفاق كهذا، فإن اتفاق آراء الناس في المستقبل لا يستلزم تجاهل أوزوال الاختلاف الموجود.

لذلك فإنّ مجرّد اتفاق آراء الناس في المستقبل لا يعني اتفاق آراء البشر على مدار التاريخ البشري.

ثانياً: حتى إذا صرفنا النظر عن آراء الناس في المستقبل، فإنّ موارد اتفاق الناس من الماضين والمعاصرين على قضايا الهداية محدودة وقليلة جداً، وإنّ هذا العدد لا يكفي لرسم برنامج كامل لهداية الإنسان، ولا يمكن للهداية الأخلاقية والاجتماعية للإنسان أن تتحقق اعتماداً على هذه القضايا القليلة،

وإنّ بعضاً من مصاديق هذه القضايا هوحسن العدالة ومساعدة المظلومين، وقبح الظلم والدفاع عن الظلمة.

ولابدّ من التذكير بأن في بعض الموارد التي تصدق عليها هذه الأحكام، ووجود تلك المشتركات والمصاديق الواضحة مثل حسن مساعدة المظلومين، فإنّ هناك اختلافات وابهامات مطروحة أيضاً، مثل: هل أنّ الظلم قبيح مطلقاً وعلى أيّ إنسان وقع، حتى على الأعداء والظالمين أم لا ؟

فإنّ هذا أخطر اختلاف في تحديد معنى الظلم والعدالة.

وفي تفسير معنى العدالة نرى آراءً كثيرة ومدارس فكرية مختلفة، وإنّ هذه الاختلافات موجودة بين العلماء والفلاسفة في عصر اليونان القديم والقرون الوسطى مثل أفلاطون وأرسطو، وبعد تلك العصور أيضاً.

والعلماء الذين ظهروا بعد القرون الوسطى، وفي عصر التنوير والقرون الأخيرة، مثل جان جاك روسو[١]، وجان رالز[٢]، وروبرت نازيل[٣]، وميشيل والزر[٤]، إنّ هؤلاء كانت لديهم معانٍ وتفاسير متعددة للعدالة[٥].

١ـ Roussrau.

٢ـ Rawls, John.

٣ـ Nozick, Robert.

٤ـ Walzer, Michael.

٥ـ توسلي، حسين؛ مبناي عدالت در نظريه جان رالز، نقد ونظر، ش ١٠؛ «نازيك، رابرت»؛ عدالت واستحقاق، ترجمه مصطفى ملكيان؛ نقد ونظر، ش ١٠؛ (نيتشه يا ارسطو؟ در كفت وكويا السدر مك ايتاير) ترجمه غلامحسين توكلي، نقد ونظر، ش ١٠.

وأمّا الوجه الثاني والرابع فترد عليهما الإشكالات التالية:

إذا كان المقصود من العقل الجمعي هوالناس العاديين في المجتمع أوالنخب المميزة في زمان ومكان خاصّين، فإنّ الإشكالات تكون كما يلي:

أولاً: إنّ ترجيح آراء الناس أوالنخب المميزة على بقية الناس هوترجيح بلا مرجّح بلا دليل.

ثانياً: إنّ مواضع اتفاق الجميع على قضايا الهداية محدودة جداً، ويرد عليها الإشكال الثاني الذي بيّنّاه على الوجه الأول والثالث.

ثالثاً: إن آراء النخب المميزة ليست مصونة من الخطأ، ولا يوجد أيّ ضمان لأن تكون تلك الآراء مطابقة للحق والواقع.

إنّ ما يطرح في المجتمع تحت عنوان الآراء المقبولة عند العموم هي التي نسمّيها في المنطق بالمشهورات والمقبولات، ولكونها ممكنة الخطأ وغير يقينية، فإنّها لا تأتي في مقدمات الأدلّة البرهانية، بل إنّها تستخدم في الجدل والخطابة فقط.

إضافة إلى ذلك فإنّ منشأ المشهورات والمقبولات غالباً ما يكون من خطب وكلام النخب المعاصرة أوالسابقة في المجتمع، أوتبليغات وسائل الإعلام التي لا يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها؛ لأنّ النخب أنفسهم يرتكبون أخطاءً في الفهم والتنظير في موارد كثيرة.

وعند مراجعة تاريخ الفكر البشري نجد هذا الأمر واضحاً وجلياً أكثر مما وضّحناه؛ فقد أكّد علماء الغرب ومفكروهم في القرن الثامن عشر والتاسع

عشر الذي أطلق عليه عصر النهضة أكّد هؤلاء العلماء ـ الذين وقعوا تحت تأثير التحوّلات الماضية ـ إنكارَ الدين والاكتفاء بالعقل والحس، وتبعاً لذلك ظهرت رؤية سلبية للدين غالباً عند الناس في المجتمعات الغربية.

وأما اليوم وبعد وضوح آفات وأضرار التوجه المحض للعلم عند علماء الغرب، فإنّ الأبعاد السلبية لتطور الآلة والتقنية أخذت تبحث ـ وهي أبحاث لها قيمتها ـ في علم النفس وعلم الاجتماع الديني، وتبدّلت تدريجياً رؤية الناس في الغرب للدين أيضاً.

ومثال آخر: إنّ أكثر علماء الغرب ليس لديهم معلومات كافية عن الإسلام، وبالخصوص عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام والمذهب الشيعي؛ لأنّ أكثر المصادر الإسلامية وبالخصوص مصادر الفكر الشيعي لم تترجم إلى اللغات الأجنبية، وحتى لو كانت هناك خطوات في مجال الترجمة، فإنّها خطوات جديدة نسبياً ولا سابقة لها في الماضي، وهذا الأمر كان السبب لعدم تعرّف الكثير من علماء الغرب على الفكر الشيعي، فهم غالباً ليس لديهم معرفة باللغة العربية والفارسية، ولا تتوفر لديهم مصادر كافية عن الإسلام والتشيع.

وبالنتيجة فإنّ الناس العاديين في المجتمعات الغربية لا يمكنهم الحصول إلى حدٍ مّا على المعارف الإسلامية، فهنا يطرح سؤال وهو: مع عدم معرفة واطلاع علماء الغرب ومفكريهم على الشيعة، وتبعاً لهم الناس في المجتمعات الغربية، بل وجود رؤية سلبية خلقتها وسائل الإعلام المعادية حول مذهب الشيعة، هل يمكن أن يكون ذلك كلّه دليلاً على صحة حكمهم على الشيعة؟

إنّ العقل الجمعي للناس في مثل هذه الظروف؛ كيف يمكن له أن يعتبر أداة للحكم الصحيح في مجال أحقيّة المذهب الشيعي أوعدم أحقيّته؟

إنّ وسائل الإعلام العامة أيضاً باعتبارها أداة بيد أصحابها وتابعة لمصالحهم هي من أهم العوامل الموجهة للرأي العام بما يحقق أهدافها، فإنّ كان أولئك ينشدون الحق، فإنّهم يبيّنون الحقائق، وان كانوا يسلكون طريق الباطل، فإنّهم يبلّغون لأفكارهم بأدواتهم الإعلامية الخدّاعة، وهذا الأمر يمكن مشاهدته جليّاً في عصرنا الحاضر.

وعلى سبيل المثال: إنّ الكثير من الناس في المجتمعات الغربية يعرفون الإسلام بوصفه ديناً إرهابياً وعنيفاً، وإنّهم صوّروا الإمام الخميني (رضوان الله عليه) بأنّه شخصية سلبية ومتشددة وعنيفة، وهوالقائد العارف والعطوف على أمته وشعبه،وإنّ منشأ كلّ ذلك هوالدعايات الإعلامية الواسعة للإعلام الغربي،ولازالت تلك الصورة باقية إلى حدّ كبير.

٤

دفع الضرر المحتمل، دليل آخر على ضرورة الدين

طرح القدماء هذا البحث عادة تحت عنوان «الدليل على وجوب النظر».

والمقصود هوالضرورة العقلية لدفع الضرر المحتمل من جهة، واحتمال وجود الضرر في حالة عدم معرفة الدين والتكاليف الإلهية والالتفات إليها من جهة أخرى.

وبالنتيجة فإنّه يجب على الإنسان عقلاً ان يسلك طريق معرفة الدين وأحكامه، حتى يدفع عن نفسه هذا الخطر المحتمل.

ويمكن القول: إنّ دفع الضرر المحتمل اضافة لكونه يثبت ضرورة معرفة الدين، فإنّه يمكن ان يكون من لوازم الاعتقاد بالدين، وفي الواقع يجعل الرجوع الى الوحي ضرورياً.

إنّنا في العالم المادي نعمل بشكل مستمر على أساس الاحتمالات، تلك الاحتمالات التي نشاهدها في حياة عموم الناس واهتمامهم بها، فإن الخطوات العملية التي نطويها في جميع المجالات الصحية والاقتصادية والاجتماعية تعتمد على هذا الاساس.

فإننا مثلا نجتنب تناول الاطعمة التي نحتمل فيها ضرراً جدياً، وعند المرض نرجع الى الأطباء الذين نحتمل أن يكون علاجهم مفيدا، وإننا في كلّ تلك الموارد لا نتصرف على أساس العلم القطعي واليقين أوحتى الوثوق بنتيجة العمل الذي نقدم عليه.

فإننا لا نتجنب الضررَ القطعي فقط، بل في الغالب نتصرف على أساس الاهتمام بدفع الضرر المحتمل أوجلب المنفعة المحتملة.

عندما نحتمل مثلاً إننا إذا لم ندرس، سيكون مستقبلنا غامضاً ومجهولاً، وإننا إذا لم نراجع الطبيب، ستكون حياتنا في خطر، وإذا لم نهتمّ بنصائح الطبيب سنتعرض للخطر، فإنّ الاحتمال في جميع تلك الموارد يضطرنا للعمل على أساسه.

وكما أنّ اغلب تصرفاتنا مبنية على أساس الاهتمام بالأخبار الظنية ودفع الضرر المحتمل أوجلب المنفعة المحتملة، فكذلك القبول بالعمل على أساس التعاليم السماوية يمكن أن يعتمد على هذا الأساس.

إنّ احد المصاديق المهمة للنفع والضرر هي الموارد التي عرّفنا الله تعالى بها وأكّد العقل بشدة على أخذها بنظر الاعتبار؛ لأنّ مقتضى العقل يستوجب ملاحظة المقايسة بين المصاديق المختلفة للضرر على أساس الاحتمال (نسبة الوقوع) والمحتمل (نسبة مقدار الضرر أوالنفع الحاصل عند الوقوع)، وكلّما كان حاصل ضرب الاحتمال والمحتمل كبيراً، يكون الاجتناب عنه أكثر جدية.

وعلى سبيل المثال: إذا كان هناك طريقان خطران، وفي كليهما احتمال مواجهة اللصوص ٢٠ ٪، ولكن نوع الخطر المحتمل في احدهما لصوص مسلحون وقتلة، وفي الآخر لصوص يكتفون بسلب الأموال فقط، فإنّ العقل يحكم بأنّ اجتناب الطريق الأول أكثر ضرورة.

إنّ الضرر والنفع الذي اخبرنا به الوحي وحذّرنا منه ورغّبنا فيه، الاحتمال فيه قويّ جداً وكذلك المحتمل. ونحن نعتمد على أخبار عامة الناس بالنسبة للأضرار المادية، وعلى سبيل المثال: إذا سافرنا ليلاً وفي الطريق أخبرنا جماعة من أهل البلدة باحتمال وجود قطّاع طرق، فإننا لا شكّ سنسلك طريقاً آخر.

وفي طريق الحياة الدنيوية والأخروية أيضاً اخبرنا الوحي بوجود أضرار ومنافع منها: وجود الله والآخرة، والنفع والضرر الناشئ عن الإيمان به وإنكاره.

فهنا الاحتمال قوي جداً؛ لأنّ المخبر هوأطهر وأصدق الناس في التاريخ مثل الأنبياء والأئمة وأولياء الله عليهم السلام، إضافة إلى الأدلة العقلية والفطرية.

فنحن في حياتنا المعاصرة نهتم بأخبار عامة الناس في موارد احتمال وجود الخطر، فكيف يمكننا أن نتجاهل أخبار الأطهار مثل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، إضافة إلى ذلك فإنّ إجماع أتباع الديانات الإلهية البالغين مئات الملايين من البشر على وجود الله والآخرة يرفع من مقدار الاحتمال،وان كانت هناك بعض الاختلافات الجزئية.

ومع هذا الاحتمال للخطر فإنّ المحتمل كذلك كبير جداً؛ لأنّه يوعد بالعـذاب الأبدي في النار من جانب، ويَعِدُ بنعيم ابدي في الجنة غير قابل للوصـف مـن جانب آخر.

٥

الدكتور سروش ودعوى عدم حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين

لقد طرح الدكتور سروش في مقالة «ريشه در آب است»[1] بحثاً تحت عنوان (الاستغناء المحمود والمذموم عن الدين)

وقد أضاف نقاطاً أخرى في كلمته التي ألقاها في مدينة مونتريال في كندا[2] لتوضيح هذا الموضوع.

إنّ الفصل الحالي مختصّ بتوضيح وتبيين رؤية الدكتور سروش في دعواه عدم الحاجة إلى الدين.

٥ ـ ١. شرح النظرية

إنّ كاتب المقالة المذكورة يطرح في بداية كلامه هذا السؤال: في أيّ جهة كانت محصلّة المسيرة التي طوتها البشرية على طول التاريخ البشري ؟

١ـ مجلة كيان، عدد ٢٩.

٢ـ الدكتور سروش، ندوة خطابية مع أسئلة وأجوبة، بتاريخ ١٣٧٦/١٢/٢٥ هـ .ش في مسجد فاطمة عليها السلام في مدينة «مونتريال في كندا»، وترجع أكثر المطالب المطروحة في هذا البحث بشكل رئيس إلى هذه الكلمة التي ألقيت في كندا .

وبعبارته «إنّ السؤال هوإذا نظرنا إلى البشرية ووضعنا الحسنات وأفعال الخير في كفة والسيئات وأفعال الشر في كفة أخرى، فأي كفة سوف ترجح ؟»[1].

وفي مقام الجواب، يصل الكاتب إلى هذه النتيجة، وهي: أنّ التاريخ لديه حركة إيجابية، وكانت حركته باتجاه التدين، فقد نجح الأنبياءعليهم السلام في تبليغ رسالاتهم، وحصلوا على نتائج ايجابية فيما بذلوه من جهود في طريق الرسالة، حتى رسخت تعاليم الأنبياء بعمقها المعرفي في العالم.

وبعد أن بيّن الحركة الايجابية والتكاملية لتاريخ التديّن عند البشر، وطرح دعواه عدم الحاجة إلى الدين، تصدّى للجواب عن الإشكالات المحتملة على نظريته؛ لأنّه ـ حسب ما قال ـ يمكن أن يخطر في ذهن القارئ بعض الأسئلة حول كلمتنا في موارد السير التكاملي للتديّن، ومن ضمنها : إذا أصبح التديّن أكثر رسوخاً عند البشر مع تطور التاريخ، فما معنى ما يقال: إنّ العالم الغربي اعتمد على العلمانية ؟ ولماذا لقّب عصر التطور بعصر العلمانية ؟

ويقول الدكتور سروش في هذا المجال:

"العلمانية تعني: عدم الاعتناء بالدين فيما يرتبط بالشؤون الدنيوية وبناء المؤسسات الاجتماعية، بغض النظر عن الأوامر والنواهي والقيم الدينية سلباً كانت وإيجاباً، ولا يستلزم ذلك المواجهة العدائية للدين، ولا يعني الإلحاد الصريح والعزم على محوالدين"[2].

١ـ مجلة كيان، عدد ٢٩، ص ٢.

٢ـ المصدر نفسه:١٢.

وبعد الإشارة لمعنى العلمانية، يصرّح الدكتور سروش بمسألة عدم حاجة البشر في هذا العصر إلى تعاليم الأنبياء فيقول:

من الواضح: إنّه يمكن مشاهدة الاستغناء الذي وصل إليه مجموع البشرية عن الأنبياء وتعاليمهم الدينية، والذي يشير إلى تبدّل وتغيّر الصلة بين الناس ومدرسة الأنبياء، فقد أصبحت سلطة مدرسة الأنبياء أضعف مما كانت عليه في العصور السابقة[1].

ومن هنا فإنّ دعوى عدم الحاجة إلى الدين هي دعوى مثيرة للدهشة والاستغراب، وخصوصاً في بلد أكثر الناس فيه من الذين امتلأت قلوبهم بحبّ الدين والقرآن، مما تؤدّي فيه تلك الدعوى إلى جرح قلوب ومشاعر المؤمنين.

ويستمر سروش في كلامه:

إنّ هذا الأمر يشغل أحياناً القلب، ويوجد هواجس في الذهن، ويدعوللظن بأنّ عصر التديّن الحقيقي قد ذهب، وأنّ الأنبياء قد تحوّلوا إلى أشخاص مهجورين ومظلومين في التاريخ، فإذا كان هذا واقعاً وهوأنّ البشرية قد عبرت عصور التديّن الصارمة، وإنّها تخطوباتجاه عصر عدم الاعتناء والاهتمام بتعاليم الأنبياء، وتدعوللاستغناء عن الدين من الناحية النظرية والعملية، ففي هذه الحالة يجب أن نحكم بأن الأنبياء قد حُذفوا شيئاً فشيئاً من الساحة التاريخية، وأنّ عصور الفتح والظفر للأنبياء

١ـ مجلة كيان، عدد ٢٩، ص٢.

قد انتهت، وأصبحوا الآن من المظلومين والمغلوبين وفي هامش التاريخ، وأن الساحة الأصلية أصبحت اليوم بيد موجّهين ومحرّكين آخرين .

وعلى هذا الأساس، فلكي يدفع الدكتور سروش هذه الشبهة ويرفع هذه الهواجس التي تخطر في أذهان المتدينين، فإنّه بعد أن يطرح مسألة عدم الحاجة إلى الدين، يقسم الاستغناء عن الدين إلى نوعين:

الاستغناء المحمود والاستغناء المذموم، ومن ثم يقول:

إنّ الاستغناء عن الدين عند الإنسان المعاصر هو من نوع الاستغناء المحمود وليس من الاستغناء المذموم، وفي إطار توضيح هذين النوعين من الاستغناء يقول:

إنّ النقطة المهمة هي في معنى الاستغناء، وكل الكلام رهن باستيعاب هذه المسألة الدقيقة.

هناك معنيان يمكن تصورهما للاستغناء هما: الاستغناء المحمود والاستغناء المذموم.

إنّ الحُسن والقبح لهذين النوعين من الاستغناء يرتبط بالنسبة الموجودة بين طرفي الطالب والمطلوب (المستغني والمستغنى عنه)وتوضيح ذلك: أن حصول بعض النسب يكون أساساً لنفيها، وبعبارة أخرى: إنّ بعض النسب تتبدل وتتحول إلى نفي ذاتها، ولنأخذ الرابطة بين الطبيب والمريض، فمن جانب عندنا مريض ليس بطبيب، ومن جانب آخر لدينا طبيب ليس بمريض، فإذا كانت هذه النسبة بين الطرفين لا تحكمها رابطة

١ـ مجلة كيان، عدد ٢٩، ص ١٢ ـ ١٣.

الشفقة والعطف، فالطبيب، سيسعى لتثبيت هذه النسبة أكثر، فيبقى الطبيب سليماً ويبقى المريض مريضاً. وأمّا إذا كان عنصر الشفقة هوالذي يحكم العلاقة بينهما، فإنّ الطبيب سيسعى جاهداً لعلاج المريض، وهذا عين نفي النسبة الأولى وحصول استغناء المريض عن الطبيب، يعني: أن سعي الطبيب العطوف والمشفق هوفي جهة نفي النسبة بين الطبيب والمريض، لا حفظها وتقويتها.

وكذلك علاقة المعلم والتلميذ، فإنّ وجود العلاقة بين المعلم والطالب هوأساساً لتعليم الطالب بالمقدار الذي يصل به إلى مستوى المعلم، وبالشكل الذي يستطيع الطالب أن يستغني به عن المعلم. ...

وأمّا الاستغناء القبيح والمذموم فله أساس آخر، وهوعدم السير في الطريق الصحيح، ففي المثال السابق يمكن القول: إنّ الاستغناء المذموم هومع عدم الرجوع إلى لطبيب والمعلم وعدم الاستفادة منهما، على الرغم من وجود المرض والجهل.

على عكس الاستغناء الأول ؛ فإنّه ليس غيرَ مذموم فحسب؛ بل إنّه ممدوح جداً وحسن[1] .

وعلى هذا الأساس، فإنّ استغناء المريض عن الطبيب بعد التحسن والشفاء، واستغناء التلميذ عن المعلم بعد التخرج أومزاولة التدريس، هومن نوع الاستغناء الممدوح.

١ـ مجلة كيان، العدد٢٩، ص١٣.

أما إذا كان المريض مع بقائه يعاني المرض يدّعي الاستغناء عن الطبيب، أوإذا كان التلميذ مع حاجته للتعليم يدّعي الاستغناء عن المعلم وإرشاداته، فإنّ مثل ذلك الاستغناء يعدّ من الاستغناء المذموم.

إنّ المريض يحتاج إلى الطبيب أثناء مرضه، ولكنّه بعد العلاج والتحسن والشفاء ستنتفي حاجته إلى الطبيب، لذلك فإنّ الحاجة للطبيب تبقى ما دام المريض يعاني من مرضه، وكذلك هي علاقة الحاجة بين الأستاذ والتلميذ.

إنّ الدكتور سروش ـ بعد أن يطرح موضوع الاستغناء عن الدين ويقسمه إلى الاستغناء الممدوح والمذموم ـ يجلس في مقام القضاء، ليحكم في استغناء الإنسان المعاصر عن الدين، وإنّه من أيّ نوع من أنواع الاستغناء، ويظهر تأييده وحكمه في هذا المجال، ويعتبر الاستغناء عن الدين هومن نوع الاستغناء الممدوح[١].

ومن الواضح: أنّ قصده من استغناء الإنسان المعاصر عن الدين يشمل عدم الحاجة إلى الإسلام أيضاً، بل يمكن القول: إنّه يؤكّد بشكل خاص الاستغناء عن الإسلام؛ لأنّ أكثر مخاطبيه من المسلمين المعتقدين بضرورة الإسلام، إضافة إلى ذلك فإنّه لم يستثن الإسلام حتى في مورد واحد من بحثه، بل إنّه يستشهد كذلك بالآيات والروايات لتأييد رؤيته ونظريته[٢].

١ـ مجلة كيان، ص١٣؛ في الموضع الذي يقول فيه: «حال در مقام داوري....».

٢ـ راجع: فصل «الاستشهاد بالآيات والروايات».

وبملاحظة النقاط المذكورة، فإنّ مراد الكاتب من بحثه وهوطرح الاستغناء عن الدين، يشمل عدم الحاجة إلى الإسلام أيضاً، وأن أساس البحث عندنا هنا حول الدين الإسلامي، ومن هنا فإننا في هذا القسم من البحث سنستعمل مصطلح «الإسلام« و«الدين» كمصطلحين مترادفين.

الوصف أوالحكم

إنّ كاتب بحث الاستغناء عن الدين (الدكتور سروش) هل هوفي مقام الوصف أم في مقام الحكم؟

وتوضيح ذلك: أننا أحياناً نكون بصدد وصف المجتمعات المعاصرة وخصوصاً الدول الغربية، وكيفية العلاقة التي تربط بين العلم والدين في هذه المجتمعات.

ومثال على ذلك: إننا نبيّن التطور العلمي والصناعي للغرب في إطار وصف الحقائق التاريخية التي حدثت في الغرب، ونشير إلى هذه النقطة وهي: أنّ الناس في العالم الغربي يظنون أنّ تطورهم العلمي جعلهم في غنىً عن الدين، مع غفلتهم عمّا تحمّلوه من ضربات موجعة من المسيحية والكنيسة من جانب، وعدم معرفتهم الصحيحة للإسلام من جانب آخر، وأحياناً فإن البعض إضافة إلى وصفهم للمجتمعات الغربية، يتصدّى للحكم عليها أيضاً.

وفي هذا المجال فنحن بصدد الجواب عن هذا السؤال وهوهل كان الغرب مصيباً أم مخطئاً في مواجهته للدين؟

أنّ رؤية ونظرة المجتمعات العلمانية المبنية على عدم الحاجة إلى الدين، صحيحة ومقبولة أم غير صحيحة؟

وأنّ البشرية بصورة عامة هل طوت عصر حاجة البشر الى التعاليم الدينية؟

يمكن أن نرى أنّ الدكتور سروش في بحثه عن الاستغناء عن الدين لم يكن بصدد الوصف التاريخي لعلاقة البشر بالدين فقط ـ وبالخصوص علاقة الإنسان المتطور بالدين ـ، بل إنّه في مقام الحكم أيضاً، ويؤكّد من خلال بحثه صحّةَ العلاقة بين التطور العلمي وحصول الاستغناء عن الدين.

ويمكن أن يتضح هذا المطلب من خلال عباراته التالية:

١ ـ إنّه يشير ابتداءً إلى ظهور علم جديد[١]، ثم يتصدّى للجواب عن هذا السؤال: إنّه مع وجود هذا التطور في العالم هل تبقى هنالك حاجة للدين ؟

ويذكر في هذا المجال:

> إنّ ما يمكن مشاهدته بوضوح، هوالاستغناء الذي وجدته جموع البشرية عن الأنبياء وتعاليمهم[٢].

وهنا لم يقل: إنّ الإنسان المعاصر يظن إنّه وصل إلى مرحلة عدم الحاجة إلى الدين في ظل التطور العلمي، بل يؤكّد عدمَ الحاجة الواضحة والواقعية إلى الدين.

١ـ مجلة كيان، العدد ٢٩، ص ١٢.

٢ـ المصدر نفسه: ١٢.

٢ ـ ثم إنّه بعد طرحة مسألة وضوح الاستغناء عن الدين، يتطرق لبيان هذا السؤال وهو: إنّه ربما كان هذا الكلام يقلق ويربك المتدينين ويجعلهم يتساءلون: كيف لهذا الأمر أن يكون ممكناً؟[١].

إنّ إشارته لهذه الشبهة وطريقة إجابته عنها تبين أنّ مقصوده من الاستغناء هوعدم الحاجة الواقعية إلى الدين؛ لأنّه إذا كان قصده من الاستغناء ليس عدم الحاجة الواقعية؛ إلى الدين فانّ سماع هذه الأمور للكثير من المتدينين هوأمر غير جديد عليهم حتى يدعوهم للقلق والارتباك؛ لأنّ مثل هذه الشكوك والظنون توهم عدم الحاجة إلى الدين بسبب تطور العلوم التجريبية ووضعها مكان الدين، هوشعار قديم نضج وترعرع في أحضان عصر النهضة وتطور العلوم التجريبية في الغرب، وان كان هذا التيار قد شهد تقلّبات في مراحل مختلفة منذ عصر النهضة الى زماننا الحاضر.

٣ ـ إنّه يحكم بأصل حصول الاستغناء عن الدين بالنسبة للإنسان المعاصر من دون تأمّل أوتردّد في ذلك، بل إنّه يعتبره من الأمور المسلّمة والقطعية.

ومن هنا، فإنّه يتصدّى لبيان نوع هذا الاستغناء فقط فيقول:

والآن في مقام الحكم في شأن المجتمعات المعاصرة، علينا أن نفكّك بين نوعي هذا الاستغناء، ونرى أن استغناء الإنسان المعاصر عن مدرسة الأنبياء في مثل هذا المجتمع الجديد على أيّ دليل يستند ؟[٢].

١ـ مجلة كيان: ص١٢ـ١٣.

٢ـ مجلة كيان، العدد ٢٩ ص١٣.

٤ ـ إنّ حكمه بالنسبة للإنسان المعاصر هو: أنّ الناس غير محتاجين للدين، واستغناؤهم هومن نوع الاستغناء الممدوح والحسن، وطبقاً لما يقول، فإنّ تعاليم الأنبياء أصبحت ثابتة في قلوب الناس بحيث إنّها صارت في حكم البديهيات.

٥ ـ ٢: دليل دعوى عدم الحاجة إلى الدين

ما الدليل الذي يثبت نظرية الاستغناء عن الدين ؟

إنّه وان لم يذكر براهين بشكل منظم ومنسجم، إلا إنّه يمكن ملاحظة وجود الأدلة والشواهد التالية لديه من خلال كلامه، وإن لم تكن بشكل منظم،وإنّه يسعى بالاعتماد على مجموع تلك الأدلة إلى أن يثبت نظريته.

١ ـ التطور العلمي والعقلي للبشر.

٢ ـ نجاح الأنبياء.

٣ ـ وضع معيار وميزان خاص للاستغناء عن الدين.

٤ ـ الاستشهاد بالآيات والروايات.

٥ ـ تعاليم الأنبياء أصبحت بديهية.

إنّ بيان الدليل الأول وجوابه قد مرّ في فصل دعوى كفاية العلم والعقل. ونتطرق فيما يلي لبقية الأدلة.

٥ ـ ٢ ـ ١: نجاح الأنبياء

إنّه يعتبر أنّ نجاح الأنبياء يستلزم عدم حاجة الإنسان المعاصر الى الدين، وبعد أن يوضّح معنى نوعَي الاستغناء، يتطرق لتوضيح نوع الاستغناء عن الدين فيقول:

الآن وفي مقام الحكم بشأن المجتمعات الحالية، علينا أن نرى أنّ استغناء البشر عن مدرسة الأنبياء في مثل هذا المجتمع الحديث على أيّ دليل يستند؟

هل باعتبار أنّ تعاليم الأنبياء أصبحت راسخة في ذهن وضمير الناس بحيث أصبحت في حكم البديهية، ومقبولة دون الحاجة إلى الولاية المعنوية للأنبياء، لأن الإنسان المعاصر يولد في حضن تلك التعليمات ويعيش معها ويتنفس في أجوائها ؟

أوباعتبار إنّه مع الفراغ والجهل والعناد والإلحاد والمعارضة للحق، أصبح هذا الإنسان المعاصر لا يعتني ولا يهتم بتعاليم الأنبياء ؟

فإذا كان الثاني فلا شكّ أننا يجب أن نعضّ أصابع الندم والحسرة وأن نبكي أسفاً وحزناً على خسارة وتراجع الأنبياء، ولكن الحق ليس كذلك [١].

وهوفي مقام الجواب عن هذا السؤال: أنّ عدم حاجة المجتمعات الحالية إلى الدين هل هومن نوع الاستغناء المذموم أم الممدوح؟ يقول:

١ـ مجلة كيان، العدد ٢٩.

فإذا كان الثاني، فلا شك أننا يجب أن نعض أصابع الندم والحسرة، وان نبكي أسفاً وحزناً على خسارة وتراجع الأنبياء، ولكن الواقع ليس كذلك[١].

مما يعني: أننا إذا لم نقل بحصول الاستغناء الممدوح، فإنّ ذلك يستلزم قبول خسارة الأنبياء وعدم جدوى سعيهم وجهادهم، ولكننا لا يمكن أن نقبل هزيمة الأنبياء، إذًا يجب أن نستنتج حصول الاستغناء عن الدين.

وبعبارة أخرى: إنّ نجاح الأنبياء يستلزم عدم حاجة البشر المعاصر إلى الدين.

فهويستنتج أنّ تعاليم الأنبياء أصبحت راسخة في ذهن وضمير الناس وصارت في حكم البديهيات؛ إذ يولد الناس في أحضانها ويعيشون معها ويتنفّسون في أجوائها.

التقويم

الإشكال الأول

إنّ دعوى الدكتور سروش بداهة تعاليم الأنبياء عند الإنسان المعاصر غير تامة.

كيف يمكن أن نقبل مثل هذا الادّعاء؟ فإنّ تعاليم الأنبياء لم تصبح بديهيةً بحيث لا يحتاج الناس معها إلى التعليم. فإنّ أيّ شخص إذا لم يتعلّم أُصول الإسلام وفروعه لا يمكن أن نقول عنه: إنّه يعرف الإسلام، لذا فالجميع

١ـ مجلة كيان، العدد ٢٩.

محتاج إلى تعاليم الأنبياء، وأيضاً فإن تعلّم أي شخص لا يمكن أن يكون سبباً لعدم حاجة الآخرين إلى التعليم.

فإن أي شخص إذا حصل على أي معرفة، فإنّه سيحصل عليها لنفسه، ولا يمكن أن تحصل تلك المعارف في أذهان الآخرين إلّا بحصولهم عليها بواسطة التعليم.

أضف إلى ذلك، إنّه حتى مع التعليم لا تصل تلك المعرفة إلى حدّ البديهية.

إنّ البديهي يعني عدم الحاجة معه إلى الاستدلال، وكلّ البديهيات واضحة جداً، ويمكن التصديق بها دون الحاجة إلى التأمّل العقلي، مثل التصديق بالاختلاف بين النهار والليل أوأنّ حاصل ضرب اثنين في اثنين يساوي أربعة.

فإذا كانت تعاليم الإسلام واضحة للناس بهذا الشكل، فإنّهم لا يحتاجون إلى التعليم، ولكنّ المشكلة هنا: أنّ مثل هذا الإدعاء غير قابل للقبول والتصديق؛ فإنّ جميع أحكام الإسلام لم تصل إلى هذا الحد من البداهة، لأنّ الكثير من تعاليم الإسلام تستند على مجموعة من الحكم العقلية والعلمية، التي نستطيع استكشافها إمّا من خلال التفكير والتعقل في موارد معينة، وإمّا من خلال الرجوع إلى النتائج التجريبية في موارد أخرى.

إنّ فلسفة هذا القسم من التعاليم الدينية تُستنتج بعد التأملات الذهنية لأهل العقل، وليست بالشكل الذي تكون معه منذ البداية بديهية للجميع.

ويوجد أيضاً بعض التعاليم والأحكام الدينية خارج إطار الفهم والإدراك العقلي للبشر وخارج مجال حكم العلوم التجريبية.

الإشكال الثاني

إنّ معيار وميزان نجاح الأنبياء ليس صيرورة تعاليمهم بديهية للبشر فقط، لكي يلزم من عدم صيرورتها بديهية خسارة الأنبياء القطعية، وإنّما لكي نثبت انتصار أوهزيمة وتراجع الأنبياء علينا أن نعرف هدف الرسالة بشكل دقيق.

إنّ هدف الأنبياء هوإبلاغ رسالة السماء للبشر وهدايتهم إلى طريق الكمال المعنوي واتّباع أوامر الله سبحانه وتعالى، وقد طوى الأنبياء في هذا المجال مراحل وخطوات كبيرة.

إنّ رسالة الأنبياء هي تحرير البشرية من عبادة غير الله تعالى، وربط الناس بالله الخالق المنّان، وهداية القافلة البشرية باتجاه الرشد المعنوي وكسب الفضائل الأخلاقية.

إنّ الأنبياء قبل أن تكون لديهم أهداف علمية، كانت لديهم أهداف عملية، بمعنى إنّهم كانوا بصدد تحريك الإنسان عملياً نحوالله تعالى.

إنّ الآمال والأهداف النهائية للأنبياء الإلهيين هي: إنّهم أرادوا برسالتهم أن يتبع الناس بشكل كامل طريق الله تعالى على طول التاريخ وفي جميع أبعاد الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية.

إنّ الأنبياء كانوا بصدد هداية موجود خُلق مختاراً، ولديه قدرة اختيار طريق الهداية أوالضلال.

إنّ نعمة العقل والفكر أعطيت للإنسان مع الاختيار والإرادة، وإنّ هذه النعمة الإلهية لم تعط إلا للإنسان من بين أنواع المخلوقات، فكان الإنسان متميزاً عن الحيوانات والملائكة.

هذا الاختيار هوالذي أوجب وضع أعمال الإنسان في ميزان العدالة الإلهية؛ فإنّ حسن الاستفادة من الاختيار يجعل الإنسان مستحقاً للحصول على النعم الكثيرة والكمالات الإنسانية، في حين أنّ سوء الاستفادة من الاختيار يتبعه خسران أبدي، وقد أكّد القرآن الكريم هذه الحقيقةَ مراراً وتكراراً.

ومن خلال ملاحظة النقطة المهمة أعلاه، يمكن القول: إنّ ميزان نجاح الأنبياء هوفي مدى التأثير الذي يتركونه في موجود مختار كهذا، ويوجّهونه في الفكر والعمل.

وعلى هذا الأساس نرى الأنبياء قد حققوا نجاحات باهرة وتركوا تأثيرات كبيرة في البشرية سواء في عصرهم أوفي العصور التي تلتهم.

ومثال ذلك: إنّ نبي الإسلامﷺ استطاع ـ بلطف الله تعالى ـ في زمانه أن يكتب تاريخاً مضيئاً في الصفحات السوداء للعرب في عصر الجاهلية، بحيث أصبح ذلك العصر خالداً في التاريخ هادياً أبدياً للعصور التي تليه.

ويكفي أن نقرأ سيرة المصلحين الكبار في التاريخ حتى نرى من بين هؤلاء مدى كون الأنبياء موفّقين وناجحين في حركتهم ورسالتهم، إنّ العديد من المؤرّخين يؤكّدون التأثيرَ الكبير للأنبياء وخصوصاً النبي محمدﷺ.

فإنّ الأنبياء قد انتشلوا الأعداد الهائلة من البشر من وحل الذلة ورفعوهم إلى أوج العزة سواء في حياتهم أوبعد وفاتهم.

ومن الشواهد على نجاح الرسول الأكرمﷺ في نشر رسالته ازدياد عدد المسلمين بصورة مستمرة على مدى أربعة عشر قرناً من بعثة النبي محمدﷺ، فإنّ التاريخ شاهد على اعتناق الأعداد الهائلة من الناس للإسلام والكثير من العلماء الذين التجؤوا إلى حضن الإسلام ونوّروا حياتهم بنور الإسلام.

كيف يمكن أن نفسّر وجود واستمرار الميل الكبير والمتزايد لاعتناق الإسلام من قبل الناس العطشى لمعين الإسلام الصافي، مع وجود كل هذا التطور العلمي المتزايد للبشر، وفي ميدان تطرح فيه المدارس المختلفة أفكارها وترمي بالإنسان في بحر متلاطم الأمواج من الحيرة والشك والتردد، وتلويث صورة الإسلام الناصعة والقرآن الكريم بالشك والإبهام؟ لكننا على الرغم من كل ذلك لازلنا نشاهد الميل الشديد والمتزايد يوماً بعد يوم للناس العطشى لمعين الإسلام الصافي ؟

إنّ كلّ هذا الميل للدين الإسلامي يحدث مع رصد الأموال الطائلة والدعم السياسي من قبل القوى العالمية لتشويه صورة الإسلام الناصعة وإعطاء تصورٍ سيّئ عن الإسلام لشعوب العالم، ووضع طرق عديدة لإعطاء البديل والتبليغ للديانات الأخرى.

إضافة إلى ذلك، فإنّ الكثير من الدول الإسلامية تحكمها أنظمة تعتبر من الأعداء الأساسيين لتنامي الإسلام الواقعي والأصيل في العالم.

وفي مثل هذه الأوضاع، فإنّ تزايد هذا الميل للإسلام خلال القرن الحالي، لا يدل إلا على انتصار ونجاح الإسلام في جميع المراحل التي مرّ بها.

إنّ ظهور واستمرار الثورة الإسلامية في إيران، مع وجود كلّ المعوقات التي تحيط بهذه الثورة المباركة، هودليل أيضاً على ثمرات هذه الشجرة المباركة للإسلام في هذا القرن، ومن دلائل التوفيق والنجاح لنبي الإسلام والأئمة عليهم السلام الذين كانوا هم الملهمين لهذه الحركة الإسلامية.

إنّ من الأهداف المهمة للأنبياء التذكير بالأمور الأخلاقية وإحياءَها في المجتمعات، فإنّ التذكير بتلك التعاليم من قبل مصدر إلهي مقدس له الأثر الكبير في حفظ الفرد والمجتمع من الفساد، وفي تنامي الكمالات المعنوية.

وفي هذا المجال كان للأنبياء تأثير كبير وحققوا نجاحاً باهراً على طول التاريخ البشري، واليوم نجد البشرية قد وقعت في فخ الغفلة والابتلاء أيضاً، وهي بحاجة إلى مصدر متعال ومقدس لهدايتها إلى طريق الكمال.

الإشكال الثالث

إذا اعتبرنا أنّ سبب نجاح الأنبياء هومجرّد صيرورة تعاليمهم بديهية للناس؛ فإنّ ذلك يستلزم هزيمة وخسارة كل الأنبياء في زمانّهم ومن ضمنهم نبي الإسلام.

إنّ التأكيد على أنّ البشر اليوم -مع وجود هذا التطور للعلوم الحديثة- قد أصبحت لديهم تعاليم الإسلام بديهية، يستلزم ذلك عدم وصول الإنسان إلى هذه المرحلة قبل عصر النهضة.

وبالنتيجة؛ فإنّ زمن الأنبياء حتى زمن النبي الأكرمﷺ هوقبل هذا العصر، حيث لا زالت بداهة التعاليم الدينية وعدم الحاجة إلى الدين غير متحققة.

وعلى هذا الأساس نستنتج أنّ جميع الأنبياء قد انّهزموا بشكل كامل في زمانّهم، ولم يحققوا أيَّ درجة من النجاح؛ لأنّ البشر في زمانهم لم يصلوا إلى حد اعتبار التعاليم الدينية بديهية في ذلك الزمان، في حين إنّه إذا كان أيّ مصلح عظيم في العالم وفي أيّ مرحلة ظهر من التاريخ البشري ولم يحقق أي نجاح في زمانّه، فإن هذا يعتبر نوعاً من الهزيمة.

لذا فإنّ الدكتور سروش إذا كان يعتبر بداهة تعاليم الأنبياء لوحدها ميزان ومعيار نجاح الأنبياء، فلكي يضع الحلول لمشكلة هزيمة وخسارة الأنبياء، لابدّ أن يجدد النظر في استغناء الإنسان المعاصر عن الدين، لا أن يلتزم به.

٥ ـ ٢ ـ ٢: إعطاء معيار وميزان خاص للاستغناء

إنّ من بين الأدلة التي ذكرها الدكتور سروش للاستغناء عن الدين: طرحه معياراً خاصاً للتديّن، وهومن أهم أسس البحث لديه.

إنّ هذا المطلب وإن لم يوضّحه بشكل جيد في مقاله«ريشه در آب است»، ولكن الرجوع إلى رؤيته في باب الذاتي والعرضي في الدين[١]، وبعض

١ـ راجع: ساجدي، أبوالفضل؛ جالش يا سازش، الفصل الأول.

المطالب التي طرحها في كلمته التي ألقاها في كندا[١]، يمكن أن تتضح هذه النقطة المهمة.

فإنّه في قسم الأسئلة والأجوبة من كلمته المذكورة، وضع معياراً لوصول المجتمع إلى مرحلة الاستغناء المحمود عن الإسلام، ونشير هنا لقسم منها، فإنّه في قسم من جوابه عن سؤال طرحه مؤلّف هذا الكتاب حول الاستغناء المحمود يقول:

الدكتور سروش:

«نحن لدينا في رسالة الأنبياء شيء كهذا، وفي هذا الإطار. [يعني]: أنّ النبي يمكن أن يبعث (و) يصل الناس بعد ذلك للاستغناء المحمود، إن هذا ليس شيئاً عجيباً وغريباً.... لقد ذكرت منذ البداية، أنّ جميع الكلام متعلّق بالصغرى، أنتم تقولون في أيامنا هذه: هل حدث هذا أم لم يحدث؟

١ـ الدكتور سروش، ندوة خطابية مع الأسئلة والأجوبة بتاريخ ١٣٧٦/١٢/٢٥ هـ.ش في مسجد فاطمة عليها السلام في مدينة «مونتريال» بكندا.. ونشير هنا إلى إنّه في هذه الندوة وبسبب ضيق الوقت وكثرة الأسئلة، فإن مؤلف هذا الكتاب قد طرح سؤالاً من بين الأسئلة الكثيرة الموجهة للدكتور سروش حول الاستغناء المحمود والمذموم عن الدين. وهنا ذكرنا عبارات الدكتور سروش عينها، وما وضعناه بين قوسين في أثناء نقلنا لكلامه هو ليس من كلامه، بل إن المؤلف أضافها لإيجاد الترابط بين الجمل ولتوضيح مقصود الدكتور سروش.

[يعني: هل في أيامنا هذه وصل الناس إلى مثل هذه المرحلة بأن يكونوا غير محتاجين إلى الدين أم لا؟] فكل كلامكم هوفي هذه المسألة، وهي مسألة ليست مهمة جداً، ولنفرض أنّ هذا (الاستغناء عن الدين) قد حدث، فهل هناك إشكال؟».

السائل:

كلا، لا يوجد أيّ إشكال، بل هوأمر جيد جداً، إذا كان جميع الناس في العالم ـ أعم من الدول الغربية والشرقية ـ مثل الرسولﷺ وعملوا بجميع الأحكام الإلهية، ففي هذه الحالة سيكون لدينا أفضل مجتمع، ولم تكن لدينا أيّ حاجة إلى تعاليم الأنبياء؛ لأنّ النتيجة النهائية قد حصلنا عليها قبل أن يبعثوا.

الدكتور سروش:

لنفرض من الأساس ـ في الوقت الحاضر ـ إنّه لم نصل إلى هذه المرحلة في أيّ مكان من العالم، والناس لا زالوا عبدة الأصنام الأوائل، إنني أريد أن أقول إنّه إذا وصل البشر إلى مرحلة الاستغناء عن الدين واقعاً، ألا يستلزم ذلك أن نفرح ونبتهج ـ من المعلوم أننا يجب أن نفرح ـ فهذا جيد جداً وعلامة على نجاح الأنبياء أيضاً، والآن إذا جاء شخص وأخبرك أنّ بعض المجتمعات وصلت إلى مرحلة الاستغناء عن الدين، فهل يحسنُ أن تكون غير مرتاح؟

[كلا] فإنّك يجب أن تفرح، والذي يمكن أن تقوله هوأن تأسف لعدم الوصول إلى هذه المرحلة فقط وإلا فإن هذا الأمر لا يدعوللقلق، وهذا الكلام ليس ضدّ الدين، إذن فنحن ليس لدينا بحث ديني، وما عندنا

هوبحث اجتماعي فقط وهو: أنّ بعض المجتمعات وصلت إلى هذه المرحلة أم لا؟».

السائل:

إنني ليس لدي اختلاف معك في التعريف الاصطلاحي للاستغناء الممدوح والمذموم. «إنّ مشكلتنا الأساسية حول أمر آخر» إنّ البحث في زماننا هذا هو: هل حصل الاستغناء أم لا في مختلف دول العالم؟ أعمّ من إيران وبقية الدول الغربية والشرقية ـ وذلك بالنسبة للاستغناء عن رسالة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، أوبعبارة أخرى بالنسبة للاستغناء عن الإسلام بوصفه ديناً يراعي جميع الأبعاد المختلفة للإنسان ـ أعم من المسائل العبادية والاجتماعية وغيرها ـ وإذا حصل الاستغناء، فأي نسبة حصلت من الاستغناء؟

الدكتور سروش:

نعم، إنّ سؤالك هوهذا، إذن المسألة الدينية غير مطروحة؛ لأنّه من خلال الرؤية الدينية فإنّ الاستغناء المحمود ليس بالأمر السيئ، بل إنّه أمر حسن، فإذا لم يصل إليه الناس فنحن نأسف لذلك، ما أجودَ أن يصل الناس إلى الاستغناء....

إذن أنت تقبل أيضاً أنّ الاستغناء المحمود ليس مخالفاً للدين، فإذا وصلنا لذلك فهوأمر جيد، ولكننا نأسف كما قلت أنّ بعض الأماكن لم تصل [إلى مرحلة الاستغناء].

والآن أريد أن أجيب عن سؤالك، لكن وألف لكن، فأنا أرى المشكلة في الفكر الديني التي هي عندك ، أنت ترى أنّ الدين يعني الفقه، أنت

تقول[1]: إذا الناس لم يصلّوا فإنّهم لا دين لهم، إذا [الناس] لا يصومون، وإذا يشربون الخمر [إذن لا دين لهم]، فأنت تفكّر بهذا الشكل، إذا كان الأمر كذلك [؛ يعني إذا اعتبرنا تلك الأمور هي معيار التدين]، فأنا أيضاً أوافقك الرأي [؛ إنّ الإنسان المعاصر لم يصل إلى مرحلة عدم الحاجة إلى الدين].

ولكنّني أرى الدين بهذا المعنى، انظر إنّ مشكلتنا هي في هذه الطريقة للتفكير عند مجتمعنا، فإنّ هذا التفكير جاء من الطبقة العليا في المجتمع إلى الطبقات الدنيا .

فالتقصير يقع إذاً على عاتق قادة الفكر في المجتمع.

فالدين عندهم مساو للفقه، فإذا كان المجتمع ملتزماً بالحجاب، يقولون: إنّ هذا المجتمع متديّن، وإذا كان المجتمع الغربي لا يلتزم بالحجاب، يقولون: إنّهم لم يصلوا إلى مرحلة الاستغناء عن الأنبياء، فيجب أن يأتي إليهم النبي ويقول لهم ضعوا الحجاب على رؤوسكم.

وعلى أساس هذا المعيار فأنا اتفق معك ـ يعني إذا قبلت معيارك ـ فإنّ هذا الاستغناء [المحمود] لم يحصل.

ولكنني لديّ كلام وخلاف حول معيارك،.... انظر ففي الكليات والكبريات إذا كان [لدينا] اتفاق حولها [إذاً فلا مشكلة لدينا]؛ لأنّ تلك [الكبريات] مهمة جداً.

١ـ من المؤكّد إنّه ضمن السؤال الذي تم التاكيد عليه لم يكن المقصود أنّ معيار التديّن هوالصلاة والصوم.

إنّ أصل البحث هنا هوإنّه لدينا شيء بعنوان الاستغناء المحمود وشيء آخر بعنوان الاستغناء المذموم، ومن الجيد جداً أن يصل أيّ مجتمع للاستغناء المحمود.

هذا أوّلاً، وثانياً إنّ الوصول للاستغناء المحمود له معيار، ومعياره وميزانه ليس لطم الصدور أوقراءة مجالس العزاء أومقدار الحج والزيارة، فالمعيار ليس على أساس تلك الأمور، إنّ معيار الاستغناء المحمود هوحفظ كرامة الناس في ذلك المجتمع.

خلاصة الدليل

إنّ المطالب التي ذكرت لبيان الاستغناء المحمود عن تعاليم الإسلام يمكن تلخيصها في ثلاث مقدمات ونتيجة:

المقدمة الأولى:

تقسيم الاستغناء إلى نوعين: محمود ومذموم، وهذا الاستغناء ينطبق أيضاً حتى على تعاليم الإسلام.

إضافة إلى أنّ وصول المجتمع إلى مرحلة عدم الحاجة إلى تعاليم القران والروايات هومن الأمور الحسنة والجيدة.

المقدمة الثانية:

إنّ معيار استغناء المجتمع المحمود عن تعاليم الإسلام، هوحصول الرسوخ أوصيرورة أصل وجوهر تعاليم الإسلام بديهياً في المجتمع، والمراد من جوهر تعاليم الإسلام هو: القضايا التي هي مثل: الإنسان موجود محترم،

وجوب حفظ كرامة الآخرين، وجوب احترام حرية الإنسان، واعتبار العدالة وطلب الحق من الأمور الحسنة.

ومن بين الكلمات التي نقلناها عن الدكتور سروش كان آخر مقطع فيها يدل دلالة واضحة على المقدمة الأولى والثانية.

المقدمة الثالثة:

جوهر تعاليم الإسلام (يعني المفاهيم والقضايا المذكورة في المقدمة الثانية) أصبح بديهياً للإنسان المعاصر.

وقد فرض الدكتور سروش أنّ وضوح جوهر تعاليم الأنبياء للانسان الجديد من الأمور المسلّمة قال:

«إنّ بحثي حول تعاليم الأنبياء، وإنّ جوهر تعاليمهم هو: الإنسان موجود محترم، وإنّها هل وصلت إلى مرحلة بحيث لايحتاج معها إلى البحث؟»[١].

أوفي مكان آخر يقول: «إنّ هذه النقطة واضحة وهي كون التعاليم الأصلية للأنبياء، هذا الجوهر الفكري لهم، لم يبق له مخالف حقيقي»[٢].

وأيضاً فإنّه يكتب في إحدى مقالاته حول تأييد نظريته المعتمدة على استغناء الإنسان المعاصر عن الدين فيقول:

١ـ الدكتور سروش، الندوة الخطابية مع الأسئلة والأجوبة بتاريخ ١٣٧٦/١٢/٢٥ هـ. ش في مدينة مونتريال في كندا.

٢ـ المصدر نفسه.

«إن البحث يتمحور حول أن تعاليم الأنبياء التي جاؤوا بها هي راسخة في عمق الذهن والوجدان التاريخي للبشر»[1].

ومن ثم يطرح مثالاً على ذلك بديهية القضايا الأخلاقية مثل حسن العدالة وطلب الحق، ومن خلال ذكره لهذه الأمثلة يتضح أنّ مقصوده من كون تعاليم الإسلام بديهية هو: وضوح قيمة المفاهيم البديهية الأخلاقية.

النتيجة:

إنّ الإنسان المعاصر ـ يعني المجتمعات التي أصبحت لديها القضايا القبلية بديهية ـ وصلت إلى مرحلة عدم الحاجة إلى الدين.

فهو هنا يدّعي ادعاءً يشابه ما يؤكد عليه كثيراً وهو: «إنّ ما يمكن ملاحظته بوضوح،هوالاستغناء الذي وصلت إليه البشرية عن الأنبياء وتعاليمهم»[2].

فهناك ينسب عدم الحاجة إلى الدين إلى «مجموع البشرية»، وأما هنا فهويؤكّد أكثر على «المجتمع الجديد» و«الإنسان المعاصر» وأنّ لهم مثل تلك الدرجة والمقام.

١ـ مجلة كيان، العدد ٢٩، ص ١٤.

٢ـ مجلة كيان، ص١٢.

تقويم المقدمة الأولى

إنّ صحة الاستدلال الذي قدمه الدكتور سروش تعتمد على صدق كلّ المقدمات الثلاث للدليل، في حين أنّ المقدمة الأولى باطلة أوبالنتيجة إنّ استدلاله عقيم، إضافة إلى أنّ أجزاءً من المقدمة الأولى محل تأمّل أيضاً. يقول في هذه المقدمة:

«إنّ تقسيم الاستغناء إلى نوعين محمود ومذموم ينطبق أيضاً على تعاليم الإسلام، إضافة إلى ذلك، فإنّ من الجيد والحسن أن يصل المجتمع إلى مرحلة الاستغناء الممدوح عن تعاليم القرآن والروايات»[1].

وحول هذه المقدمة، يمكن القول: إنّ أصل تقسيم الاستغناء إلى نوعين محمود ومذموم هوأمر صحيح، كما أنّ مثال نوعي الاستغناء واضح جداً في حالة العلاقة بين التلميذ والمعلم، أو العلاقة بين المريض والطبيب، فإنّ الطالب الذي لم يكمل بعدُ دراسته، إذا ادّعى الاستغناء عن الأستاذ، فإن هذا الاستغناء يعتبر من النوع المذموم، في حين أنّ ادعاء عدم حاجة التلميذ الى الأستاذ في قسم معيّن من دراسته لأنّه في هذا القسم وصل إلى مرحلة الأستاذ، يعتبر من الاستغناء الممدوح، وفي حالة المريض والطبيب هذا الأمر نفسه صحيح.

وبالنسبة للتلميذ والمريض، فإنّ هذا الاستغناء إضافة إلى كونه ممكناً، فإنّه متحقق في الواقع الخارجي، ولكنّ عدم الحاجة إلى الدين وإن كان ممكناً

١ـ المصدر نفسه: ١٢.

تصوّره في الذهن، ولكن تحققه في الواقع الخارجي غير ممكن؛ لأنّ علّة عدم الحاجة إلى تعاليم الإسلام يمكن أن تكون من الأمور التالية، وكلّها غير ممكنة القبول:

١ ـ إنّ أحد علل وأسباب الاستغناء هوالبديهية والرسوخ لتعاليم الإسلام في أذهان الناس، وعدم الحاجة إلى تعاليم الإسلام لوجود مثل هذا السبب، (بديهيتها للإنسان في العصر الحاضر)غير ممكنة القبول[1] .

٢ ـ إنّ العلة الثانية للاستغناء يمكن ان تكون التعلّم الكامل لتعاليم الإسلام. فإذا لم تكن جميع تعاليم الدين بديهية، فإنّه يمكن لأشخاص أن يتعلموها بشكل كامل ويحفظوها، فإنّ هؤلاء أيضاً لا يحتاجون إلى التعليم مرة أخرى، ومثل هذه العلّة لا يمكن القبول بها أيضاً كسبب لتحقق عدم الحاجة إلى تعاليم الإسلام؛ لأنّه من البديهي أن جميع الناس في العالم لم يتعلّموا هذه التعاليم، فإنّ مثل هذا الأمر غير صادق وغير متحقق عند الناس الساكنين في مناطق المسلمين، فكيف يصدق في مناطق غير المسلمين.

٣ ـ إنّ العلّة الأخرى لعدم الحاجة إلى تعاليم الإسلام، هي وضع معيار خاص للاستغناء، سنناقشه في المقدمة الثانية.

١ـ إن توضيح هذه النقطة قد مضى ضمن بيان الإشكال الأول على الدليل الأول.

تقويم المقدمة الثانية

إنّ أهم دليل لنظرية عدم الحاجة إلى الدين، هووضع معيار خاص للتديّن وقد بيّنّاه في المقدمة الثانية.

في هذه المقدمة، اعتبرت بديهية تعاليم الدين(يعني قيمة العدالة، حفظ كرامة الإنسان و...) منشأ لعدم الحاجة إلى الدين.

وقبل أن نبيّن النقد، نطرح عدة نقاط ضرورية:

أ ـ مراد الدكتور سروش من جوهر دين الإسلام، ذاتيات الإسلام في مقابل عَرَضياته، ويمكن أن يتضح قصده من أنّ «جوهر الدين» هو «ذات الدين» نفسه، من خلال الرجوع إلى مقالته التي بعنوان(الذاتي والعرضي في الدين)؛ إذ يستعمل أحياناً أحد هذين المصطلحين مكان الآخر، ومثال ذلك: إنّه يبيّن خلاصة كلامه بعد شرحه التفصيلي للعرضيات الدينية ووجوب تفكيكها عن الذاتيات، فيقول:(إن النقاط الأربع عشرة... هي العرضيات نفسها التي تتضمن الذات القيمة للديانة، وللكشف عن هذا الجوهر لابدّ من نزع تلك القشور)[١].

ففي هذه العبارة استعمل(الجوهر) مرادفاً لـ(الذات)، وهوبالإضافة إلى كلمة(الجوهر)استعمل عبارات أخرى مرادفة لـ(الذات)كذلك ومنها: الإسلام الأصيل[٢]، الرسالة الأصلية والنواة المركزية للإسلام[٣].

١ـ مجلة كيان، ص١٨.

٢ـ مجلة كيان، العدد٤٢، ص١٣.

٣ـ المصدر نفسه: ١٤.

وحسب رأيه فإنّ جميع تلك العبارات تعطي معنىً واحداً، والمقصود منها هوالإسلام الذاتي أوالحقيقي، أوبعبارة أخرى الإسلام مع حذف عرضياته[١].

ب ـ إنّ المقدمة الثانية تشير إلى أنّ الدكتور سروش يعتبر أنّ جوهر الدين هوالمفاهيم البديهية الأخلاقية مثل حسن العدالة واحترام البشر، ومن جانب فهولا يقول: إنّ اعتبار هذه المفاهيم بديهية يجعل الإنسان غير محتاج إلى تعلّم هذه المفاهيم فقط، بل يعتقد أنّ هذا الأمر هومنشأ لعدم الحاجة إلى جميع تعاليم الإسلام.

ج ـ لقد أكّدت ضمن الأسئلة العديدة ـ التي ذكرت بعض منها في هذه المقالة بنصها ـ إن قصدي من الاعتماد على الصلاة والصيام والحجاب وغير ذلك من ضروريات الدين ليس اعتبار هذه الأمور وحدها أهمّ معيار للمجتمع المتديّن.

ومثال ذلك: إذا كانت مجموعة من الناس اكتفت من الإسلام فقط بأداء الصلاة دون الخشوع والتعمّق، فإن هؤلاء بالقياس إلى غيرهم يعتبرون من أفضل الناس المتدينين[٢]، بل إنّ السؤال يمكن أن يكون بهذه الصورة وهو:

١ـ لمزيد من التوضيح راجع: ساجدي، جالش وسازش، الفصل الأول، ذاتي وعرضي در دين، في بداية هذا الفصل يبيّن الكاتب معنى الذاتي والعرضي في الدين حسب رأي الدكتور سروش ولوازمه حيث تشير مطالب الفصل الأول إلى إنّه أخرج العرضيات من الإسلام الحقيقي ـ الذي يعتبره جوهر أوذات الإسلام ـ.

٢ـ من المؤكّد إنّه يمكن القول: إنّ إقامة الصلاة مع الخشوع ومراعاة الشروط التي أرادها الإسلام، له أثر كبير جداً في تقليل الفساد والفحشاء في المجتمع، كما أشار

هل يمكن اعتبار أنّ الإسلام يحتوي أموراً ضرورية أم لا؟ نذكر هنا بعض العبارات لمؤلّف الكتاب في سؤاله لصاحب هذه النظرية وهي كما يلي:

ليس المدّعى أن نقصر الإسلام على إقامة الصلاة فقط، وبالخصوص إذا كانت بدون خشوع وتعمّق، فإنّ أيّ فرد أوأي مجتمع أدّى مثل هذا العمل فهومسلم، وإلا فيعتبر بلا دين، وإن كان هذا المقدار من أداء الصلاة مطلوباً وجيداً، ولكنّ قصدي هو: أنّ الدين وضع مقدمات لوصول الإنسان إلى المراحل العليا للإنسانية، والإنسان بأداء تلك المقدمات يصل إلى المراحل العليا، فالمسلم له درجات مختلفة، فهناك حدّ أعلى وحدّ أدنى للمسلم، ومن دونه لا يمكن اعتبار الشخص مسلماً. لذا فأنت لا يمكن أن تتهم الطرف الآخر الذي يقول: إنّ المسلم فقط هوالذي يؤدّي الصلاة وان كانت بلا خشوع.

على أساس هذه المقدمة، فالسؤال هو: إذا فرضنا أنّ هناك مجتمعاً فيه كفار، ومنتشر فيه الفساد والفحشاء والسفور وشرب الكحول والروابط الجنسية اللاشرعية، والناس فيه لا يقيمون الصلاة ولا يصومون ولا يعملون بأحكام

القرآن إلى دور الصلاة في النهي عن المنكر: ﴿إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾. وبالتأكيد أن غاية الكتاب الذي بين يديك ليست بحث هذا الموضوع، فإنّ الكلام في هذا الموضوع وبيان قيمة وأهمية الصلاة للإنسان الجديد يحتاج إلى مجال آخر.

الدين، فهل هناك حاجة الى السعي من اجل هداية هذا المجتمع ودعوته الى الإسلام والعمل بأحكامه ؟[١] .

من خلال ملاحظة هذه النقاط المذكورة نقوم بمناقشة المقدمة الثانية، فهويقول في هذه المقدمة: إنّ المجتمع الذي فيه مفاهيم مثل حسن العدالة وطلب الحق واحترام شخصية الأفراد بديهية، مثل هذا المجتمع قد أصبح غير محتاج إلى تعاليم الإسلام، إنّ مراده من هذا المطلب لا يمكن أن يخرج عن صورتين اثنتين ، وكلتاهما باطلة.

أ ـ عندما تكون مثل هذه المفاهيم بديهية لدى أيّ فرد في المجتمع، فإنّه ستكون معتقدات وأحكام الإسلام الضرورية بديهية لديه أيضاً. فإذا كان هذا الاحتمال هوقصد الدكتور سروش، فإنّ بطلانه واضح تماماً؛ لأنّ كون العدالة بديهية لا يعني أن بقية تعاليم الإسلام بديهية لدى الفرد أيضاً.

فإنّك إذا ذهبت إلى أيّ مجتمع ـ في الشرق والغرب ـ غير مطّلع على تعاليم الإسلام، ولكنهم يعترفون بحسن بعض المفاهيم مثل العدالة وطلب الحق، وسألتهم عن وجوب الصلاة والصيام وكيفية أدائها، فإنّه من الواضح أنّك سترى عدم اطلاعهم على مثل هذه التعاليم، ولكن لا يحتمل أن يكون مراده هذا المعنى، بل إن مراده هوالاحتمال الآخر.

١ـ الدكتور سروش؛ ندوة خطابية مع الأسئلة والأجوبة بتاريخ ١٣٧٦/١٢/٢٥ هـ.ش في مدينة مونتريال بكندا.

ب ـ إذا كان قصده من أنّ بديهية بعض المفاهيم مثل حسن العدالة وطلب الحق ترفع الحاجة إلى فهم بقية تعاليم الإسلام؛ لأنّ جوهر الدين الإسلامي هوهذه المفاهيم، وبقّية الأصول والأحكام ليس لها تلك الأهمية،ويمكن أن نستغني عنها أونغيرّها، ففي الواقع إنّ رؤيته هذه تعني: أنّ مقداراً من تعاليم الإسلام المهمة هي جوهر وذاتيات الإسلام، وهي تلك المفاهيم الأخلاقية نفسها التي أصبحت بديهية للإنسان الجديد، وعلى هذا الأساس، فلم تعد هناك حاجة إلى الدين. وهذه الرؤية باطلة أيضاً؛ لأنّها لابد أن تصطدم بالإشكالات التالية:

الإشكال الأول

إنّ الدين لم يأتِ لكي يعلّم الناس أنّ العدل حسن والظلم قبيح، وأنّ التحلّي بالصفات الإلهية والتقرب إلى الله حسن؛ لأنّ هذه القضايا بديهية ومنّ مصاديق أحكام العقل العملي.

إنّ الوحي نزل ليساعد العقل الإنساني في بعده النظري ويهديه للوصول إلى جوهر الدين، وأما من جانب البعد العملي فإنّ الوحي يوقد الشعلة الإيمانية في داخل الناس لتكون محركاً ودافعاً للعمل في هذا الطريق.

لقد ذكرنا سابقاً في فصل (نواقص العقل والعلم) نواقص أدوات المعرفة البشرية لمعرفة جزئيات طريق الهداية والوصول إلى جوهر الدين.

إنّ الرجوع إلى الوحي، هوللاستفادة من المعرفة الدقيقة الكاملة والشاملة لكل الجوانب والسبل والعوامل المؤثرة لوصول الإنسان إلى جوهر العدالة والعبادة والهداية.

إنّ وضوح قيمة جوهر الدين لا يعفينا من فهم طرق التحقق العيني لهذا الجوهر، إذا عمل الإنسان بالأحكام العبادية والأخلاقية والاجتماعية للإسلام، فإنّ ذلك يحفظ احترام الإنسان، ويحقق له العدالة بحيث تكون الصفات الإلهية هي الحاكمة على الحياة، إنّ نظرية الدكتور سروش شبيهة بما إذا قلنا إنّه إذا كان شخص يعرف قيمة التخصص في الأمراض القلبية، فإنّه يصبح غير محتاج إلى الدراسة في التخصص الطبي، وستكون لديه معرفة كافية بعلاج هؤلاء المرضى، ومن الواضح: أنّ مثل هذا الادعاء غير تام، فإنّ بديهية قيمة التخصص بالأمراض القلبية والعروق، لا تجعل الشخص متخصصاً فيها. وعلى أساس ذلك، فإنّ بديهية قيمة جوهر الدين، ليست دليلاً على معرفة طرق الوصول إليه، فالإسلام من خلال أحكامه الجزئية، يرشد الإنسان إلى الطرق العملية لتحقيق أهدافه.

الإشكال الثاني

إنّ الدكتور سروش بصدد إثبات عدم حاجة الإنسان الجديد إلى الدين؛ في حين أنّ كلامه يستلزم أوسع من ذلك وهواستغناء الماضين عن الدين أيضاً، وفيه منافاة لعصر بعث أيّ نبي ونزول أيّ كتاب سماوي؛ لأنّه إذا كان كلامه صحيحاً وإن فلسفة إرسال الأنبياء تعليم المفاهيم الأخلاقية البديهية، فإن

إرسال أي نبي في الماضي لم يكن حاجة أصلاً؛ لأن تلك المفاهيم لا حاجة إلى تعليمها، ليس للإنسان الجديد فقط بل حتى لإنسان القرون الوسطى أيضاً.

إنّ هذه المفاهيم واضحة لدى الإنسان دائماً، فعند مراجعة كتاب جمهورية أفلاطون(٤٢٧ ـ ٣٤٧ق.م) وكتاب الأخلاق لأرسطو(٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م) نجد إنّها تتناول تلك الأمور أيضاً، وفي عصر الإسلام كان الناس يعرفون أيضاً قيمة تلك المفاهيم الأخلاقية، فليس بداهة تلك المفاهيم مختصة بإنسان القرن العشرين وبالتطور العلمي الجديد.

إنّ الإنسان العاقل خلق بالشكل الذي يدرك فيه القضايا البديهية الأخلاقية. فإذا ذهبت لأبعد قرية في أطراف إيران وسألت شخصا أمّيا عن أيهما حسن العدل أوالظلم، فما يكون جوابه؟

فهل سوف يرجّح الظلم؟ فهل حسن العدالة واضح لإنسان القرن العشرين فقط؟ إنّ الطفل قبل أن يحصل على أيّ تعاليم دينية حين يرى والديه يتصرفان مع أبنائهما بشكل غير متساوٍ، فإنّه يرفع صوته بالشكوى.

فإذا كانت معرفة تلك المفاهيم تجعل الإنسان المعاصر غير محتاج إلى الدين، فإن الماضين أيضاً غير محتاجين إلى الدين. وعلى هذا الأساس، فإن كلام الدكتور سروش يستلزم أنّ الله تعالى بعث الأنبياء عبثاً، إضافة إلى إنّه لوفرضنا أنّ تعلّم القضايا البديهية يحتاج إلى بعث الأنبياء، فإنّ إرسال أنبياء عديدين مع كتب سماوية جديدة من قبل الله تعالى سيعدُّ لغواً، بل إنّ أكثر ما

يمكن أن يؤدّيه الأنبياء المتأخرون هوالتكرار والتذكير بما جاء به أول نبي، من دون الإتيان بكتاب جديد.

إضافة الى ذلك، فإنّ النظرية المذكورة لا تستلزم لغوية الفعل الإلهي من إرسال الرسل فقط، بل عبثية سعي الأنبياء، ومنهم خاتم الأنبياء، فإنّه كان عليه بدل أن يتحمل تلك الآلام المجهدة أويعرّض نفسه للهلاك عدة مرات في سبيل تعليم الدين وهداية المجتمع إلى الإسلام، كان عليه بدل كلّ ذلك أن يسأل الناس: هل العدل حسن أم لا؟ فإذا كان الناس يؤيدون حسن العدالة فإنّه سيعرف إنّهم لا يحتاجون إلى تعاليم الإسلام، بل إنّه لم تكن هناك حاجة للنبي إلى أن يجهد نفسه ويسألهم عن حسن العدالة؛ لأنّ قيمة العدالة واضحة لدى كل إنسان.

وعلى هذا: فإن مقتضى نظرية الدكتور سروش هوعبثية كلّ الجهود التي بذلها الأئمة المعصومون أيضاً في بيان أحكام الإسلام ونقل الأحاديث إلى المسلمين أوبالخصوص في عصر الإمام محمد الباقر عليه السلام والإمام جعفر الصادق عليه السلام وتشجيعهما طلابهما على حفظ هذه الأحاديث للأجيال القادمة، وتحمّل السجون والاستشهاد في هذا الطريق، وكذلك عبثية كلّ جهود العلماء في طول التاريخ المليء بالانتصارات والانكسارات للشيعة لجمع وحفظ هذه الأحاديث من التضييع من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام.

فكلّ هذا وذاك كان عبثاً وبلا فائدة طبقاً لنظرية الدكتور سروش، فإنّ أولئك كانوا يستطيعون أن يتخذوا الطريق الأسهل، وقبل أن يرموا بأنفسهم في الصعاب عليهم أن يفكروا قليلاً في أنّ حسن العدالة وقبح الظلم هل هو

واضح لدى الناس أم لا؟ فإن كان هذا الأمر واضحاً لديهم ـ وهو كذلك بالتأكيد ـ فإنّهم سيلتفتون إلى أنّ مثل هؤلاء الناس غير محتاجين إلى فهم بقية تعاليم الإسلام.

الإشكال الثالث

إنّ تحديد أصول وفروع الإسلام ببعض القضايا البديهية الأخلاقية يستلزم الإنكار الاعتقادي لكثير من الواجبات وعدم ضرورة العمل بها، وهذا الأمر معارض للقرآن والروايات والسيرة العملية للمعصومين عليهم السلام.

إن القرآن الكريم يؤكد في آيات عديدة وجوبَ الصلاة والصيام والخمس والزكاة وبقية الواجبات، ووجوب ترك المحرمات، وأكدت الروايات الكثيرة أيضاً وجوبَ تلك الأحكام، وكانت السيرة العملية للنبي والأئمة على هذه الصورة أيضاً.

إذا قال قائل: إنّ المجتمع الذي يرى أفراده أنّ وجوب حفظ كرامة الآخرين وحسن تطبيق العدالة الاجتماعية من الأمور البديهية الواضحة، وإنّ هذا المجتمع وضع قدمه في الطريق الصحيح للوصول إلى المجتمع المنشود الذي يسعى إليه الأنبياء ، إنّ مثل هذا الكلام صحيح، أمّا إذا قيل ـ كما هو حاصل: إنّ مثل هذا المجتمع أصبح غير محتاج إلى فهم بقية تعاليم الإسلام ووصل إلى مرحلة الاستغناء الممدوح، فإنّ هذا الكلام باطل؛ لأنّ هذه الرؤية تستلزم عدم وجوب الاعتقاد والعمل بضروريات الإسلام، يعني: يمكن أن يكون هناك مسلم صالح مع إنّه يمتنع عن أداء الصلاة والصيام

وغيرها... ويرتكب المحرمات(شرب الخمر وترك الحجاب...) أومع كونه منكراً لوجود الله والنبوة والإمامة والمعاد؛ وذلك:

١ ـ لأنّ الدكتور سروش يفترض إنّه بالاعتراف والقبول بالقضايا البديهية الأخلاقية، فإنّ الفرد والمجتمع يصبح غير محتاج إلى فهم ومعرفة تعاليم الإسلام، والنتيجة الواضحة لهذا الفرض، هي: عدم الحاجة إلى الاعتقاد بالتوحيد والنبوة والمعاد وفروع أحكام الإسلام.

٢ ـ إنّه في مثل هذه الحالة فإن أداء الواجبات سيكون غير واجب؛ لأنّ العمل وأداء أحكام الدين متفرع على معرفتها، وعندما توصل بديهية المفاهيم الأخلاقية، الفرد والمجتمع إلى مرحلة الاستغناء الممدوح عن تعاليم الإسلام، فسوف لا تكون هناك حاجة إلى فهم ومعرفة تعاليم الإسلام.

ونتيجة لذلك فسوف لا يكون الفرد ملزَماً بالعمل بتلك التعاليم؛ لأنّه إذا لم تكن هناك معرفة بالحكم، فسوف لا تكون هناك قدرة على العمل به، ووجوب العمل بالحكم المجهول، هوتكليف بما لا يطاق، وقبيح على المولى الحكيم أن يكلّف الإنسان بمثل هذا التكليف.

وبيان آخر: إنّ النظرية أعلاه لازمها إنّه لأداء الواجبات الإلهية وللوصول إلى الفلاح في الدنيا والآخرة والنجاة من عذاب الآخرة يمكن سلوك طريق مختصر لذلك يكون معه الإنسان غير محتاج أبداً إلى تعلّم وقبول أصول الدين والعمل بفروعه، وهذا الطريق المختصر هوأن تصبح لدى الإنسان المفاهيم الأخلاقية مثل حسن العدالة وطلب الحق بديهية.

إذا أصبح حسن هذه المفاهيم للإنسان بديهيّاً، فإنّه سيستغني عن فهم ومعرفة بقية تعاليم الإسلام، وبالنتيجة سيستغني عن العمل بها.

الإشكال الرابع

إنّ النظرية المذكورة هي مصداق لآراء الذين يؤمنون ببعض آيات الكتاب السماوي ولا يؤمنون ببعض؛ لأنّهم يقولون بالقضايا البديهية الأخلاقية، ويتركون بقية تعاليم الدين، في حين أنّ الله تعالى يقول:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إلاّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ويَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إلى أَشَدِّ الْعَذابِ ومَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وعلى الرغم من أنّ هذه الآية الكريمة نزلت في أهل الكتاب الذين منهم من يؤمن ببعض كتابهم السماوي ويكفر ببعض، إلا أنّ من الواضح أن الحكم يشمل الذين يؤمنون ببعض القرآن الكريم ويكفرون ببعض.

فكما أنّ عدم العمل ببعض آيات بقية الكتب السماوية ممنوع وموجب لغضب الله تعالى، فإنّ هذا الأمر بخصوص الآيات القرآنية ممنوع أيضاً بل إنّه سيستتبع غضباً إلهياً أشد وأكبر.

إنّ الدكتور سروش، يتجاهل الارتباط بين تعاليم الإسلام.

إنّ الإسلام نظام فكري وعقائدي مثل بدن الإنسان له أعضاء وجوارح.

١ـ سورة البقرة: ٨٥.

إنّ سلامة البدن والانتفاع به بشكل كامل مرتبط بسلامة كل الأعضاء والجوارح.

فإنّ كلّ عضولا يستطيع أن يؤدّي ويقوم بوظيفة البدن وحده، وبلا شكّ فإنّه من الممكن أن تكون لبعض الأعضاء موقعية أفضل من غيرها ومثال ذلك: إنّ الرأس أوالقلب بالنسبة للأصابع لهما دور أهم، لأنّه مع فصل الرأس تنتهي حياة الإنسان، ولكن قطع الإصبع لا يؤدّي إلى موت الإنسان.

ومن بين أحكام الإسلام هنالك أحكام لها أهمية أكبر ولها تأثير حيوي، ولكن التأكيد على بُعد واحد وتجاهل بقية الأبعاد يؤدّي إلى تحريف الإسلام.

إنّ أحكام الإسلام وضعت لتحقيق مصالح الفرد والمجتمع، كما أوضح ذلك الكثير من المفكرين الإسلاميين، إنّ القوانين الإلهية تابعة للحسن والقبح الذاتي للأفعال، وعلى هذا الأساس، فإنّ علّة اعتبار الله تعالى لبعض الأفعال واجبة أومستحبة، هي وجود المصالح في تلك الأفعال للمكلّف، كما أنّ سبب اعتبار بعض الأفعال محرّمة أومكروهة، هووجود المفاسد الناتجة عنها التي تلحق بالفرد والمجتمع، ولكن من الممكن أن لا تكون جميع تلك المصالح والمفاسد معروفة لدى المكلّفين.

إنّ مجموع المصالح التي لاحظها المولى للإنسان هي في ظل المعرفة والعمل بجميع الأحكام الإلهية، ومجرد بديهية بعض تلك الأحكام لا تحقق جميع تلك المصالح.

إنّ المعرفة والعمل بمجموع تلك الأحكام يوصل الإنسان إلى الله تعالى، وإنّ الرؤية لمجموع تلك الأحكام ومعرفة وفهم بعضها، لا يجعلنا في غنى عن المعرفة والالتزام ببقية الأحكام.

إنّ مراعاة احترام الآخرين لا تغنينا عن المناجاة اليومية في الصلاة، ومن المؤكد أن العبادات إذا كانت مهمة في جانب المعرفة والعمل بها، فإنّها إضافة إلى ذلك تؤدّي إلى الارتباط القلبي بالله تعالى ودوام الذكر لله تعالى والرشد المعنوي للإنسان، لأنّ هذه العبادات مصحوبة بآثار دنيوية واجتماعية أيضاً، وتساعد على ترسيخ الروابط الاجتماعية.

٥ ـ ٢ ـ ٣. الاستشهاد بالآيات والروايات

استعان الدكتور سروش في بحثه لتبيين الاستغناء المحمود عن الدين بالآيات والروايات أيضاً، وإن كان لم يصرّح أنّ هذه الشواهد من الآيات والروايات هي الدليل الأصلي لصحة دعواه أوإنّها دليل مستقل، ولكن يمكن القول: إنّه كان بصدد تأييد رؤيته من هذا الطريق؛ ولأنّه يريد أن يثبت أنّ الإنسان المعاصر وصل إلى مرحلة الاستغناء المحمود، وليس المذموم، عن طريق الدين، يبدأ أولاً بتوضيح قسمي الاستغناء ويصوّرهما بأمثلة مثل العلاقة التي تربط بين المعلم والتلميذ والطبيب والمريض... وثم يستشهد بالآيات والروايات لكي يبيّن أننا يمكن أن نستخرج من الدين تلك العلاقة بين النبي والناس، فيقول:

"قدمت التعاليم الدينية تصويراً وتشبيهاً للعلاقة بين النبي والأئمة بما يشبه العلاقة بين المعلم والتلميذ، والمربّي والمتربي والطبيب والمريض، فقد ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي صلى الله عليه وآله قال:

طبيب دوّار بطبّه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه[١].

ونقل عن النبي إنّه قال: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»، ونقرأ في القرآن الكريم أيضاً: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢]، لذا فإننا نشاهد أن المعارف الدينية والقرآنية قد صورت العلاقة بين النبي والناس بثلاث نسب هي: المعلم، والمربي، والطبيب[٣].

إنّ نقل هذه الشواهد من القرآن الكريم والروايات بعد بيانه لخواص العلاقة التي تربط بين الطبيب والمريض والمعلم والتلميذ، يشير إلى أنّ هذه الخواص تنطبق أيضاً على العلاقة بين النبي والأمة، فإذا كان كلّ من التلميذ والمريض يستطيع أن يستغني عن المعلم والطبيب، فكذلك الناس يستطيعون الاستغناء عن النبي.

التقويم

هل يمكن أن تكون الآيات والروايات شاهداً ومؤيداً لرأي الدكتور سروش؟

١ـ نهج البلاغة، خطبة١٠٨.

٢ـ سورة آل عمران: ٦٤، سورة الجمعة:٢.

٣ـ مجلة كيان، العدد٢٩، ص١٣.

الجواب كلا طبعاً؛ لأنّه:

أولاً: لا شكّ أنّ وظيفة نبي الإسلامﷺ مشابهة لوظيفة المعلم والمربّي من جهة، ولكن هذا الشبه لا يستلزم أن يستغني الناس في عالمنا اليوم عن تعاليم الإسلام.

فإنّ كل ما يعرفه الناس اليوم من تعاليم الإسلام قد عرفوه من طريق الأنبياء والأئمةعليهم السلام. والذين لا يعرفون تلك التعاليم لا يمكن أن يكونوا مستغنين عنها ما لم يتعلّموها، ولذلك لا يمكن لأيّ شخص أن يكون مستغنياً عن تعاليم الأنبياء.

فمثلا إذا درس أي فرد من أفراد العائلة وأصبح عالماً فيزيائياً، فلا يمكن أن يصبح بقية أفراد العائلة وأجيالهم القادمة علماء فيزياء أيضاً وبشكل تلقائي ومن دون تعلّم، لذا فكلّ واحد منهم يحتاج إلى تعلّم مستقل عن الآخرين.

ثانياً: وإذا كانت العلاقة بين الطبيب والمريض هي علاقة جسمية ومادية، بنحويمكن للمريض أن يتحسن وضعه الصحي ويستغني عن الطبيب، فإنّ الأمر مختلف في خصوص العلاقة بين النبي والأمة، فلدينا دليل خاص يحكم بعدم إمكان استغناء الناس عن التربية القرآنية وهو:

١ ـ إنّ معرفة وعلاج الآلام المعنوية والروحية والتربوية لا يمكن أن تحصل بسهولة كمعالجة الآلام الجسدية، فإذا تحقق بفضل تطور العلوم الطبيعية علاج الآلاف من الأمراض الجسدية بسهولة يومياً ويستغني المريض بتلك العلاجات عن الأطباء، فإنّ الآلام الروحية والأخلاقية تزداد يوماً بعد يوم، ممّا

يجعل الحاجة معها إلى طبيب أخلاقي وخصوصاً في العالم المعاصر أكثر من السابق.

٢ ـ إنّ الناس يستطيعون أن يصلوا إلى السلامة الأخلاقية والرشد المعنوي من طريق الرجوع إلى الأسوة والقدوة من المعصومين عليهم السلام، ولكن بسبب استمرار قوة الميول الحيوانية والشهوات عند الإنسان، والوساوس الشيطانية والتعقيدات في طريق التربية الأخلاقية من جهة والمقام العالي للمعصوم الأسوة والقدوة من جهة أخرى، فإنّ الناس لا يمكن أبداً أن يصلوا إلى مستوى هؤلاء المربّين المعصومين، لذلك فإنّ الإنسان يبقى بحاجة إلى مثل هؤلاء الأطباء في الجانب الأخلاقي والمعنوي.

ثالثاً: إنّ التشبيه لا يدلّ أبداً على أن المشبّه يماثل المشبّه به من جميع الجهات، ودائما لمعرفة التشبيه إضافة لمعرفة المشبّه والمشبّه به تحتاج إلى أن تأخذ بنظر الاعتبار وجه الشبه.

إنّ القضية(علي كالأسد) ليست بمعنى أنّ لديه ذنَباً وفروة مثل الأسد، بل إنّ هذه الجملة تحكي عن الشبه بين شجاعة علي والأسد، وإنّ تشبيه النبي بالمعلم والطبيب لا يعني مماثلة العلاقة بين النبي والأمة في جميع الجهات وبالدقة لعلاقة المعلم العادية بالتلميذ، بل إنّ وجود الشبه بين الطرفين يمكن معرفته من خلال وجه الشبه، ووجه الشبه هنا، هودور النبي التعليمي والتربوي لأمته، يعني: أنّ الأنبياء مثل المعلمين يعلمون الناس، ومثل الأطباء يعالجون

الناس، ولكن هل يمكن أن يستغني الإنسان في يوم ما عن هؤلاء المعلمين والأطباء أم لا؟

هذا سؤال آخر، والجواب عنه يطرح في مجال آخر مثل مجال معرفة الله ومعرفة الإنسان، وبحث نواقص العقل والعلم، وسبب ضرورة الوحي.

رابعاً: إذا كان تشبيه العلاقة بين النبي والأمة وعلاقة الخالق بعباده، بعلاقة المعلم والتلميذ أوالطبيب والمريض في الآيات والروايات يستلزم أن تكون تلك العلاقتان متماثلتين من جميع الجهات ولا ندقّق في وجه الشبه بينهما، فإن ذلك سينتج عنه لازم باطل:

وهو: إنّه بالنسبة للناس العاديين، فإنّ التلميذ أوالمريض لا يمكنه الاستغناء عن المعلم أوالطبيب فحسب، بل إنّ التلميذ يمكن أن يصل من الناحية العلمية إلى مرتبة أعلى من مرتبة أستاذه، وكذلك المريض؛ فإنّه ليس بإمكانه الحصول على الشفاء فقط، بل إنّه من الممكن أن يصل إلى مستوى أفضل من الطبيب من الناحية الصحية.

وعلى هذا الأساس، فإنّ التمسك بالشبه من جميع الجهات وتجاهل وجه الشبه يستلزم أن نحصل على علوم دينية أكثر بكثير ممّا لدى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، بل يستلزم أكثر من ذلك الاستغناء عن تلقّي العلوم الإلهية والوصول إلى مرتبة أكبر من المرتبة العلمية للخالق، وأما من الناحية التربوية

فإنّ بإمكاننا أيضاً أن نصل إلى مرتبة أعلى من المرتبة الوجودية والمعنوية للأنبياء والأئمة عليهم السلام، بل حتى أعلى من مرتبة وجود الله سبحانه وتعالى.

٥ ـ ٢ ـ ٤. تعاليم الإسلام البديهية

إنّ ذكر بعض النماذج من تعاليم الإسلام التي أصبحت بديهية للإنسان المعاصر، هوطريق آخر يتخذه الدكتور سروش لكي يؤيد ويقوّي دعواه استغناء الإنسان المعاصر عن الدين، وهوبصدد توضيح أن تعاليم الإسلام أصبحت بديهية اليوم ولا نحتاج إلى تعلّمها.

وهوهنا يكتفي بذكر موردين:

الأول: استحكام المفاهيم الأخلاقية مثل طلب العدل والحق، والثاني: وضوح قبح عبادة الأصنام المصنوعة من الحجر والتمر، ويقول في هذا المجال:

إذا اهتم الرسول الأكرم اهتماماً أكيداً في مجتمع الجزيرة العربية بأن ينفي ويواجه تقديس وتأليه الأصنام التي يصنعونها من الحجر والتمر، فاليوم قد أصبحت مثل تلك الأمور عند الإنسان المعاصر بديهية، فهوغير محتاج للتذكير بها من هذه الجهة[1].

التقويم

إنّ الدكتور سروش يشير إلى قبح عبادة الأصنام المصنوعة من الحجر والتمر، وحسن طلب الحق والعدالة من بين جميع أحكام وتعاليم الإسلام، ومن بين

١ـ مجلة كيان، العدد ٢٩، ص١٤.

كل هذا البحر اللامتناهي لمفاهيم وأحكام القرآن والروايات، واعتبر أن هذه الأحكام التي اختارها من بين أحكام الإسلام أصبحت بديهية للإنسان الجديد، وهي تدعم مقولته ودعواه بالاستغناء الممدوح عن الدين؛ في حين أنّ استنتاجه لم يكن صحيحاً، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إنّ ذكر ثلاثة نماذج غير كافي لإثبات هذا الادعاء الكبير؛ فإنّ الاستقراء الناقص لا يمكن أن يكون دليلاً على ادعاء كلّي.

إنّ الشخص الذي يكون في مقام إثبات استغناء الإنسان المعاصر عن جميع تعاليم الإسلام، كيف يمكن له أن يكتفي بثلاثة أوأربعة نماذج من بين مئات الأحكام الإسلامية، ويخرج بنتيجة يعممها على بقية الأحكام؟

فيا ترى كم من الآيات القرآنية والروايات تتناول حسن العدالة وقبح الظلم وعبادة الأصنام المصنوعة من الحجر والتمر، بحيث أنّ اعتبار مثل هذه القضايا بديهية للإنسان يجعله مستغنياً عن كل تعاليم الإسلام؟

إضافة إلى ذلك، فإنّ كلّ الموارد المذكورة، ما عدا مسألة عبادة الأصنام، هي من المفاهيم البديهية الأخلاقية ولا تحتاج في بادئ الأمر أيضاً إلى تعاليم الأنبياء، وما قد بيّناه سابقاً، هوأنّ هدف رسالة الأنبياء أشمل بكثير من تعليم القضايا البديهية الأخلاقية[1] .

١ـ إنّ البحث حول هذا المورد وهو: هل يمكن أن تكون بداهة المفاهيم الأخلاقية منشأً لاستغناء الإنسان المعاصر عن الدين أم لا؟ قد جاء ضمن بحث المقدمة الثانية من الدليل الثاني للدكتور سروش؛ لذا لن نتطرق لبيانه مرة أخرى.

ثانياً: إنّ رؤية الدكتور سروش لعبادة الأصنام غير تامة أيضاً، ولا بدّ لها من أن تواجه الإشكالات التالية:

١ ـ في الوقت الحاضر أيضاً، توجد مجتمعات كثيرة تشتهر فيها عبادة الأصنام الحجرية.

ففي هذه الأيام تعبد في بعض المجتمعات الأصنام الحجرية التي تمثل بعض أعضاء بدن الإنسان أوالحيوان، بل حتى بعض الأعضاء الجنسية لها بحيث لم يكن هذا التنوع في عبادة الأصنام موجوداً حتى في عصر الرسولﷺ، وإنّ من النماذج التي يمكن الإشارة إليها الديانة البوذية التي لها أتباع كثيرون في بعض الدول، ومنها دول الغرب.

٢ ـ إنّ الاهتمام الأساسي للإسلام في مجال مواجهة عبادة الأصنام، ليس هوترك عبادة الأصنام الحجرية أوالخشبية فقط، بل يشمل أنواع الأصنام وفي مستويات مختلفة والتي نجد لها رواجاً اليوم بين الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية، والمتمدنة وغير المتمدنة، وإن كانت تلك الأصنام ليست من نوع الحجر أوالخشب.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الإنسان الجديد يحتاج اليوم أكثر من أي وقت إلى الدين؛ لمواجهة عبادة الأصنام في صورها ومظاهرها المختلفة.

٣ ـ إذا كانت بداهة قبح عبادة الأصنام الحجرية لبعض المجتمعات معياراً لاستغناء جميع البشر عن تعاليم الإسلام، فإنّ مثل هذا الأمر قد حصل عند

المسلمين بعد مضي عقود من بزوغ الإسلام، بحيث أصبح من النـادر جـدا أن ترى أثراً لعبادة الأصنام الحجرية والخشبية بين الناس.

لذلك فإنّ النظرية المطروحة تستلزم أن يستغني النـاس عـن الـدين منـذ ذلـك الزمان، وليس من القرن العشرين وما بعده.

٥ ـ ٣ ـ التأكيد الخاص على عدم حاجة الدول الغربية إلى الدين

لقد بيّنا سابقاً قصد الدكتور سروش مـن اسـتغناء كـلّ البشـرية والمجتمعـات الجديدة والإنسان المعاصر عن تعاليم الإسلام، إضافة إلـى ذلـك، فإنّـه يؤكّـد بشكل خاصّ على استغناء الدول الغربيـة عـن تعـاليم الإسـلام، فهويعتقـد بـأنّ المجتمعات الغربية وصلت إلـى مرحلـة الاسـتغناء عـن الـدين أكثـر مـن بقيـة المجتمعات في الدول الأخرى، بـل إنّهـا وصـلت إلـى هـذه المرحلـة بشـكل كامل.

قبل متابعة البحث في هذا المجال، يمكن القول: إنّ المؤلّف هنا لـيس بصـدد البحث الموسع في مجال معرفة الغرب وتوضـيح نقـاط القـوة والضـعف عنـد الدول الغربية أوالنقاط السلبية والإيجابية في المجتمعات الغربية.

وفي الوقت نفسه علينا أن نلاحظ: إنّه على الرغم من الخطـوات الجديّـة التـي تمّت في بلادنا بعد الثورة الإسلامية، فإنّنا لازلنا فـي بدايـة الطريـق، وعلينـا أن نبذل جهودنا بشكل متواصل وتدريجي لكشـف نقـاط الضـعف فـي مجتمعنـا، ونسعى لتجاوزها وإصلاحها.

فنحن نحتاج لتنمية مجتمعنا إلى أدوات ووسائل منها: الرجوع إلى تاريخ حياة البشرية، والاستفادة من تجارب سائر شعوب العالم وبالخصوص الدول الغربية، ولكنّنا لا يمكن أن نغفل عن أنّ مسألة معرفة الغرب لا تخلو من التعقيد والدّقة، فيجب علينا أن نقرأ الغرب بالشكل الذي نقرأ به بقية الظواهر في العالم؛ يعني: علينا أن نسلك طريق الموضوعية والواقعية في قراءة ومعرفة هذه الظاهرة.

من المسائل المهمة للحصول على معرفة صحيحة لأيّ ظاهرة، مسألة بحثها قدر الإمكان بعيداً عن الحب والبغض والتفاؤل والتشاؤم والأحكام المسبقة.

أوصانا الإسلام أن نبحث تاريخ سائر الأمم والشعوب بدقّة ونأخذ الدروس منه لصنع تاريخنا ومجتمعنا.

والذي يقرأ ظاهرة ما من أجل الانتقاد والنيل منها، فإنّه سوف يركز على النقاط السلبية فيها، وسيحرم نفسه من القراءة الدقيقة للأبعاد الإيجابية لتلك الظاهرة، والذي يبحث موضوعاً ما من أجل المدح والتمجيد والدفاع عنه، فإنّه سوف يستغرق في النقاط الإيجابية ويغفل بشكل لا إرادي عن النواقص والنقاط السلبية.

إنّ التوسّع في بحث موضوع معرفة الغرب يحتاج إلى مجال آخر لا يسعه المقام هنا.

وما نحن بصدد البحث عنه هنا، هورؤية الدكتور سروش عن الغرب التي هي بخصوص مسألة الاستغناء عن الإسلام، ولكن تقويم آرائه في هذا الموضوع

لا يعني تجاهل التطور العلمي لهذه الشعوب والنقاط الإيجابية التي تحكم حياتها هناك.

من الأمور التي طرحها الدكتور سروش والتي تشكّل مدحاً مفرطاً للدول الغربية، وصوّر بها تلك المجتمعات بأنّها وصلت إلى مستوىً عالٍ من التطور بحيث لا تحتاج معه إلى تعاليم الإسلام:

١ ـ وبالرجوع إلى بعض الفقرات من كلمته التي ألقاها في ندوة خطابية مع الأسئلة والأجوبة في كندا، يمكن أن يتضح لنا هذا الأمر الذي نلفت انتباهكم إليه:

سؤال: نحن نفترض أنّ مجتمعنا في إيران توجد فيه عيوب كثيرة، وهي كذلك في الواقع، وعلينا أن نسعى لإصلاحها، سؤالي هوإذا غضضنا النظر عنّ مجتمعنا وسألناكم عن المجتمعات الغربية، وهل هناك حاجة إلى أن يسعى شخص لإحياء القرآن، لكي يرشد الناس في تلك المجتمعات الغربية للإسلام ومن ضمنها، أن يعمل بظواهر الدين(مثل الصلاة والصيام) أم لا؟ فهل هناك حاجة إلى هذا العمل أم لا؟

الدكتور سروش: «ماذا يعني إحياء القرآن عندك؟ هل يعني إحياء القرآن الصلاة؟... عليك أن تعطي معنىً لإحياء القرآن.

إنّ إحياء القرآن يعني: عدم هتك كرامة الناس، ويعني الالتزام بالعدالة، ويعني احترام هذه المفاهيم أيضاً، أما من الناحية العملية ماذا عليهم أن يصنعوا؟ فهذا بحث آخر، فلم يبقَ شخص اليوم يناقش في مسألة احترام

كرامة الناس، ولم تعد هناك حاجة إلى أن تأتي لتعلمهم تلك المفاهيم، ومن الناحية العملية يمكن أن يكون هناك تقصير، كما هوكذلك، ولكن لم تعد تلك المفاهيم مورداً للبحث.

ولوسلّمنا أنّ هذه المفاهيم تعتبر جزءاً من البديهيات، ماذا تريد أن تقول لنا؟ لازلت تقول احفظ كرامة الناس، فهل هذا برأيك حاصل في المجتمع الجديد، في أي بلد كان، أم لا؟ أوإنّه لازال بحاجة إلى التوضيح، ولكنّ المسألة ليست إنّه من الناحية العملية يحصل الالتزام بتلك المفاهيم أولا، فإنّه من الناحية النظرية لم تأخذ تلك المفاهيم أصلاً موقعها في مجتمعنا.

إنّ كلامي هو هذا، إنّه في بعض الأماكن الأخرى أخذت هذه المفاهيم موقعها من الناحية النظرية، وإذا قلت: إنّ تكرار تلك المفاهيم أصبح مملاً، ويقولون: نحن نعرفها، وذكرنا وكتبنا عشرة أضعاف تلك المفاهيم ولكنه مع ذلك يوجد تقصير من الناحية العملية، فهذا كلام آخر، وهناك تقصير موجود دائما من الناحية العملية.

إنّ بحثي حول تعاليم الأنبياء، وأن جوهر تعاليمهم هوأنّ الإنسان موجود محترم، فهل أنّ تلك التعاليم وصلت إلى الحدّ الذي لا يحتاج معه إلى النقاش والبحث»[1].

١ـ الدكتور سروش؛ ندوة خطابية مع الأسئلة والأجوبة بتاريخ ١٣٧٦/١٢/٢٥ هـ.ش في مدينة مونتريال بكندا.

يتّضح لنا من هذه المحاورة سؤال دقيق وهو: هل هناك حاجة إلى السعي من أجل إحياء القرآن في الدول الغربية وتقريب تعاليم الإسلام إلى قلوبهم ودعوتهم إلى الإسلام؟ فكان جوابه أنّ إحياء القرآن والإسلام هوعبارة عن توضيح القيم والمفاهيم مثل العدالة وكرامة الإنسان، وهذه المفاهيم واضحة في تلك الدول وأصبحت بديهية لديهم.

وبعبارة أخرى ـ كما أكد الدكتور سروش سابقاً ـ: إنّه إذا كان جوهر تعاليم الأنبياء بديهياً عند أشخاص، فإنّهم سيكونون غير محتاجين إلى تعاليم الإسلام.

فهنا يقول: إنّ جوهر تعاليم الأنبياء أصبح بديهياً عند الناس في الدول الغربية، وبالنتيجة فإنّهم غير محتاجين إلى تعاليم الإسلام، ولا يحتاج أي شخص إلى أن يسعى لإحياء تعاليم القرآن في تلك الدول.

ولكنّه يؤكّد هنا، على أنّ استغناء المجتمعات الغربية عن فهم تعاليم الإسلام يعني إنّهم غير محتاجين إليها من الناحية النظرية، ولكن هذا لا يعني إنّهم لا يعانون من مشاكل من الناحية العملية.

٢ ـ إنّ الدكتور سروش لديه بيان آخر للاستغناء القطعي للدول الغربية عن تعاليم الإسلام.

إنّه وضّح عبارته السابقة في بداية فصل (وضع معيار وميزان خاص للاستغناء)، لذا نشير فقط إلى الجمل التي تتصل بهذه النقطة، ولأجل توضيح ادّعائه يقدّم ثلاث مراحل ويقول في البداية: "إنّ النبي يمكن أن يأتي وأن

يوصل الناس إلى الاستغناء المحمود، فإنّ هذا ليس شيئاً عجيباً وغريباً... أنا أقول: إنّ البشر إذا وصل إلى هذه المرحلة واقعاً، ألا يجب أن نبتهج ونفرح لذلك؟ من المعلوم أننا يجب أن نفرح."

وفي المرحلة الثانية نراه يتصدّى لبيان أن الدول الغربية غير محتاجة للإسلام قطعاً قائلاً: "إذا جاء شخص وأخبرك بأنّ بعض المجتمعات أصبحت غير محتاجة إلى تعاليم الإسلام، ألا يجب أن نفرح؟ نعم فأنت يجب أن تفرح... ولكن للأسف كما تقول: إنّه في بعض الأماكن لم يصل الناس إلى مرحلة الاستغناء، جيد فأنا سأتصدى للجواب عن هذه المسألة."

المرحلة الثالثة هي طريق للحل يبيّن من خلاله إثبات دعواه وهو: أنّ علينا أن نغيّر معيار وميزان التديّن، وعندما نبيّن المعيار على أساس رأي الدكتور سروش، نستنتج أنّ الدول المتطورة وصلت إلى مرحلة عدم الحاجة لتعاليم الإسلام بشكل قطعي وغير مشروط، ثم يؤكّد أنّ انتشار الأفكار الخاطئة لقادة الفكر الإسلامي وفقهائه في مجتمعنا هوسبب نفوذ هذه المعايير الخاطئة لتديّن المجتمع إلى الأذهان، ومن ضمنها إنّهم يتصورون "إذا كان الحجاب منتشراً في مجتمع، فيقال: إنّ هذا المجتمع ديني، وإذا كان السفور منتشر في المجتمعات الغربية، فيقال: إنّ هؤلاء لم يصلوا إلى مرحلة الاستغناء عن الأنبياء." وقد صرّح حول هذه المسألة بأنّه من الناحية العملية لا يعتبر الصلاة وترك شرب الخمر معياراً للتديّن، ولذا يستنتج أنّ المجتمعات الغربية وإن كانت تخالف أحكام الإسلام من الناحية العملية، ولكنها بشكل قطعي وصلت إلى مرحلة الاستغناء عن تعاليم الإسلام.

٣ ـ إنّ الدكتور سروش في بعض المطالب التي يطرحها يقول: "نعم إنّ الدين اليوم ليس بذلك المعنى الذي كان يراه العوام من الناس في وقت من الأوقات، ويمكن أن لا يكون كذلك في مجتمعنا، وحتى إذا كان كذلك، فهنا يمكن أن يكون أقل"[1].

إنّ مقصوده من «هنا» ليس في إيران، بل إنّ قصده هوالدول الغربية؛ لأنّ تلك العبارة التي نقلناها هي من كلمة ألقاها في ندوة بمدينة مونتريال.

إنّه في عبارته هذه يمدح ويمجّد بشكل واضح الغرب ـ وإن كان مع الاحتياط ـ بدليل أن الغرب ليس لديه دين العوام، واتهم الشعب الإيراني بدين العوام؛ يعني: أنّ تديّن الغرب هوبخلاف تديّن الشعب الإيراني، فإنّ تديّنهم هو تديّن الشعب الواعي والمفكر.

ومن هنا اتضح قصده من دين العوام، فإنّ دين العوام لديه يعني الدين المصحوب بالعمل بالواجبات وترك المحرمات، والدين الواعي والمتنوّر يعني عنده، الإسلام الخالي من الأحكام.

إنّ جوابه في مسألة عدم حاجة المجتمعات الغربية إلى الدين يتّضح من خلال المطالب السابقة؛ لأنّ دليله الأساس هووضع معيار خاص للاستغناء عن الدين، وكذلك بداهة التعاليم الدينية في المجتمعات الغربية، وقد بيّنا كلا الدليلين سابقاً. وقد مضى أيضاً بيان نواقص العقل والعلم ومشكلات عدم التديّن في الغرب.

١ـ الدكتور سروش؛ ندوة خطابية مع الأسئلة والأجوبة بتاريخ ١٣٧٦/١٢/٢٥ هـ.ش في مدينة مونتريال بكندا.

٦

الغرب والأضرار الناتجة عن الاعتماد المفرط على العلم والعقل

لإكمال البحث حول نواقص العلم والعقل في مسيرة الهداية البشرية، نمرّ على بعض نتائج الاتجاه المتطرّف للعلم والاتجاه المادي للعقل في الغرب.

إنّ الاقتصار على هاتين الأداتين ترك آثاراً ونتائج مخربة في المجتمعات المعاصرة، ممّا دعا رجال العلم والتحقيق إلى أن يعيدوا النظر في الفكر المادي الحاكم في الغرب.

إنّ هذه المراجعة وصلت إلى طريق مسدود من الناحية النظرية، وإلى أزمة من الناحية العملية، إنّ عالمنا اليوم يواجه طريقاً مسدوداً أمام العلم والعقل المادي المحض، هذا من الناحية النظرية، وأما من الناحية العملية، فإننا نشاهد ونلمس المشاكل الاجتماعية الكثيرة الناتجة عن هذه الرؤية المادية[1] .

وفي الصفحات التالية سنذكر قسماً من هذه النتائج المضرّة[2].

١ـ سيشار إلى قسم من هذه المآزق النظرية ضمن فصل«وصول الاتجاه العقلي المتطرف إلى طريق مسدود».

٢ـ من الجدير بالذكر أن بعض المطالب والعناوين المذكورة في فصل «الغرب والأضرار الناتجة عن الاعتماد المفرط على العلم والعقل»، والملحق مأخوذة من كتاب مير أحمد رضا حاجتي، عصر إمام خميني.

٦ ـ ١ ـ اللاهدفية والقلق والإحساس بالوحدة

إنّ من الأضرار الفادحة الناتجة عن الاتجاه العلمي في الغرب: نموالشعور بالفراغ واللاهدفية وعبثية الحياة.

إننا نشهد في العصر الحاضر الترويج لفكر اللاهدفية والعبثية من قبل بعض مفكري الغرب من أمثال: جون فرانتس كافكا، البير كامو، صاموئيل بيكيت، آرثر آداموف، جان بول سارتر، وأوجين يونسكو، فهؤلاء المفكرون هم الذين يدعمون هذا الاتجاه ويطرحونه على شكل مسرحية ومقالة و...

إنّ عدة من هؤلاء تصدّوا لوضع أسس عقلية للّاهدفية في حياة الإنسان ومصيره، وتصدّى البعض من خلال الأساليب الفنية الخالية من أيّ منهج منطقي واستدلالي، لرسم لا معنى وعدمية حياة الإنسان.

إنّ أبطال مؤلّفات هؤلاء الكتّاب هم أفراد غير مسؤولين وغير مبالين بأمور الحياة وقيمها، لا يتقيدون بالعادات الاجتماعية، ولا يتمتعون بعلاقات حميمة مع الآخرين[١].

إنّ جان فوراستيه يعتبر أنّ الرؤية العبثية للحياة وليدة الاتجاه العقلي المتطرف قائلاً:

> على أساس أفكار سارتر أو كافكا والذين يمكن اعتبار مؤلفاتهم من الآثار السلبية للعلوم التجريبية وتحقير وتخريب القيم التقليدية، فالإنسان عندهم موجود بلا معنى ومرمي في هذا العالم بلا معنى و...

١ـ نصري، عبد الله؛ فلسفة خلقت إنسان: ١٦.

إنّ مثل هذه الأفكار العبثية والعدمية ملأت أكثر نماذج الأدب الغربي الجديد[1].

إنّ ما نشهده هو:

مع الإعلان عن لاهدفية وعدمية العالم، فإنّ الحياة على الأرض ـ للكثير من الغربيين ـ قد فقدت معناها ومفهومها من الناحية العملية.

إنّ الحضارة الراهنة في الغرب أعطت للإنسان المعاصر إمكانات مادية مختلفة لم تتمكن الأجيال الماضية أن تراها حتى في المنام، ولأنّه في هذا التمدن معنى الإنسان مفقود ومجهول، فمن هنا فإنّ آمال الإنسان بقيت مجهولة وغير معروفة، وإنّ جميع الإمكانات المادية لم تمنع الإنسان من السقوط في هاوية اليأس والمصير المجهول[2].

إنّ الغرب المعاصر مع وصوله إلى أوج التطور العلمي والتقني، يشهد ظاهرةً اجتماعيةً من أغرب وأعجب الظواهر الاجتماعية كما يطلق عليها تافلر قائلاً:

إنّ من أكثر الحالات حيرة في الظواهر الاجتماعية في العصر الحالي: الانتشار الذي لم يسبق له نظير للكتب والفرق الدينية التي يمكن أن ننظر إليها من خلال اجتماع ثلاثة عوامل: الشعور بالوحدة، وتفكك النظام الاجتماعي، واللاهدفية والفراغ والعدمية الناشئة عن زوال التمدن الصناعي[3].

١ـ «فوراستيه، جان»؛ بحران دانشكاه، ترجمه علي أكبر كسمائي: ١٠٥.

٢ـ «دوباسكيه، روجيه»؛ سركذشت إسلام، سرنوشت إنسان، ترجمه علي أكبر كسمائي: ١٩.

٣ـ «تافلر، الوين»؛ موج سوم، ترجمه شهيندخت خوارزمي: ٥١٧.

إذا كان العلم والعقل كافيين لتحقيق سعادة الإنسان، لم نكن لنشهد الأزمة المعنوية في العالم المعاصر ونموها المتزايد والشديد يومياً، وظهور علامات النزوع والتوجه للمعنويات شيئاً فشيئاً في الغرب.

إذا كان الرفاه المادي يجلب النعيم والسعادة، فإنّ الكلام على النقص في الغرب يكون بلا معنىً في الحقيقة إنّ الفراغ واللاهدفية والرفاه المادي والنقص المعنوي الذي نراه في الغرب ونزوع الناس في الغرب لتحقيق معنى لحياتهم[١] يصبح لا معنى له.

يقول الشهيد مطهري في هذا المجال:

> **إنّ الكثير قد عرف اليوم أنّ الاتجاه العقلي المحض والتربية العلمية المحضة غير قادرين على صنع الإنسان الكامل، إنّ التربية العلمية المحضة... تصنع إنسانا ذا بعد واحد، وليس إنساناً ذا أبعاد مختلفة، فاليوم الكل يعرف أنّ عصر العلم المحض قد انتهى، وهناك فراغ روحي ولاهدفية تهدد المجتمعات... وإن «ويل ديورانت» يعترف بأنّ: الفراغ الموجود في الغرب هوفراغ في الأهداف والمثل بالدرجة الأولى، فالفراغ هومن جهة المقاصد والغايات للأهداف والمثل، ذلك الفراغ الذي يؤدّي إلى اللاهدفية والعدمية[٢].**

بحسب ما قال أريك فروم:

١ـ «دوم، روي»؛ رئيس مركز دراسات العالم الثالث في بلجيكا، في حوار مع مجلة حضور الفصلية، العدد١٨، شتاء١٣٧٥ هـ.ش.

٢ـ مطهري، مرتضى؛ مقدمه‌أي بر جهان‌بيني اسلامي: ٢٤ـ٢٥.

إن تطور التقنيات لم يستطع أن يوصل الإنسان إلى الاستقرار النفسي الذي هوأهم مقومات السلامة من وجهة نظر منظمة الصحة العالمية، وأول خطوة على طريق الحياة السعيدة، بل على العكس من ذلك، فإنّ تلك التقنيات قد سلبت الإنسانَ الاستقرار الروحي.

إنّ مستلزمات السيطرة المطلقة للعلم والتكنولوجيا هي سيطرة الاضطراب واللاهدفية على حياة الإنسان، إن الإنسان المعاصر اليوم لا يشعر بالاستقرار والاطمئنان، بل إنّه ينحدر نحوالشعور بالخيبة والانكسار... ويشعر بعدم الفائدة من نشاطاته وأعماله[1].

وإنّ من المؤسف للغاية «إطلاق علماء النفس على هذا العصر اسم عصر الاضطراب، وبحسب الإحصائيات المتوافرة عن العالم الذي يقال عنه: عالم ما بعد الحداثة، فإنّ الكثير من أسرّة المستشفيات في الولايات المتحدة الأمريكية مخصصة لذوي الأمراض النفسيّة»[2].

إنّ أساس هذه المشكلة يمكن أن نراه في طيّات هذه المسألة الواقعية وهي: "إن عالمنا اليوم يعاني من فقر وحاجة لإعطاء تفسير ومعنى للعالم والوجود"[3]، وبحسب كلام (رودلف أوكن)، عندما لا يستطيع الإنسان أن يسمووبتكامل بمعونة قدرة متعالية، فإنّه سيشعر يوماً بعد يوم بأنه لم يبق لحياته أي قيمة ومعنى[4].

١ـ فروم، اريك؛ إنسان براي خويشتن، ترجمه أكبر تبريزي: ١٤.

٢ـ شرفي، محمد رضا؛ مجلة رشد، السنة الرابعة، خريف وشتاء، ١٣٧٤ هـ.ش.

٣ـ شرفي، محمد رضا؛ مجلة رشد، السنة الرابعة، خريف وشتاء، ١٣٧٤ هـ.ش.

٤ـ نصري، فلسفه خلقت إنسان: ٢٢.

٦ ـ ٢. الإرهاق النفسي والإحساس بالفراغ المعنوي والأخلاقي

إنّ العلم والتقنية وكل ما ينتج عنها من مكاسب ومنجزات مادية، لا تؤمّن للإنسان الحاجات الفطرية والمعنوية ومعرفة النفس والذات.

وهذا الأمر كان هوالسبب في توجّه الكثيرين للدين، حتى أن (جت استيونسن) المغني الإنجليزي المشهور، اعتنق الإسلام وترك عمله في الغناء، وإنّه يعتبر أنّ سبب اعتناقه للإسلام هوالفراغ الروحي الذي جعله في وضع لا يحسد عليه، ويقول في هذا المجال:

> **أنا ترعرعت ونشأت في عصر التلفزيون والصعود إلى الفضاء والتطور الصناعي السريع، وقد عشت في العالم الغربي المتطور، ومنذ سنين عديدة كان عندي كل ما يتمناه الإنسان، ولكنني كنت دائماً أشعر بالفراغ في حياتي[1].**

أشارت السيدة برجيت جميلة من أوربا ـ التي اعتنقت الإسلام حديثاً ـ إلى الوضع المأساوي الذي كانت تمرّ به من ناحية «الفراغ الروحي» قبل اعتناقها الإسلام قائلة:

> **أنا في جميع مراحل حياتي منذ ستة وعشرين عاماً، لم أكن امرأة متدينةً، وقد عشت حياتي كسائر الناس في أوربا متوفرة لي كل وسائل الراحة، ولكنّي كنت أشعر دائماً بأنّ هناك فراغاً في حياتي. ومع كلّ المساعي**

١ـ نشريه نداي جمعي زنان انقلاب اسلامي، العدد١٧ـ ١٨.

التي بذلتها لكي أتخلّص من هذا الفراغ، فإنّ وضعي الروحي كان يصبح أكثر سوءاً، وإن كنت أتظاهر بأنني إنسانة سعيدة[١].

إنّ الإنسان المعاصر مع حصوله على المعرفة التجريبية العقلية، فإنّه لا يرى ذلك كافياً للحصول على الهداية الأخلاقية والمعنوية، ولا تؤمّن تلك المعرفة حاجاته الفطرية.

ولذلك فإنّ الكثير من الجيل الجديد للمفكرين الغربيين يعترفون بأن:

نحن في حيرة وضياع بين الأمور التي لا ندركها وما لدينا من آراء ضعيفة، نبحث عن أطر نسلّح من خلالها أفكارنا وسلوكنا بسلاح الأخلاق والمعنويات[٢].

لقد ارتفعت صيحاتهم في الغرب بسبب الفقر والحاجة المعنوية والروحية الشديدة، فمع ما لديهم من وضع مادي واقتصادي جيد، إلّا إنّهم يعتبرون وقوع تحول وثورة معنوية لديهم أمراً ضرورياً[٣].

إنّ التيار الجديد في الغرب الذي أدرك ضرورة الرجوع للقيم المعنوية، سببه عجز العلم والعقل عن حلّ المشاكل المعنوية والأخلاقية.

إنّ أكثر سكان الدول الغربية اليوم يشعرون بالنتائج والآثار المخربة للإبتعاد عن الدين والأمور المعنوية وما ينتج عنها من عذاب وألم.

١ـ سوسن صفاوردي، رستا خيزي در تاريكي: ٦٩.

٢ـ بست من، نيل؛ تكنوبولي، ترجمه صادق الطباطبائي: ٢١١.

٣ـ مدرانو، أنطونيو؛ في لقاء مع راديو الجمهورية الإسلامية باللغة الإسبانية، راديو معارف ١٣٧٨/١١/٢٨ هـ.ش.

وأخيراً وصلوا إلى هذه النتيجة، وهي: إنّ الأخلاق والأمور المعنوية تفقد الأسس التي تعتمد عليها من دون الالتزام بالدين: "يجب أن يكون لدينا تصوّر وتفسير للعالم والإنسان، بحيث تكون الحياة فيه ذات معنى وهدف، وتكون فيه القيم والأخلاق المعنوية داعمة لها"[١].

إنّ العناء والتعب الذي سببه الاتجاه المادي والحركة التي شهدها الغرب باتجاه المعنويات كان مجالاً للبحوث العديدة عند الكثير ومنهم:بيل مايزر الصحفي والمحقق الأمريكي، فإنّه قال خلال عشرة برامج متتالية تبث من شبكة (pbs) التلفزيونية، مبيّناً نتائج تحقيقاته في هذا المجال: "لقد عانى الناس وتعبوا في جميع أرجاء العالم من المادية، وهم الآن يرجعون بسرعة باتجاه الأمور المعنوية، وإنّ هذا الرجوع قد بدأ منذ مدة قريبة"[٢].

وقد أكّدَ قائلاً:

مرة أخرى نرى أنّ الدين والالتزام الخالص بأصوله وأحكامه يرجع إلى الواجهة واهتمام الكثيرين[٣].

إنّ بعض المفكرين الغربيين مثل (جورج ويغل) يرى أنّ النزوع والتوجه الذي نراه في العالم باتجاه الأمور غير المادية هو من الأمور والوقائع المهمة في العصر الحاضر، ويقول: "الميل باتجاه الأمور غير المادية(التديّن) في العالم، من الأمور والوقائع البارزة في الحياة في أواخر القرن العشرين"[٤].

١ـ المصدر نفسه.

٢ـ جريدة همشهري ١٣٧٥/٧/٢٩ هـ.ش ؛ نقلاً عن وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية.

٣ـ جريدة همشهري ١٣٧٥/٧/٢٩ هـ.ش ؛ نقلاً عن وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية.

٤ـ برخورد تمدنها، هانتيغتون ومنتقدانش، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي: ٥١.

وبحسب قول الدكتور «برني سيغنل»، الكاتب الغربي:

الناس ـ في الغرب ـ هم كثير والظمأ للأمور المعنوية، ويطلبون حثيثاً الحصول على معنى للحياة[١].

وأشار المحقق الفرنسي «كريستين بونو» ـ الذي اعتنق الإسلام حديثاً ـ إلى التحوّلات الاجتماعية في الدول الغربية قائلاً:

إن المجتمعات الغربية تعبت من الكلام والتجاذب السياسي والاقتصادي وهي تشعر بالظمأ للأمور المعنوية[٢].

ويعتقد البروفسور (دانيل دريسر باك) أستاذ في جامعة أمريكان:

أنّ الشعب الأمريكي من بين الدول الصناعية الغنية، أكثر من بقية الشعوب في تلك الدول الغنية ذهاباً إلى الكنيسة... الناس ـ في الغرب ـ تعبوا من المادية، وسبب توجّه ميول هؤلاء إلى الأمور المعنوية يرجع إلى هذا النفور والتعب[٣].

وإنّ صحيفة واشنطن بوست تذكر أيضاً نموذجاً من مئات النماذج المعاشة التي تبين الحاجة فيها إلى المعنويات عند الإنسان المرهق من آلام الفراغ الروحي واللاهدفية جاء فيها:

يستمع في الوقت الراهن عشرون مليون شخص للإذاعات الدينية لحاجتهم إلى التغذية الروحية.

١ـ مقالة "در جست وجوي أمر قدسي"، مجلة مشرق، العدد الثاني والثالث.

٢ـ حوار مع جريدة جمهوري اسلامي، ١٣٧٥/٩/٥.

٣ـ مجلة صبح الشهرية، العدد ٧٠، خرداد١٣٧٦، ص٨١، نقلاً عن وكالة رويتر للأنباء.

وتكتب الجريدة في تحليل هذه الظاهرة:

إنّ أكثر الناس يلجؤون إلى الاستماع للإذاعات الدينية بسبب القلق والألم الروحي الناتج عن الحياة المرهقة المعاصرة في أمريكا، فهم يستمعون لتلك الإذاعات الدينية بحثاً عن الاطمئنان، ولكي يقتربوا من الأحكام الدينية التي لا يلتزم بها المجتمع[١].

إنّ عدداً كبيراً من المحللين في مجال الأمور الاجتماعية في الغرب، يرون أنّ سبب هذا الإقبال الذي لا نظير له على التعاليم المعنوية هوظمأ الإنسان المرهق من الفراغ المعنوي الذي يعيشه الناس في العالم الصناعي.

يشير الدكتور «هوان بولا»، رئيس كلية الأبحاث البوذية في «لوس أنجلوس» إلى التوجه الكبير للناس لتعاليم البوذية في المجتمع الأمريكي قائلاً:

إنّ الأمريكيين تعبوا من ضغوط الحياة والعالم الصناعي والتكنولوجي، وهم يحاولون إنقاذ ونجاة أرواحهم من خلال الالتجاء إلى هذه المراكز التعليمية للبوذية وبحسب قوله: إنّ هذا التوجّه دليل على ارتباط المجتمع الأمريكي بدين وطريقة معنوية جديدة[٢].

نشاهد اليوم شواهد مهمة على التوجّه المعنوي للمجتمعات الغربية، تساعدنا على تحليل أدق لهذا التيار.

يذكر البروفسور «وليام تشيتيك»، أستاذ قسم الأديان والعرفان في جامعة نيويورك، مشيراً إلى التيار الجديد والواسع لترجمة الأشعار والغزليات المعنوية للشاعر جلال الدين الرومي في الولايات المتحدة الأمريكية قائلاً:

١ـ جريدة جمهوري اسلامي، ١٣٧٦/٣/٨ هـ.ش.

٢ـ بولتون فرهنكي وزارت ارشاد اسلامي، العدد٥٧، سنة١٣٧٣ هـ.ش ، ص٩.

إنني في العام الماضي قرأت في مجلة مسألة عجيبة وهي: أنّ من بين المؤلفات في اللغة الإنجليزية في أمريكا، كانت مؤلَفات الشاعر جلال الدين الرومي المترجمة للإنجليزية هي من أكثر الكتب مبيعا" ويضيف مشيراً إلى جذر هذه الظاهرة: إنّ هذا التيار وليد عدة أسباب، احدها ظمأ الغرب إلى الأمور المعنوية، وهذا العنصر مهم جدا[١] .

وجاء في تقرير آخر مهم في هذا المجال:

«أخيراً لقد طرح في سوق الأغاني والموسيقى في أمريكا ألبوم لنجم الموسيقى الغربية الحديثة وممثل أفلام نيوموزيكال هوليود(أوتيا)، حيث حطم الرقم القياسي للبيعات في الأيام الأولى من عرضه في الأسواق.

ومضمون هذا الألبوم الذي أثار ضجة في الغرب لم يكن إلا ترجمة إنجليزية لبعض غزليات الديوان الكبير شمس للشاعر جلال الدين الرومي، إنّ الأشعار التي أدتها الفرقة الغنائية كانت قد ترجمت إلى اللغة الإنجليزية بشكل محترف، وكانت كلّها ذات مضامين مهمّة مثل دعوة البشر إلى الخروج من الظلمات الباطنية، وفتح نافذة إلى عالم النور والإشراق، ودعوة الروح للضيافة الإلهية.

وبحسب تقرير الإذاعة الرسمية في أمريكا: "حسب ادعاء المتخصصين في الثقافة في الجامعات الأمريكية، فإن ترجمة غزليات شمس وخصوصاً بشكل كتاب جيبي، كان لها إقبال استثنائي بين جيل الشباب في أمريكا"[٢] .

١ـ جريدة كيهان، ١٣٧٨/٦/١٨ هـ.ش.

٢ـ نشريه جبهة، ١٣٧٨/٢/٤ هـ.ش.

يقول العالم «جون كين» الانجليزي الأصل خلال حوار أجري له في إحدى الصحف التركية أثناء سفره إلى تركيا:

إنّ النظام الرسمي في الغرب وصل إلى حدّ الإفلاس، ولم يستطع الفكر العلماني أن يروي عطش الإنسان للأمور المعنوية" ويذكر في نقده اللاذع لأفكار نيتشه: عندما طرح نيتشه موت الله في الغرب، وصل الفكر العلماني إلى أعلى مستوى له من القدرة، ولكننا نرى اليوم أن الدين يطرح مجدداً في المجتمعات الغربية كنظام يستوعب الحياة وتظهر نتائج الدين العملية في الساحة الاجتماعية[1] .

على الرغم من كلّ الاستثمارات الطائلة التي ترصد ضد الإسلام سواء في الجانب الفكري أوالمادي، إلّا أنّ كلّ ذلك لا يستطيع أن يمرّ على هذا النموالمتسارع للتوجّه الديني في العالم وخصوصاً للإسلام في العصر الحاضر، معتبراً إنّه حدث بسيط وغير مؤثر.

إنّ هذا التيار والحركة باتجاه الدين يحتاج إلى تحليلات دقيقة، وكما هومطروح أيضاً عند الخبراء والمتخصصين في العالم، فقد شخّصوا أنّ سبب ذلك النزوع نحوالدين هوالعجز والنواقص الموجودة في الاتجاه العلمي التجريبي الافراطي، وتعب الناس في هذا العالم الحديث من الإفراط في الجانب العلمي والعقلي المحض، والابتعاد عن الأمور المعنوية.

١ـ نشريه ينه يوزيل، طبع تركيا، ١٨/٥/١٩٩٧م.

إنّ التكنولوجيا لها القدرة على توفير الإمكانات المادية، ولكنّها غير كافية للحياة السعيدة والاستقرار النفسي، وبحسب ما ذكر أحد الأطباء الإيرانيين المقيمين في ألمانيا أكثر من أربعين سنة:

> **إنّ الأشخاص الذين يتمتعون بوضع جيد من الناحية المادية في الغرب لم يستطيعوا أبداً أن يدركوا السعادة بمعناها الحقيقي، وإنّ كانوا يظهرون السعادة؛ فإنّ الإنسان لا يمكن أن تتحقق له السعادة بمجرّد أن يركب سيارة المرسدس، أوأن يسكن في بيت جميل، ولذلك فإنّنا نشعر بالفراغ المعنوي في أمريكا وأوربا. ونحن نشاهد في مدينة هامبورغ الألمانية التي تضمّ أكثر من أيّ مدينة في أوربا أثرياء من أصحاب الملايين، نشاهد فقدان الأمور المعنوية الذي أثّر سلباً في جميع جوانب الحياة عند الناس، بحيث وصل الناس في المجتمعات الغربية إلى حدّ الإشباع من ناحية الإمكانات الرفاهية، ولكنهم أصبحوا يعانون من الفراغ المعنوي والروحي، وهذه رسالة خطيرة ومهمة لمن يفكر بإنّه إذا ذهب إلى الدول الغربية فإنّه سيحقق السعادة[١] .**

ويذكر أحد الأطباء الإيرانيين المعروفين المقيمين في الغرب ما يؤيّد الكلام السابق:

> **إنّ من المؤكّد أنّ التقنية التي أمّنت الاحتياجات المادية هي طرف من أطراف المشكلة في العالم الغربي الذي يتقدم بسرعة عجيبة، ولكنّه من المؤسف أنّ ما لا يمتلكه الغرب هوتأمين الاحتياجات النفسية والروحية التي نمتلكها نحن في الشرق، فإذا كان هناك شخص عاقل واستطاع أن**

١ـ الدكتور عقيلي، سيد محمد؛ **كيهان هوائي**، ١٣/٨/ ١٣٧١ هـ. ش.

يحفظ الجانب الروحي والمعنوي لديه بما يشمل دينه وثقافته، ويدخل في معترك هذه التقنية الغربية الخالية من الثقافة أويستطيع أن يحصل على هذه التقنية، فبالتأكيد أن مثل هذا الشخص يكون قد انتصر في هذا المجال"[١].

إنّ بعض الكتّاب يعترف بأن: (فقدان الإيمان في أوربا جعل الناس عطشى للعرفان الشرقي)[٢].

٦ ـ ٣. تحوّل الإنسان إلى آلة

إنّ العالم الأرجنتيني المعاصر والمشهور «أرنستوسابوتو» صرّح بشأن تأثير السيادة المطلقة للعلم والتطور العلمي في العقود المتوالية من القرن التاسع عشر ، والعشرين الذي أدّى إلى سقوط قيمة الإنسان إلى مستوى العجلة في هذه الماكنة العظيمة للتطور العلمي، قائلاً:

إنّ أصحاب النظرية الرأسمالية والماركسية قد ساهموا بشكل متساوفي انتشار الآلام الناتجة عن هذه الرؤية المستهجنة، التي يذوب فيها الفرد في المجتمع والتي أخذت قيمةالروح تسقط فيها الى مستوى قابلية قياسها إشعاعياً بأجهزة القياس المادية[٣].

١ـ البروفسور خدا دوست؛ طبيب إيراني معروف ضمن جماعة من الأطباء الإيرانيين المقيمين خارج إيران، صحيفه رسالت ١٣٧٠/٢/٢٩ هـ.ش.

٢ـ صحيفة خبر روز، ملحق، الخميس٨/آبان/١٣٨٢ هـ.ش ـ٤ رمضان؛ نقلاً عن فريدة مهدوي دامغاني مترجمة كمدي الهي.

٣ـ نشريه بيام يونسكو، العدد٢٤٣.

إنّ «حليم هربرت» العالم الفرنسي والمحقق في شؤون دول العالم الثالث يعترض على تحقير المقام السامي للإنسان في حركة الحضارة والثقافة الغربية مظهراً أنّ:

العلوم الاجتماعية والإنسانية في الغرب لا تساهم إلا في تعاريف مقللة من شأن الإنسان بشكل مريع، فتارة تنزل بقيمة الإنسان إلى مستوى الآلة، وتارة أخرى إلى مستوى الاقتصاد، وتارة إلى مستوى الجنس، وتارة إلى مستوى اللغة والكلام فقط، وتارة إلى مستوى التخيل[1].

ومن المؤكّد أن ردّ فعل الإنسان الطالب للحقيقة تجاه هذه الآراء الخاطئة والمهينة لقيمة ومكانة الإنسان، كان هوالرجوع إلى التعاليم الدينية لفهم حقائق الوجود.

وكنموذج على ذلك، فإنّ الدكتور «أريج لاروت» ـ أستاذ جامعة «غيريغوري» ومدير مركز التنسيق للإتحاد الدولي للجامعات الكاثوليكية ـ ينتقد الثقافة المعاصرة قائلاً: "إنّ الثقافة المعاصرة تريد أن تنزل بمستوى الإنسان إلى حد العامل الاقتصادي، وتطرح الإنسان بعنوان منتج أومستهلك اقتصادي، وفي هذا المجال، فإنّه في عصر ما بعد الحداثة تطغى الروح الإنسانية وتثور على هذا التقليل من شأن الإنسانية، لتكسر هذا الجدار وتتحرر

١ـ هربرت، حليم؛ عالم فرنسي ومحقق في شؤون العالم الثالث، كلمة ألقاها في مسجد الرحمن في مدينة ليون الفرنسية،١٩٨٣، نامه فرهنك، صيف ١٣٧٥ هـ.ش ، ص٦٢.

من عبودية المادية، كما رأينا في عام ١٩٨٩ ميلادي كيف تفككت المادية الماركسية"[١].

٦ ـ ٤.ازدياد الجريمة

إنّ العلوم التجريبية لديها أعلى مستوى من القدرة لتأمين الرفاه المادي، ولكن هذا الأمر ليس كافياً لإيجاد مجتمع سالم وفعالوعلى أساس الدراسات التي أجريت في عشرين دولة صناعية في العالم، اتّضح أنّ انتشار الجريمة لم يكن نتيجة لفقر وتخلّف الناس في تلك الدول، بل كان نتيجة للرفاه في المجتمعات الصناعية والنظم الديمقراطية الغربية[٢].

وعلى أساس رأي «جيل كبل»، عالم الاجتماع الفرنسي المعروف:

> **إنّ الأشخاص غير المتدينين والمثقفين يعتقدون أنّ الثقافة اللا دينية وصلت إلى طريق مسدود، ويمكن مشاهدة نتائج ذلك في ازدياد الجرائم والطلاق والأيدز والمواد المخدرة و... وهم ينفون التضاد بين العلم والإيمان[٣].**

١ـ كلمة ألقيت في مركز البحوث في وزارة الخارجية الإيرانية، مجلة كلمة دانشجو، العدد١٥، ١٣٧٣/٣/١٧ هـ.ش.

٢ـ صحيفة اطلاعات، ملحق، ١٣٧١/١١/٢٥ هـ.ش؛ وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية نقلاً عن مجلة فوكس الأسبوعية الألمانية.

٣ـ مجلة سروش الشهرية، العدد٥٥١، فروردين ١٣٧٠ هـ.ش.

٦ ـ ٥.العجز عن حل المشكلات المستعصية للإنسان المعاصر

إنّ أكثر العلماء في ميدان العلم والتجربة اليوم عرفوا التبعات المؤلمة والقاسية للانبهار بالعلم في الغرب، وبدأوا بالكلام على عجز وخيبة العلوم التجريبية والعقل الأكاديمي عن حلّ جميع مشاكل الحياة في المجتمعات الإنسانية.

إنّ «ويليام تشيتيك» يذكر في المؤتمر الدولي للثقافة والحضارة الإسلامية، أنّ أحد الأخطار المهلكة للعالم المعاصر هوتبرير عجز العلم الجديد وما يلازمه من التقنية حلّ مشكلات الإنسان المعاصر[١].

إنّ «فريتيوف كابرا» ـ الأستاذ في الفيزياء النووية في جامعات أوربا وأمريكا ـ مؤلّف كتاب«تاثوي فيزيك» الأكثر مبيعاً والمترجم الى عشر لغات والذي كتب كتاباً آخر بعنوان(نقطه بازكشت) نُشر أوّل مرة في عام ١٩٨٢، وقد اعتبر هذا الكتاب من قبل المتخصصين واحداً من أشهر الكتب في عقد الثمانينيات. يبيّن في كتابه هذا التغير والتبدل في الاعتقاد المشهور بقدرة العلوم التجريبية على حلّ جميع مشاكل المجتمعات في العالم، قائلاً:

في الولايات المتحدة الأمريكية كانت العادة لديهم في البيت الأبيض أن يستفيدوا من أساتذة مشهورين في الجامعات بوصفهم مستشارين علميين لرئاسة الجمهورية، ولكننا من خلال الوقائع الحية يمكن أن نستنتج إنّه في الظروف الحالية، لا تستطيع هذه العقول الجامعية بعد الآن أن تكون

١ـ مجلة صبح، العدد٦٨، ص٢٤.

مفيدة ومؤثرة في حلّ المشاكل والمعضلات المعقدة. لأنّ القاعدة الفكرية لهؤلاء الأكاديميين تنتمي إلى رؤية علمية واحدة[١] .

ويقول في مقام بيان سبب هذا الأمر:

لقد صوّرت صحيفة واشنطن بوست منذ فترة قريبة عجز عقول الأكاديميين والمستشارين العلميين للبيت الأبيض، وذلك ضمن تقرير مفصل لها.

إنّ أحد العلماء الذين قابلتهم الصحيفة هوالبروفسور «هنري لوك» ـ أستاذ جامعة نيويورك سابقاً ـ بقي عاجزاً عن جواب أسئلة الصحفي حول دور العلماء التجريبيين في حلّ المشاكل والمعضلات، وقال أخيراً:

أنا أستقيل من منصبي؛ لأنني ليس لديّ ما أقوله، وإذا أردت رأيي الحقيقي، فإنّه لا يوجد لدى أيّ شخص ما يقوله أيضاً.

ويقول كابرا أيضاً:

إنّ الأكاديميين قد قيدوا أنفسهم بأخذ تصوّر ناقص عن الحقيقة، بسبب اعتقادهم بالرؤية العلمية المعروفة، فهذا التصور الناقص لا يمكن أبداً أن يتعامل مع مسائل ومشاكل العصر الراهن[٢] .

إنّ المفكرين الغربيين خلال العقود الأخيرة، اعتبروا أنّ وصف العلم التجريبي بأنّه الطريق الوحيد لكشف المجاهيل عند الإنسان نفورد، كلام خاطئ ومخالف للواقع، وعلى سبيل المثال، فإنّه طبقاً لما صرّح به

١ـ نامه فرهنك، العدد ١٣، ص٦٥ـ٦٦.

٢ـ نامه فرهنك، العدد ١٣، ص٦٥ـ٦٦.

ريتشارد.أتش. بوب ـ أستاذ علم معدّات البناء والمهندس الكهربائي في ستانفورد ـ:

إن أكبر كذبة وخدعة مضللة وشريرة قبلها العالم بأسره وصدّقها إلى الآن هي اعتبار الطريق والمنهج العلمي هوالطريق الوحيد والآمن الموصل إلى الحقيقة[1].

يقول في هذا المجال «هربرت أرمسترونغ» أحد المفكرين والمنظرين في أمريكا:

إنّ العلوم الجديدة غير قادرة مطلقاً على الإرشاد إلى طريق الإنسانية والمغزى والهدف من حياة الإنسان، ولا تستطيع أن تعطي معنىً ومفهوماً صحيحاً وذا قيمة للحياة، وإنّ العلم الحديث لا يعرف القيم الجديدة للحياة، إنّ العلم الحديث لا يشخّص بشكل صحيح طريق السلم والسلامة والرفاهية والاستقرار للإنسان، إنّ العلم الحديث لم يستطع أن يعتق الإنسان من البؤس والجوع والمرض والقلق والكراهية والشقاء... إنّ العلم الحديث لم يستطع أن يحول دون تفكك الأسرة وانتشار الجريمة والفساد وسوء الخلق، أوأن يقلل من الطريقة والتعامل اللاإنساني وحالة الجنون والضياع لدى الإنسان[2].

وبحسب قول «إمريش كورت»:

في الوقت الراهن، قد زال هذا التصور الساذج وهوأنّ تطور العالم والتقنية يؤدّي إلى سعادة البشر، ولذلك فإنّه لا مفرّ من إدراك حقيقة أنّ

١ـ مهري، حسين؛ صداى پاى دگرگونى: ٧١.

٢ـ كسمائي، علي أكبر؛ جهان امروز وفردا: ٢١١.

التطور العلمي وحده لا يستطيع أن يكون حلاً لمشاكل ومتطلبات الإنسان[1].

ومن الشواهد الدالة على عجز الاتجاه العقلي والعلمي الإفراطي عن هداية البشرية، النموالمتزايد للاتجاه الديني، وبالخصوص النزوع والتوجه إلى الإسلام في الغرب وبداية سقوط المادية المحضة.

إنّ عامة الناس اليوم، وعلماء الغرب أيضاً لديهم تشكيك واقعي بالنسبة للماضي الذي طوته الحضارة الغربية في عصر الاتجاه العلمي والإلحادي الطويل، وقد بدأوا حركة جديدة باتجاه الدين[2].

١ـ كورت، إمريش؛ نامه فرهنك، السنة الثالثة، العدد الأول، ربيع، ١٣٧٢ هـ.ش :١٠٤ـ١٠٥.

٢ـ للاطلاع أكثر في هذا المجال راجع: ملحق الكتاب المستند إلى اعترافات من مصادر غربية.

ملحق:الاتجاه المتزايد لعلماء الغرب نحوالتدين

نـذكر هنـا بعـض النمـاذج مـن الاتجـاه المتزايـد نحوالإسـلام لعامـة النـاس ومفكري الغرب وعلمائهم.

١ ـ ١.عامة الناس في الغرب

إنّ التقنية والعلوم التجريبية والمادية لا تؤمّن الحاجة المعنوية للإنسان، لذا فإنّ العالم الغربي يشهد تحولات اجتماعية عظيمة ناشئة من الظمأ والحاجة المعنوية وحركة الاتجاه المعنوي والروحي.

تذكر صحيفة ديلي تلغـراف: أنّ المحللين الاجتماعيين يقولون: إن أحد أسباب توجّه أكثر الناس إلى الدين هوإنّه لم يعد ينظر إلى الدين والعلم على أساس إنّهما متعارضان[١].

وبحسب اعتقاد الدكتور «بنتي كاينن» وهومن محققي وأساتذة جامعة فنلندا:

> **في عالمنا اليوم، هنالك اتجاه موجود لقبول الدين، وهذا الاتجاه يتزايد يوماً بعد يوم[٢].**

لقد صرح «بيتر شولاتور» الكاتب والمحلل السياسي المشهور في ألمانيا ضمن كلمة ألقاها في مؤتمر الإسلام والتنوع الثقافي في العالم قائلاً:

> **لقد بدأت في العصرالراهن نهضة للعودة إلىالدين والمدينة الفاضلة[٣].**

١ـ صحيفة رسالت، ١٣٧٦/٣/٦ هـ.ش؛ نقلاً عن وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية.

٢ـ حوار مع كيهان هوائي، كيهان فرهنكي، آذر ١٣٧٢ هـ.ش.

٣ـ صحيفة كيهان، ١٣٧٤/٩/١٢ هـ.ش.

وقال «جورج ميتالنيوس» أستاذ السياسة في الكنيسة وكلية الإلهيات في أثينا (اليونان):

لقد اكتسبت حركة العودة إلى الدين في هذا العصر رونقاً وتألقاً[١].

ويقول العالم والبروفسور الإسباني «خوزيه ماريا»:

نرى الآن أنّ التوجّه نحوالدين أصبح ظاهرة واضحة وجلية[٢].

وقد نقل مراسل صحيفة نيويورك تايمز غوستاف يمبور، تقريراً عن التجمع الواسع الذي أكّد فيه المتحدثون الأمريكان وجوبَ العودة إلى الدين. ثم قال المراسل:

إنّه ليس فقط في أمريكا نشاهد هذا التوجه من قبل الناس نحوالدين، بل إنّ هذه الظاهرة ملأت جميع أرجاء العالم[٣].

لقد أدرك المحللون الغربيون اليوم قدرة الدين الفائقة للتصوّر على التأثير في المجتمع ويعتقدون:

إنّه في الظروف الراهنة، لا توجد أي قدرة اجتماعية أقوى من الدين في العالم[٤].

وقد أكّدوا أن:

١ـ مجلة كيهان فرهنكي، بهمن ١٣٧١ هـ.ش.

٢ـ مجلة شعر، شهريور ومهر ١٣٧٢ هـ.ش.

٣ـ مجلة صبح الشهرية، العدد٦٧، إسفند ١٣٧٥ هـ.ش.

٤ـ فولر، غراهام؛ المنظّر المشهور في منظمة سي آي أي في شؤون السياسة الخارجية الأمريكية، مجلة فارين باليسي، طبع أمريكا؛ صحيفة جمهوري إسلامي، ٢٤/٣/١٣٧٤ هـ.ش.

شعوب العالم اليوم تتجه إلى الله والدين والأمور المعنوية بشكل متزايد يوماً بعد يوم سواءً كانوا في الشرق أوفي الغرب[١].

إنّ أصحاب الاتجاه العلمي الإفراطي في الماضي كانوا يقرّبون هذه الفكرة لأذهان الجميع، وهي أن التيار الذي لا منازع له والسائد في العالم هوالعلمانية، ولكنّ الإنسان المعاصر اليوم بسبب الممانعة التي واجهته سلك طريقاً آخر، وبحسب قول المحللين:

إنّ تيار عودة الشعوب إلى التديّن قد إنهمر كالسيل الجارف، ولقد انتهت تلك الرؤية التي تقول: إنّ العلمانية ستشمل كلّ أرجاء العالم[٢].

لقد وقع الجميع في هذا التصوّر الخاطئ، وهوأنّ الاتجاه المادي والدنيوي سوف يعمل على إزاحة الدين عن حياة الناس، ولن تستطيع أية قدرة منعه من مواجهتهم[٣].

من الواضح اليوم إنّه يمكن مشاهدة التيار المتزايد للتجمعات الشعبية الواسعة والعظيمة في الدول الغربية، التي تصرّ على تحقيق مطالبها الدينية من قبل دولها وتعلن عن وفائها لعقائدها الدينية:

١ـ محلل في مجلة نوفل ابزرفاتور الإسبوعية الفرنسية؛ صحيفة أبرار، ٦/٦/١٣٧٥ هـ.ش.

٢ـ محلل جريدة واشنطن تايمز الأمريكية؛ صحيفة إيران، ١٣٧٦/٥/١٥ هـ.ش.

٣ـ بارت، ديفيد؛ مسؤول دائرة المعارف المسيحية العالمية، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٧١/٥/٢٤ هـ.ش.

في مرداد ١٣٧٦ عقد اجتماع كبير بحضور البابا جان بول الثاني بمناسبة اليوم العالمي للشباب الكاثوليك، حيث أدّى الصلاة أكثر من مليون شخص، وقد حضر في هذه المراسم شباب من ١٤٠ دولة في العالم[١].

وأعلنت الملايين المشاركة في اجتماع النساء السود الأمريكيات في فيلادلفيا:

> لقد حان اليوم تقوية الروابط المعنوية والروحية في العائلة ومجتمع الأمريكان السود[٢].

إنّ مئات الآلاف من الناس في الولايات المتحدة الأمريكية عقدوا اجتماعاً مليونياً مقدّساً بدعوة من منظمة الميثاق، وجلسوا للدعاء، ودعوا إلى عودة الأمور المعنوية الى مجتمعهم[٣].

وفي مراسم أخرى عقدت في مدينة لوس أنجلوس، اجتمع ٤٣ ألف شاب من الشباب الأمريكان تحت عنوان أتباع المسيح، وقد ذكروا لأهداف هذا الاجتماع أموراً منها التعريف بالقيم المعنوية وتجديد النظر في الإيمان الشخصي[٤].

١ـ جرائد.

٢ـ صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٧٦/٨/٥ هـ.ش.

٣ـ صحيفة كيهان، ١٣٧٦/٧/١٣ هـ.ش ؛ مجلة صبح الشهرية، ١٣٧٦ هـ.ش.

٤ـ نشرية إطلاع رساني مبلغان (ملحق بصائر)، آذر ١٣٧٦ هـ.ش.

وعقد اجتماع ضمّ ١٥ ألف امرأة أمريكية في قاعة الاجتماعات في مدينة أوهايو، وضمن دعوتهن للشعب الأمريكي لعبادة الخالق الواحد، تمّ الإعلان عن أن طريق الحل الوحيد للمأزق الفعلي لمجتمعهم هوالتوجّه إلى القيم المعنوية والدينية.

وطبقاً لتقرير غوستاف ينبور مراسل صحيفة نيويورك تايمز، في هذا الاجتماع الكبير، والذي قلّ نظيره قامت السيدة رابين راث، إحدى المنظمات للاجتماع، بالحديث عن الاجتماع المليوني الأخير في واشنطن الذي عقد بدعوة من لويس فراخان قائد المسلمين الأمريكان، وذكرت مثالاً في هذا المجال قائلة: قلّت بعد هذا الاجتماع إحصائية الجرائم في أمريكا ورجع الناس إلى التناصف فيما بينهم والتعامل بالشكل اللائق[1].

ومن الجدير بالذكر، أنّ الاجتماعات المتزايدة في الغرب وخصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية، وإصرارهم على المطالب غير المادية، تصور زاوية واحدة من زوايا التغييرات العميقة ذات الذوق المعنوي للناس في الغرب.

إنّ المعرفة الكاملة بحركة التوجّه نحوالأمور المعنوية تحتاج إلى تحقيقات وبحوث واسعة، ومن خلال نظرة عامة لأخبار التغييرات الجارية في الغرب، يمكن معرفة عمق وسعة هذه التغييرات التي يمكن ذكر البعض من نماذجها هنا على أساس الأخبار المتوفرة لدينا:

١ـ مجلة صبح الشهرية، العدد ٧٦، إسفند ١٣٧٥ هـ.ش، ص ٨٠.

«إنّ خبراء مراكز البحوث في الغرب يؤكّدون في توصياتهم لمهندسي التسويق في المؤسسات الاقتصادية و... على الالتفات والاهتمام بالتزايد العالمي للتوجه الديني ضمن برامجهم وخططهم، وأن يأخذوا ذلك بنظر الاعتبار»[١].

وقد كان التوجّه الديني للمواطنين في الغرب وبالخصوص أمريكا سبباً في:

«أن تبث محطات الراديوفي أمريكا برامجَ دينية لتجذب إليها ملايين المسلمين»[٢].

«وطبقاً لتقرير شبكة رويتر للأخبار، فإنّ ربع المستخدمين للإنترنت من الكبار والبالغين ـ ما يقارب ٢٨ مليون شخص ـ يتابعون المعلومات والأخبار الدينية والمعنوية لهذه الشبكة، ويبلغ عدد المستخدمين يومياً ما يقارب الثلاثة ملايين شخصاً»[٣].

وفي الوقت الراهن، فإنّ الكتب الدينية تصدّرت قائمة أكثر الكتب مبيعاً في الغرب:

«وطبقاً لتقرير مركز غالوب للبحوث في أمريكا، يوجد ما يقارب ألفي عنوان للكتب في السوق تتناول مواضيعَ حول العبادة، وإن هذه العناوين قد طبعت بما يعادل ثلاثة أضعاف العناوين الأخرى»[٤].

١ـ صحيفة رسالت، ١٣٧٦/٣/٦؛ نقلاً عن نشرية ديلي تلغراف الانجليزية.

٢ـ صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٧٦/٣/٨ هـ.ش.

٣ـ صحيفة كيهان، ١٣٨٠/١٠/٩ هـ.ش.

٤ـ مجلة سروش الشهرية، العدد ٦٣٥.

وبسبب إقبال عامة الناس في المجتمعات الغربية على المواضيع الدينية:

«أصبح اليوم وضع عناوين للكتب تحمل اسم الله أمراً مربحاً حتى لعلماء الفيزياء وعلماء الكون والمنجّمين، وإن كان مضمون الكتاب لا يتكلّم عن الخالق الذي نعرفه في الأديان، لذلك فإن عناوين مثل:

«The Mind Of God»، و«God and the New Physics» وغير ذلك، أصبحت عناوين رائجة ومنتشرة، وسبب ذلك هوالإقبال المتزايد لعامة الناس على مثل هذه الكتب؛ لأنّ أكثر الناس يريدون حلّ التعارض بين العلم ودينهم، فإنّهم قد لقّنوهم سابقا أن يختاروا بين الدين والعلم، ولكنّ الناس يريدونهما معاً، ولذلك فإنّ العلماء يحاولون إساءة الاستفادة من هذا التوجّه لدى الناس[1].

إنّ هذه التيارات الدينية في المجتمعات المعاصرة التي هي في حال التشكل والظهور اليوم، تمثّل بداية مشجعة تحمل معها الأمل في حصول نوع من الوعي والمعرفة عند تلك الشعوب. وإنّ الاجتماع الكبير للمسلمين السود في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٥ في واشنطن، وتصاعد نداء الله أكبر المدوّي أمام البيت الأبيض - مقرّ الرئاسة الأمريكية - كل ذلك يحمل معه دلالة مباركة لنهضة معنوية وأخلاقية في مؤسسة المجتمع العصري الحديث[2].

١- كلشني، مهدي؛ أز علم سكولار تا علم ديني: ٨٥.

٢- كاظمي، سيد علي أصغر؛ بحران جامعه مدرن: ١٦٨.

نتابع ذكر نماذج أكثر لحركة التديّن بين الشعوب الغربية، وذلك من خلال تقارير روبرت ماكوانت وباربرا كانتروفيتس:

١ ـ «روبرت ماكوانت» الكاتب الأمريكي وصف هذا القرن ضمن تقرير نشرية أمريكية«كريستين ساينس مونيتور» بإنّه قرن التطلع المعنوي، ووصف فيه دخول التدين لثقافة الشعب في هذا البلد وخصوصاً في العقد الأخير، وهومن خلال وصفه للحوادث والوقائع الدينية المختلفة، التي منها التظاهرات المليونية(الأوفياء للعهد) ـ التي يتظاهر فيها رجال مسيحيون أظهروا تمسّكهم بالتزاماتهم الدينية ـ يكتب:

لقد تجلّى الدين بأشكال مختلفة في المجتمع الأمريكي، وهوإلى الآن في حال تشكيل ثقافة الشعب الأمريكي.

وبحسب ما كتب روبرت ماكوانت، كاتب هذا التقرير، فإنّه إلى أواخر هذا العام ١٣٧٦ (هجري شمسي) نلمس جيداً البعد الديني في القصص المشهورة الذي يمثّل الخصوصيات الثقافية العميقة، أوله تأثير في توجيه الأحداث، سواء في الداخل أوفي الخارج.

وعلى أساس هذا التقرير، فإنّ المسائل والعبادات الدينية التي طوتها صفحات النسيان منذ سنوات طويلة أوإنّها كانت مدفونة في بعض الجرائد الفرعية، نراها اليوم تتصدر الصفحات الأولى للصحف، وإنّ القنوات التلفزيونية تملأ أوقاتها المهمة بالأحداث والوقائع الدينية "حصلوا بها على شعبية كبيرة".

وإن الكتب التي تعنى بالأمور المعنوية والروحية كانت من مجموعة الكتب الأكثر مبيعاً.

يقول ديفيد حايم رئيس تحرير جريدة كريستين سينجري في شيكاغو:

إنّ الناس اليوم يحبون أن يروا أنفسهم ضمن الذين يطلبون ويقبلون على الأمور المعنوية والروحية، وإنّ نتيجة ذلك ترجع إلى العقائد الدينية.

إنّ الأفلام التلفزيونية التي تشمل رسائل معنوية وروحية وتصور ملائكة الحضرة الإلهية، كان لها روّاد وأتباع غير محدودين هذا العام، وكل هذه الأفلام أنتجتها هوليوود التي كانت لا تهتم بالمسائل الدينية، بل إنّها كانت على عداء للدين.

ويكتب «ماكواند» نقلاً عن «وارن ليتل فيلد»، رئيس البرامج الترفيهية في محطة أم بي سي التلفزيونية:

وبنظر المراقبين للتلفزيون فإنّ الاستمارات التلفزيونية ذات البعد الديني لها مشاهدون كثيرون في جميع أرجاء أمريكا.

ويضيف ماكوانت:

واستنادا لمؤسسة الكتب الأكثر مبيعاً في أمريكا، فإنّ الكتب التي تناولت أساساً المواضيع الدينية المعنوية، هي وحدها من بين الكتب غير الخيالية التي حافظت على مستوى بيعها في العام الماضي[1].

٢ ـ هيّأ باربرا كانتروفيتس الكاتب الغربي تقريراً مفصلاً مظهراً فيه حركة الاتجاه المعنوي المتزايد يومياً والتوجه للرسالة الدينية في المجتمع الامريكي، وهويكتب ضمن تقريره:

١ـ مجلة صبح الشهرية، العدد٧٨، بهمن١٣٧٦ هـ.ش ، ص٧٨.

إن استديوهات إنتاج الأفلام في هوليوود قد طعّمت أفلامها بالذائقة العرفانية والحياة ما بعد الموت، وإنّ الكتاب الجديد للبابا جان بول الثاني وعنوإنّه (العبور من بوابة الأمل)كان في رأس قائمة الكتب الأكثر مبيعاً.

وإنّ قصة جيمس فيلد(النبوة السماوية) بسبب الاستفادة من البعد العرفاني والمعنوي، تصدرت لائحة أهم الكتب القصصية، وكذلك الأمر بالنسبة لعالم الموسيقا، فإنّ ألبوم الأناشيد الدينية التي أنشدها رهبان البندكت في كنيسة (سانتودومينغودوسيلوس)، قد بلغ بيع نسخه إلى الآن ٢/٨ مليون نسخة،وأما كتاب (داكوتا) ـ المختص بالجغرافيا المعنوية ـ وهومن تأليف كاتلين نوريس، والذي نشر في عام ١٩٩٣، فلا زال يحتفظ بمكانته في لائحة الكتب الأكثر مبيعاً، ويقول المؤلف: إلى الآن استلمت ثلاثة آلاف رسالة من القرّاء يريدون منّي أن أضع تجاربي المعنوية والروحية تحت تصرّفهم.

ويضيف:

إنّ السياسيين الأمريكان يصرّون على إجراء المراسم العبادية في مدارس أمريكا بشكل إجباري، وقد ازدادت أعداد الحاضرين في الخطب والمراسم الدينية أضعافاً مضاعفة، حتى أصبح على من يريد الحضور في بعض هذه الخطب أن يسجل اسمه في قائمة الانتظار وقد ينتظر عدة أشهر للحصول على فرصته بالحضور.

ويضيف كانترويتس:

نرى في الجامعات التي تضع دورات وخطب حول البحوث العرفانية والمعنوية حضوراً كبيراً تمتلئ معه الصفوف بالطلاب، وإنّ مؤسسة إنترفيس في كامبردج ماساشوست، تطرح سبعمائة دورة وصفتّ في هذا المجال، وفي هذه السنة كان لديها عشرون ألف طالب سجلوا أسماءهم

للاشتراك في هذه الصفوف، مع أنّ هذا العدد لم يتجاوز ثلاثة عشر ألف شخص في العام الماضي.

وفي خريف هذا العام حضر ما يقارب ألفي شخص للاستماع لخطب وكلمات الدكتور«دين أورنيش» الذي تعتبر محاضراته معقدة عادة، وقد استمع الحضور في هذه المرة لمحاضرته التي كان موضوعها الحصول على الاطمئنان والاستقرار الداخلي الذي يمكن أن يقي الإنسان من السكتة القلبية[١].

وإنّ التوجّه للتعليم الديني والعبادة في المدارس والمراكز الرياضية أخذ يزداد أيضاً.

وبحسب تقرير الصحيفة الأمريكية «يوأس توداي»:

إنّ ٢٩ بالمائة من الأمريكان الآن يعتقدون بأنّهم يتمتعون بحرية قليلة جداً بالنسبة للتعليم الديني، في حين أنّ هذا الرقم نسبة للاستطلاع الذي أجري في العام الماضي حول هذا الموضوع قد ازداد بنسبة ثلاثة بالمائة وبالنسبة لعام ١٩٩٧ ازداد بنسبة ثمانية بالمائة. وإنّ ٤٨ بالمائة من الشعب الأمريكي يعتقدون إنّه على المسئولين أن يسمحوا للتلاميذ بأداء مراسم العبادة في المدارس، و٦٤ بالمائة من المواطنين الأمريكيين مخالفون لمنع إجراء مراسم العبادة في المراكز الرياضية... وإنّ عدداً كبيراً من الشعب الأمريكي يشتكون من قرار المحكمة العليا في أمريكا بمنع التلاميذ من أداء مراسم الدعاء في المراكز الرياضية ويستنكرون ذلك بشدة[٢].

١ـ در جستجوي أمر قدسي، ترجمة أمير قاسمي، مجلة مشرق، العدد ٢و٣.

٢ـ صحيفة كيهان، ١٣٧٩/٤/١١ هـ.ش.

إنّ أحد الباحثين الإيرانيين يكتب أيضاً حول هذه النهضة غير المادية والمعنوية في العالم المعاصر قائلاً:

إنّ القنوات التلفزيونية في الأسبوع الماضي عرضت أغنية لأول مرة في عالم الاتصالات المعاصر، تعتبر دلالة واضحة على وجود الحاجات المعنوية وطلب المجتمع المعنوي والروحي بعد الثورة الإسلامية في إيران، هذه الأغنية المعنوية تحمل عنوان (الرمزي والرمزية) Puedes Liegar وقد أدّى هذه الأغنية أفضل وأشهر المغنيين المعاصرين في أسبانيا ومن ضمّنهم بعض فرق الأنشاد الدينية وجوقة المرتلين، وقد لبس الجميع ملابسهم الدينية وكانوا يعيشون في أجواء عبادية.

وبحسب قوله:

إنّ إنتاج وعرض دمى الأطفال التي تقرأ بعض الآيات من الكتاب المقدس (الإنجيل)، يعتبر تكراراً لظاهرة جديدة في الاتجاه المعنوي.

إنّ حجم المبيعات التجارية ازداد في المجتمع الأمريكي فقط، من مائة مليون دولار قبل الثورة الإسلامية في إيران، الى ثلاثة مليارات دولار في العصر الحالي.

وقد ازدهر بشكل كبير وجود وتشكيل اختصاصات في البرمجات الجديدة في التجارة والشؤون الدولية تحت عنوان التسويق الديني والمعنوي في بعض المراكز الدينية التعليمية والمنظمات التابعة للكنائس، وهدفهم من ذلك إيجاد التواصل والارتباط المعنوي الأوسع للمخاطب.

ويذكر أخيراً:

إنّ السيدة ماري انجليكا، وهي إحدى الراهبات الفقيرات والمعدمات ولا تملك شيئاً سوى ملابس الرهبان، استطاعت هذه الراهبة بتشجيع المؤمنين

الكاثوليك المشاركة في تأسيس نظام تلفزيوني سلكي يهتم بشكل كامل بالأمور الدينية والمعنوية فقط، فأوجدت قناة تلفزيونية مهمة ومؤثرة تخاطب بها ٤٥ مليون شخص وتجيب فيها عن الأسئلة والحاجات الروحية والمعنوية الجديدة[١].

إنّ الإنسان المعاصر ليس إنّه لم يصل إلى مرحلة الاستغناء عن الدين فقط، بل إنّه يشعر بالغبن والخطأ لترك الدين في عصر الحداثة، وهويسعى الآن لاهثاً وراء الدين.

إنّ ظهور ونفوذ تيار التديّن في على الرغم من ظروف التجهيل والغفلة، يثير تعجب كل محقق وباحث، ويبعث رسالة للناس جميعاً بعجز الاتجاه العلمي.

وعلى أساس نتيجة احد البحوث الإحصائية التي أجرتها مؤسسة (برند فيوجرز غروب)، التي تشير إلى أنّ التوجّه والميل للمسائل والمواضيع الدينية بين شعوب الدول الغربية، وخصوصاً طبقة أصحاب التجديد والمعاصرة يشهد هذا التوجه نمواً متزايداً[٢].

وقد اعترف الخبراء والمتخصصون الغربيون بأنّه «نرى في الغرب الآن أن الكنائس تمتلئ بالناس أكثر من السابق»[٣].

و«في هذه الأيام نرى في أمريكا وانجلترا وفرنسا واسبانيا، أن ظاهرة الرجوع إلى الدين أصبحت شائعة وقد هيمنت وسلّطت أضوائها على كل شيء»[٤].

١ـ صحيفة كيهان، عمود الثقافة والفكر، ١٣٧٥/٥/٢٣ هـ.ش.

٢ـ صحيفة ديلي تلغراف الانجليزية، صحيفة رسالت، ١٣٧٦/٣/٦ هـ.ش.

٣ـ صحيفة ينه يوزيلد، طبع تركيا، ١٩٩٧/٥/١٨م.

٤ـ المصدر نفسه.

ويعتقد الخبراء والمتخصصون، أنّ أشهر الأحداث في عقد السبعينيات والثمانينات في أمريكا ـ والتي كانت مركز المدنية الغربية ـ هي ظاهرة وحالة بحث الإنسان عن الخالق والرب:

إنّ هذا الشوق للبحث عن الخالق كان هوالسبب لمشاركة أكثر الناس في المسيرات الدينية، وبهذا الشكل ازداد معدل ميل الشعب الأمريكي للأمور الدينية، سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الاجتماعي.

إنّ هذا الأمر بلا شك هوابرز حدث في عقدي السبعينيات والثمانينيات في أمريكا، وإذا قلنا: إنّ هذا التيار سيشمل في تأثيره جميع المجتمع الأمريكي تقريباً في سلوكهم وثقافتهم خلال السنوات القادمة من هذا القرن، فإننا لن نجانب الحقيقة والصواب[١] .

إنّ (روبرت فوتنا)،أستاذ علم الاجتماع في جامعة بريستون، ودان لاتين المراسل الديني بعد إجرائهما لقاءات واسعة بالشعب الأمريكي، اصدرا كتباً جديدة بعنوان (بعد الجنة) و(بإتجاه كسب الإيمان).

وبحسب تقرير الكاتبين المذكورين واللذين أنجزا بحثيهما وعملهما بشكل منفصل في شرق وغرب الولايات المتحدة الأمريكية، وجاء فيه:

١ـ كالمبو، فوريفر؛ خدا در امريكا، محمد بقايي: ٢٤٢ (فوريفر كالمبو: عالم اجتماع ورئيس تحرير جريدة ال استامبا الايطالية واستاذ كلية الشؤون الدولية في جامعة كولومبيا).

إلى الآن لازال الشعب الأمريكي يهرع إلى الحياة الدينية بشكل متزايد لم يسبق له مثيل... إنّ الاعتقاد بالله والذهاب إلى المعابد أصبح حالة مألوفة بين الناس أكثر من أي وقت مضى[١].

إنّ الدين لازال يتغلغل في المجتمع الأمريكي، وعلى أساس ما ذكره أحد المفكرين الغربيين "إنّ الدين تجلّى في المجتمع الأمريكي بأشكال مختلفة ولا زال في حال تشكيل ثقافة الشعب الأمريكي"[٢].

إنّ حركة الاتجاه المعنوي والبحث عن الله تتزايد يوماً بعد يوم بالشكل الذي أوجدت معه إحدى أغرب الظواهر في القرون الأخيرة.

ومن هنا ولما يتمتع به الموضوع من أهمية نشير لبعض التقارير في هذا المجال:

"اليوم يطلق على القسم المهم من جنوب أمريكا ـ والممتد من الجنوب الشرقي إلى الغرب ـ بالحزام الديني؛ لأن النشاط الديني في العقدين الأخيرين لاقى رواجاً ونمواً في هذه المنطقة، وقد أيّد هذا الأمر عدد من المشاركين في الكنيسة والإجابات الواردة عن أسئلة الاستطلاعات، ويعتبر اليوم أكثر من ثمانين بالمائة من الشعب الأمريكي أنفسهم من الأشخاص المتدينين، وإن تسعين بالمائة من الشعب الأمريكي يعتقدون بوجود الله... وفي هذا الاستطلاع أنّ ٦٠ ـ ٦٥ بالمائة من الشعب الأمريكي وسبعين بالمائة من الشعب الإيطالي يتفقون على هذا الرأي"[٣].

١ـ صحيفة جمهوري اسلامي، ١٣٧٢/٨/١٤ هـ.ش.

٢ـ ماكواند، روبرت؛ مجلة صبح الشهرية، العدد ٧٨، بهمن/١٣٧٦ هـ.ش، ص ٧٨.

٣ـ الدكتور إمامي، أستاذ جامعة طهران، مجلة معرفت الشهرية، العدد٢١.

وبحسب تقرير مؤسسة «بيو» للاستطلاع في واشنطن:

إنّ الشعب اليوم يتجه نحوالدين أكثر فأكثر، وإن اعتقاد الشعب الأمريكي بالله وبالمعجزات الإلهية في العقد الحالي أكثر بمرات من العقد الماضي[١].

وبحسب ما ذكرت مديرية الإحصاء في كندا:

إن تعداد الأشخاص المتدينين في كندا يزداد يوماً بعد يوم.[٢]

وفقد أعلن مركز الإحصاء الاجتماعي الدولي بعد استطلاع أجري على تسعة عشر ألف شخص في أكثر من ٢١ بلد في العالم:

إنّ تعداد الشباب في دول شرق أوربا الذين يعتقدون بالحياة بعد الموت، في حال ازدياد يوماً بعد يوم[٣].

إنّ التقارير الجديدة، تتحدث عن أن ثلث الأمريكيين يستفيدون من الإنترنت للحصول على المعلومات الدينية وكل ما يقرّب إلى الله، هذا التقرير المنقول عن«**Sydney Morning Herald**»،يشير إلى أن تعداد الأشخاص الذين يبحثون عن المواضيع الدينية ازداد من١٨ مليون إلى ٣٥ مليون في عام٢٠٠٣ بما يعادل ٩٤ بالمائة، وبالقياس إلى مقدار نموالتوجه الديني قبل ٢٠٠٣ ، فإنّ التحقيقات تشير إلى أنّ تعداد الأشخاص الذين يستفيدون من الإنترنت في الأمور والمواضيع الدينية،

١ـ مجلة صبح الشهرية، العدد٧٨، بهمن ١٣٥٦ هـ.ش، ص٨١.

٢ـ صحيفة رسالت، ١٣٧٧/٦/٢٨ هـ.ش.

٣ـ صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٧١/٥/٢٤ هـ.ش.

قد ازداد من ثلاثة ملايين شخص في عام ٢٠٠٠ إلى خمسة ملايين في عام ٢٠٠٢ وبما يعادل ٦٠ بالمائة[١].

ويشير مركز البحوث «PEW» في واشنطن أيضاً:

إنّه في الفترة ما بين مارس ٢٠٠٠ إلى سبتمبر ٢٠٠١ وصل عدد المستخدمين للإنترنت في مجال التوجه الديني، من ١٨ مليون إلى ٢٨ مليون وبالخصوص بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فإنّ أكثر من أربعين بالمائة من مستخدمي الإنترنت في العالم كانوا يتناولون الأمور الدينية حتى عن طريق إرسال واستخدام الدعوات والصلوات، وأن ٢٣بالمائة منهم كان يتناول المواضيع المرتبطة بالدين الإسلامي بالخصوص[٢].

١ ـ ٢.التظاهر بالتديّن للفوز بالانتخابات

إنّ الإقبال الواسع على الدين وصل إلى الحد الذي جعل معه السياسيين يتظاهرون بالتديّن للتوصل إلى أهدافهم الانتخابية والسياسية، ولهذا السبب فإنّ تلفزيون سي. أن. أن. أعلن ضمن تقرير إحصائي له في هذا المجال:

إنّ انتشار الكتب العامة كان يتمتع بنمويقارب الستة بالمائة خلال عام ١٩٩٥.

١ـ خبرنامه العدد: ٨٣٨، ص٣٧.

٢ـ المصدر نفسه.

وإنّ ازدياد الميول نحوالأمور المعنوية والدينية عند شعوب الدول الغربية، أوجد تغييرات مهمة في الساحة السياسية وبالخصوص في المنافسات الانتخابية.

لقد ازدادت خلال السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ الاستفادة من الدعاية الدينية في بعض الدول الغربية لجلب اهتمام ورضا وآراء الناس، حتى أنّ كلاً من المرشحين لمنصب رئاسة الوزراء في بريطانيا من الحزبين المحافظين والعمال قاما بشرح عقائدهما الدينية بشكل لم يسبق له مثيل في الانتخابات البريطانية[١].

«وفي الانتخابات السابقة لرئاسة الجمهورية في أمريكا، فإنّ كلا من كلينتون المرشح عن الحزب الديمقراطي وبوب دال المرشح عن حزب المحافظين، قد قاما بطرح شعارات دينية في حملاتهما الدعائية للانتخابات»[٢].

«وفي انتخابات رئاسة الجمهورية الأخيرة في أمريكا، فإنّ جورج بوش وماكين المرشحين عن الحزب الجمهوري تحدّثا في برامجهما الدعائية للانتخابات، عن التأثيرات التي كانت قد تركتها توصيات النبي عيسى في شخصيتهما، وتحدثا أيضاً عن عقائدهما ورؤيتهما للدين. وأمّا الغور وبيل

١ـ توني بلير ومنافسه؛ صحيفة كيهان، ١١/١/ ١٣٧٦ هـ.ش.

٢ـ حوار مع الدكتور مهدي كلشني؛ مجلة صبح الشهرية العدد٣٥.

برادلي المرشحين عن الحزب الديمقراطي، فإنّهما قد أكدا على التدين للفرد والعائلة،في بيان مفاده: إنّه لأجل إصلاح المجتمع يجب تقوية القيم الدينية»[1].

وتكتب صحيفة الأوسط في تقرير تحليلي لها عن الرؤية الدينية وأسبابها في مهد الحضارة الغربية الولايات المتحدة:

إنّ ما يمكن ملاحظته أنّ الدين أصبح من العوامل المؤثرة في المنافسات الانتخابية لرئاسة الجمهورية في أمريكا.

... وإن بيل كلينتون الرئيس الحالي لأمريكا يختم كلامه دائماً بهذه العبارة: اللهم حقق السعادة لأمريكا.

ويقول «غري ويفر» أستاذ جامعة جورج تاون في هذا الإطار:

إنّ كليتون إذا نسي يوماً ما أن يختم كلامه بهذه العبارة، فإنّه سوف لا يتخلّص من النقد الشديد من قبل الأمريكيين، لأنّه سوف يقال له: إنّه لم يحترم الدين، هذا في حين أنّ القانون الأساسي في أمريكا لم يقدّم أيَّ حماية للدين، بل منع من إدخال الدين في السياسة.

وتضيف هذه الجريدة:

لم يكن للمجتمع الأمريكي توجّه نحوالدين إلى هذا الحد . وإنّ هذا التوجّه والاهتمام وصل إلى الحد الذي يقول فيه الدكتور جابر العلواني رئيس مركز الدفاع عن الإسلام في فرجينيا:

١ـ وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية، ١٣٧٨/٦/٢٠ هـ.ش ، صحيفة رسالت ١٠/٨/ ١٣٧٨ هـ.ش.

إنّ بعض البروتستانتيين المتدينين في أمريكا[١] كان يناقشني حول البروفسور العربي ابن رشد، وذكر أنّ سبب ومسؤولية دخول الإلحاد في الغرب يقع على عاتق هذا الفيلسوف العربي.

وإنّ الدكتور «جان ول»، أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة جورج واشنطن يقول:

إنّه قبل خمس وعشرين سنة عندما كان كارتر الرئيس السابق لجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية قد أظهر التديّن، تعجّب الأمريكان من ذلك؛ لأنّ في ذلك الزمان كان يُفتخر بعدم التديّن والعلمانية، ولهذا السبب كان كندي قد سعى في حملته الانتخابية الى أن ينكر تديّنه[٢].

إنّ السياسيين أيضاً أظهروا ميولهم إلى الدين، وعلى سبيل المثال فإنّ يوهانس راف، رئيس جمهورية ألمانيا، طلب أن تذكر كلمة(الله) في القانون الأساسي الجديد للاتحاد الأوروبي.

وبحسب تقرير وكالة الأنباء الفرنسية، فإنّ راف قال في كلمة ألقاها في البرلمان النمساوي:

١ـ بحسب الإحصاء الرسمي لجامعة جورج تاون فإن ٧٠ بالمائة من الشعب الأمريكي من البروتستانت، و٢٣ بالمائة منهم من الكاثوليك وإن المسلمين واليهود يشكل كل منهما ٢ بالمائة من الشعب الأمريكي، وباقي الأديان تشكل ٣ بالمائة، نقلاً عن جريدة الأوسط، ٢٠٠٠/٥/١٤.

٢ـ صحيفة شما الأسبوعية، نقلاً عن صحيفة الأوسط ١٤/ ٥/٢٠٠٠.

إنّ إدخال كلمة «الله» في القانون الأساسي الجديد للاتحاد الأوربي ــ الذي هوفي حال التهيئة والتدوين ــ يناسب الآداب والسنن للسيد المسيح عليه السلام في أوربا.

وأضاف:

إنّ إدخال اسم الله في مطلع أي نص لم يكن مختصاً بدين معين، بل نرى له شواهد كذلك في المذاهب المسيحية[1].

١ ـ ٣.القرن الواحد والعشرون؛قرن أفول العلمانية

إنّ التوجّه والميل إلى الدين في الغرب ازداد بالشكل الذي يصفه الباحثون بقولهم:

إنّ القرن الواحد والعشرين هوقرن بسط نفوذ الدين بامتياز في جميع الأبعاد المختلفة للحياة الإنسانية[2].

وأطلق «روبرت ماكوانت»، الكاتب الأمريكي، على القرن الواحد والعشرين الميلادي إنّه قرن التطلّع المعنوي للإنسان، وبحسب التقارير الإحصائية والأرقام والشواهد الموجودة فإنّه يتوقع:

أنّ القرن الجديد ستكون فيه مرحلة جديدة من هيجان العاطفة الدينية، وسيزداد أمل الناس في هذا المجال[3].

١ـ موقع بازتاب الإلكتروني للأخبار، ١٣٨٣/٢/١٢ هـ.ش ، الساعة٤٩:٢٠:١٦.

٢ـ محلل مجلة ابزرفاتور الأسبوعية الفرنسية؛ صحيفة أبرار، ١٣٧٥/٦/٦ هـ.ش.

٣ـ مجلة صبح الشهرية، العدد٧٨، وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية نقلاً عن جريدة كريستين ساينس مانيتور: ٧٨.

وتنقل مجلة أبزر فاتور الأسبوعية الفرنسية كلام أندريه مالرو، الكاتب الفرنسي الكبير ووزير الثقافة الفرنسية الاسبق، في إطار تأييد الواقع المذكور، إذ يذكر ضمن طرح توقعاته:

إنّ القرن الواحد والعشرين إمّا أن لا يكون، أوإنّه سيكون قرن الدين." وتضيف المجلة الاسبوعية المذكورة: " إنّ توقع مالروقد تحقق، وإننا نشاهد في كل مكان ظهور حركة الرجوع الى الدين[١].

ويرى الباحثون الغربيون أنّ الإقبال على الدين قد فاق حدّ التصوّر، ويذكرون:

إنّ تيار عودة الشعوب إلى التديّن قد إنهمر كالسيل الجارف، ولقد انتهت تلك الرؤية التي تقول: إنّ العلمانية ستشمل كل أرجاء العالم[٢].

إنّهم بصراحة يرون أن نظرية أفول الدين خطأ ويعلنون:

لقد وقع الجميع في هذا التصوّر الخاطئ، وهوأنّ الاتجاه المادي والدنيوي يعمل على إزاحة الدين عن حياة الناس، ولن تستطيع أي قدرة منعه ومواجهته[٣].

إنّ الغرب اليوم يشهد العودة للفطرة الدينية والتطلع نحوالخالق والأمور المعنوية، لأنّ السنوات التي أبعدوا فيها الناس عن الدين ونفّروهم منه، لم

١ـ صحيفة أبرار، ١٣٧٥/٦/٦ هـ.ش.

٢ـ محلل جريدة واشنطن تايمز الأمريكية، صحيفة إيران، ١٣٧٦/٥/١٥ هـ.ش.

٣ـ بارت، ديفيد؛ مسؤول دائرة المعارف المسيحية العالمية، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٧١/٥/٢٤ هـ.ش.

تستطع أن تطفئ شعلة ونداء الفطرة الإنسانية للأبد، وبقيت هذه الفطرة ثابتة عند الإنسان.

١ ـ ٤.إقبال علماء الغرب المتزايد على الدين

إنّ الإقبال على الدين في الغرب ليس في تزايد بين عامة الناس فقط، بل إنّ العلماء والمفكرين أيضاً هم في حال الانضمام إلى حركة الإقبال على التديّن؛ فإنّهم قد اطلعوا على تأثير الدين المهم في إزاحة موانع العلم الجديد، ورأوا تلك التغيرات العجيبة التي وقعت في العقدين الأخيرين.

حركة تديّن العلماء إلى أوائل القرن العشرين

إنّ حركة التديّن بين العلماء والمفكرين ـ قبل القرن التاسع عشر إلى أقصى ما وصلت إليه الفيزياء الكلاسيكية ـ تدلل على أنّ الكثير منهم كان يعتبر من المتديّنين في المجتمع.

ومثال ذلك: أنّه على الرغم من وجود بعض الأحكام المسبقة فإنّ مؤسسي العلم الجديد مثل «كبلر»[١] في القرن السادس عشر، و«غاليلو»[٢] في القرن السابع عشر، و«نيوتن»[٣] وآخرين، كانوا من المتديّنين في المجتمع[٤].

١ـ Kepler.

٢ـ Galilei.

٣ـ Newton.

٤ـ الدكتور كلشني، مهدي؛ صحيفة كيهان، ١٣٧٨/٤/٢٢ هـ.ش.

وبصورة عامّة يمكن القول:

"إنّ علماء القرن السابع عشر مثل غاليلو، كانوا من الكاثوليكيين الملتزمين، وكان بابل بويل (١٦٢٧ ـ ١٦٩١) يعتبر العلم رسالة دينية"[١].

"إنّ نيوتن، وهوالشخصية المشهورة في تيار التديّن، والفيزياء الجديدة مدينة له، كان عالماً متديّناً ومسيحياً، ويعتبر أنّ المسيح مخلوق من قبل الله، وكانت له محبة خاصة للإلهيات، وكذلك جيمس كلارك ماكسويل ـ العالم الفيزيائي المشهور في القرن التاسع عشر ـ فإنّه كان يقضي أيام الأحد في مطالعة كتب الإلهيات"[٢].

بل "إنّ أغلب علماء الفيزياء الكلاسيكية مثل كبلر وغاليلونيوتن وأرستد وأمبير ومايكل وفرداي وهنري وماكسويل، كانوا جميعاً قد أثبتوا وجود الله بالرجوع إلى النظام والتناسق والانسجام في الطبيعة، وإنّ جميع هؤلاء العلماء اعتبروا أنّ الفيزياء طريق لرؤية آثار الله في هذه الطبيعة المنظمة"[٣].

وكما قال غاليلو:

"لم يكن ظهور وتجلّي الله في مظاهر الطبيعة أقل من العبارات المقدسة في الإنجيل"[٤].

١ـ باربور، يان؛ علم ودين، ترجمة بهاء الدين خرمشاهي.

٢ـ الدكتور كلشني، مهدي؛ صحيفة كيهان، ١٣٧٨/٤/٢٢ هـ.ش.

٣ـ الدكتور كلشني؛ فيزيك دانان غربي ومسأله خدا باوري، مجلة قبسات ربيع ١٣٦٧هـ.ش.

٤ـ المصدر نفسه.

وفي الوقت نفسه، أصبح تطور الفيزياء الكلاسيكية في القرن التاسع عشر سبباً للاعتماد المفرط لمجموعة من العلماء على قدرة العلم، وتبعاً لذلك فإنّ العالم الغربي شهد ظهور وانتشار الأفكار الحسية وحاكميتها على المؤسسة العلمية في الغرب.

إنّ أكثر العلماء في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين حكموا بنفي أي اعتبار للمعرفة الفلسفية والدينية؛ اعتماداً على أصالة التجربة.

إنّ فكر أشخاص مثل «أوغست كونت» (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧) ـ الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي ـ كان هوالسائد وهويعتبر أنّ الأمور الحسية التجريبية وحدها ذات قيمة وعلمية وكان يفترض نفسه نبي دين الإنسانية.

إنّ مثل هذه الأجواء الفكرية والعلمية أدّت إلى إنكار العقائد الدينية، وجعلت الآفاق أمام المتدينين من الناس والعلماء ضيقة جداً في العالم الغربي، وقد بلغ هذا التفكير ذروته في الوضعية المنطقية[١].

لقد نشأت هذه الحركة الفلسفية نتيجة لاجتماعات عقدها علماء رياضيون ومنطقيون مابين عام ١٩٢٢وعام ١٩٣٦[٢]. وإنّ مجموعة من الفلاسفة والرياضيين والمنطقيين قدّموا دعوة في عام ١٩٢٢ «لموريتس شليك»[٣]

١ـ Logical positivism . من المصادر المهمة لمعرفة الوضعية المنطقية، مقالة جان باسمور في دائرة المعارف الفلسفية؛ تحرير بل إدواردز، يعتبر كارل بوبر هذه المقالة مقالة تاريخية ومهمة في مجال الوضعية، وقد ترجم هذه المقالة السيد خرمشاهي في كتاب «الوضعية المنطقية» مؤسسة الانتشارات العلمية والثقافية.

٢-Murphy,Nancey; Beyond Liberalism and Fundamentalism، p.٣٩.

٣-Moritz Schlick.

(فيلسوف الوضعية الألماني ١٨٨٠ ـ ١٩٣٦)وذلك للتدريس كأستاذ لفلسفة العلوم الاستقرائية في جامعة فيّنا)، وعرفت هذه المجموعة فيما بعد بحلقة[1] فينا.[2] وكان «ألفرد جوليوس آير»(١٩١٠ ـ ١٩٨٩) أحد أفضل الناطقين باسم هذا التيار الفكري في إنجلترا[3] وقد سعى أكثر من بقية الأعضاء في هذه الحلقة لنشر مواضيع ومطالب حلقة فيّنا في دول العالم الناطقة بالإنجليزية. وكان كتابه الذي ألّفه حول الوضعية المنطقية(اللغة، الحقيقة والمنطق)أحد أكثر الكتب نفوذاً وتأثيراً من بين كتب القرن العشرين[4].

إنّ المدافعين عن هذه الرؤية يعتبرون القضايا الأخلاقية والدينية لا معنى لها وفارغة، ولم يضعوا أيّ اعتبار للاعتقادات الدينية.

وقد تمكّنت المرحلة المظلمة أن تضمّ إليها مجموعة من العلماء الملتزمين، ولكنّ ظهور وانتشار الاتجاه العلمي والحسي والوضعية المنطقية، قد سمّمت الأجواء وتركت آثاراً مخرّبة في الحركة العلمية وعلماء القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، حتى إنّه في أوائل القرن العشرين، وضمن استبيان قدّم لألف عالم في مجال العلوم المختلفة، وأجاب عنه سبعمائة

١- Vienna group.

٢ـ خرمشاهي؛ الوضعية: ٣ـ٥.

٣-Brown, et al., Biographical Dictionary of Twentieth _Century Philosophers, p.٨٨٤.

٤-A.G.Ayer, Language, Truth, and Logic (New York: Dover Publications,١٩٤٩).

منهم، تبيّن أنّ ٤٠ بالمائة من هؤلاء العلماء يعتقدون بالله، وكانت النتيجة المتوقعة أن تصبح نسبة العلماء المعتقدين بالله أقل في نهاية القرن العشرين[1].

يقول «آن برد»، أستاذ جامعي مشهور في أمريكا، في عام ١٩٥٠: "لقد طالعت خمسين كتاباً درسياً في علم النفس، فلم يطرح حتى بحث صغير واحد حول الدين بعنوان بحث إنساني وعاطفي"[2].

وصول الاتجاه العقلي الإفراطي إلى طريق مسدود

لقد بدأت نظريات الاتجاه الحسي بالأفول تدريجياً في أوائل القرن العشرين. إن الوضعية المنطقية التي كانت تعتبر ذروة الاتجاه الحسي في ميدان علم المعنى والدلالة، قد تعرضت للنقد من أعضاء حلقة فيّنا أنفسهم.

وكمثال على ذلك «فإنّ كلبرت رايل»(١٩٠٠ ـ ١٩٧٦)الذي كان أستاذ «آير» نفسه وكان في البداية من الوضعيين المنطقيين، وبعد ذلك انفصل عنهم، قد حذّر من نتائج هذه النظرية في إهمال جميع المدعيات الفلسفية، ومن ضمنها نتائج اجتماعات حلقة فيّنا والتي كانت تطبع في مجلة المعرفة[3].

وقد طرح «تشالمرز» في كتابه «ماهيةالعلم»[4] نواقص العلم على الملأ، وإنّ ألفرد جوليوس آير، الذي كان أفضل من دافع عن هذا التيار الفكري، وكان

١ـ الدكتور كلشني، مهدي؛ حوار مع جريدة كيهان، ١٣٧٨/٤/٢٢ هـ.ش.

٢ـ الدكتور كلزاري، محمود؛ مجلة بكاه الشهرية، تير ١٣٨٠ هـ.ش.

٣ـ خرمشاهي؛ الوضعية المنطقية: ٣٣ـ٣٤.

٤ـ تشالمرز، آلن أف.؛ جيستى علم، ترجمه سعيد زيبا كلام: ٨٤ ـ ٨٨.

ناطقاً باسمه وكاتباً لأهمّ الكتب المؤثرة في نشر هذا التفكير، والتي منها(اللغة، الحقيقة والمنطق)، قال في حوار مع برايان مغي بصدد الجواب عن سؤال وهوهل أننا وصلنا اليوم إلى النقائص الأساسية في الوضعية المنطقية أم لا؟

قال:

أعتقد أنّ أهم نقيصة للوضعية المنطقية هي إنّها تقريباً بأكملها باطلة وعارية عن الصحة والحقيقة[1] .

لقد اتّضح تدريجياً أنّ الاتجاه العلمي المحض وصل إلى طريق مسدود وأزمات ناشئة عنه، منذ النصف الأول للقرن العشرين حتى الآن، وإنّ حركة الاتجاه الديني قد بدأت مرحلة جديدة، وازدادت أرقام العلماء الموحدين والمعتقدين بالتوفيق بين العلم والدين.

في هذه المرحلة هناك منظّرون مثل «ماكس بلانك»[2] صاحب نظرية الفيزياء الكمية[3] أعلنوا صراحة "وتكلموا حول التوفيق بين العلم والدين ووقوفهما ضد الخرافات"[4] .

١ـ B.Magee, Men of Ideas,pp.١٠٦-١٠٧ ـ٧، كارناب وفلسفه تحليلي، ارغنون، ٧ـ ٨ العدد، ص ٢١١.

٢ـ Max Planck (١٨٥٨ـ١٩٤٧) . عالم فيزياء ألماني صاحب النظرية الكمية.

٣ـ quantum إن هذه النظرية تثبت أن الطاقة الضوئية مثل المادة لها بنية منفصلة ولا يمكن أن توجد إلا ضمن شكل كمي. إن هذه النظرية تشكّل أساس الفيزياء الجديدة.

٤ـ كلشني، مهدي؛ **فيزيك دانان غربي ومسأله خدا باوري**، مجلة قبسات الفصلية، ربيع ١٣٧٦ هـ.ش.

وتكلّم شالو، العالم الفيزيائي الأمريكي الحائز على جائزة نوبل للسلام، على: "اعتقاده بالله، ووجوب إرجاع أسئلة الإنسان الأساسية إلى الدين والحصول على الجواب منه"[١].

واعتبر «باكينغ هورن»، الفيزيائي الإنجليزي، أنّ العلم ناقص من دون الدين وطرح «مارغنو» الفيزيائي الأمريكي وزميل آينشتاين -رأيه حول حاجة العلم إلى الدين واعتقاد «آينشتاين»[٢] بانّه:

تحدّث عن أن اكتشاف قانون أساسي تؤيّده الطبيعة هوإلهام من الله[٣].

واستفاد بعض العلماء مثل: موريسن[٤]، وروفير[٥]، من الفيزياء وعلم الأحياء وعلم الفسلجة والرياضيات لإثبات وجود الله والغاية من الحياة[٦].

لقد شهدت هذه المرحلة تغيرات في ميدان العلوم الإنسانية أيضاً. ومن شواهد ذلك أنّ علم النفس الذي كان له طابع غير ديني إلى وقت قريب، قد

١ـ المصدر نفسه.

٢ـ Albert Einstein (١٨٧٩ـ١٩٥٥). عالم فيزياء ألماني.

٣ـ كلشني، مهدي؛ فيزيك دانان غربي ومسأله خدا باوري، مجلة قبسات الفصلية، ربيع ١٣٧٦ هـ.ش.

٤ـ أستاذ أكاديمية العلوم في نيويورك.

٥ـ H.ROUVIRE. أستاذ علم التشريح في كلية الطب في باريس.

٦ـ راجع: موريسن، كرسي؛ راز آفرينش إنسان؛ روفير؛ حيات وهدف داري، ترجمة محمد سعيدي.

فتحت فيه أبواب جديدة تدريجياً مع ظهور تيار ضد الفرويدية، وقد ظهر لعلم النفس اتفاق وانسجام تام مع الدين، ومن بين العلماء يمكن تسمية «فيكتور فرانكل»[١] و«مري داغلاس» و«كارن هورناي»[٢] و«كارل روجرز»[٣] و«ألبورت»[٤] و«براهام مازلو»[٥]. وإن علماء النفس هؤلاء مخالفون لفرويد[٦] الذي كان يعتقد بأن الميول نحوالدين هي بسبب عقدة أوديب[٧] الحاصلة من الميل الجنسي للولد نحووالدته وان التدين في الواقع هونوع من الأمراض

١ـ عالم نفس ألماني.

٢ـ Karen Horney؛ عالم نفس ألماني ومؤسس معهد التحليل النفسي في أمريكا، (١٨٨٥ـ١٩٥٢).

٣ـ Karl Rogers؛ عالم نفس أمريكي، (١٩٠٢ـ١٩٨٧).

٤ـ Gordon Allport؛ عالم نفس أمريكي، (١٩٦٧ـ١٩٩٧).

٥ـ A.H.Maslow؛ عالم نفس أمريكي، (١٩٠٨ـ١٩٧٠).

٦ـ Sigmund Freud؛ متخصص نمساوي بالأمراض النفسية ومؤسس التحليل النفسي، (١٨٥٦ـ١٩٣٩).

٧ـ بنظر فرويد، إنّ الله هوتوهّم ذهني، والتديّن هونتيجة لا شعورية لعقدة أوديب، يعني: أنّ الإنسان يصنع له صورة أب أرضي بالمقياس الدنيوي بحيث يستطيع أن يلجأ إليه للحصول على الأمن والراحة، ويرى فرويد أنّ الدين هوفكرة الأمل لدى الإنسان وهوناشئ من بحث الإنسان عن الإيمان، فهوكان نظير لود فيغ فوير باخ(١٨٠٤ـ١٨٧٢) الذي كان يعتبر أنّ مفهوم الله هونتيجة تخيّل الإنسان. راجع: إيان باربور، علم ودين، ترجمة بهاء الدين خرمشاهي: ٢٩٣ـ٢٩٤.

النفسية، وعلى خلاف فرويد فإن علماء النفس هؤلاء يعتقدون بأن التديّن هوميل أصيل ومتجذّر في الوجود الإنساني[1].

يصف أحد الباحثين المعاصرين ـ وكانت له سفرات متعددة لمؤتمرات علمية داخل وخارج إيران ـ حركة التغير في رؤية العلماء بالشكل التالي:

كنت قبل عدة سنوات في لندن لحضور مؤتمر (التفسير الفيزيائي للنسبية). وقد طرح بحث علم الكونيات، وعندما كان أحد الفيزيائيين والفلاسفة من بلجيكا يتكلّم عن نوع من علم الكونيات، ذكر اسم الله ضمن كلامه فقال أن أحد الفيزيائيين الأمريكان من جامعة أكسفورد: لا يوجد مكان لذكر اسم الله في مؤتمر الفيزياء، فهذا كنت قد شاهدته أنا بنفسي.

وأما الآن فإنّ الوضع قد تغيّر: فقبل أربع سنوات قام مجمع(تطور العلم)الأمريكي ـ وهوأكبر مجمع علمي في أمريكا وأكثر أعضائه من الشخصيات العلمية المرموقة في أمريكا ـ قام هذا المجمع بعقد مؤتمر، وتم تخصيص جلسة أوجلستين لأول مرة حول(علاقة العلم بالدين) وهي غير الجلسات الحوارية المعهودة في مثل هذه المؤتمرات، وكانت الجلسات التي تتناول (علاقة العلم بالدين) لها حضور كبير بالصورة التي جلبت الانتباه لها أكثر من بقية الجلسات، ممّا دعا منظمي المؤتمر إلى أن ترتفع أصواتهم بالاعتراض.

١ـ همتي، همايون؛ "رهيافت دين شناسي إمام خميني"، مجلة كيهان فرهنكي، العدد١٣٦ مهر ١٣٧٦ هـ.ش.

ففي وقت، كان ذكر اسم الدين في المحافل العلمية والتعليمية وغيرها، من الأمور المخالفة للحداثة، وأمااليوم فإننا نرى الأمر يختلف تماماً[١].

لقد أكّد البروفسور «بروس مينغن»، أستاذ المعرفة البحثية في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، عدمَ الاكتفاء بالعلم، وقد أشار في المؤتمر الثاني لـ (التوفيق بين العلم والدين) (الهند يناير١٩٩٦) لظاهرة تديّن العلماء المتزايدة التي لا سابق لها في السنوات الأخيرة قائلاً:

لقد تحجّرَ المنهج العلمي منذ أوائل القرن الحالي وحدد نفسه ضمن إطار الوقائع والمشاهدات الحسية، ونظر إلى الدين والتجربة الدينية بعين العداء، ولكنه لحسن الحظ منذ بداية العقد الحالي، نرى هناك تجديداً بالنسبة لربط المعرفة والتجارب الدينية والمعنوية بالحقل العلمي[٢].

لقد شهد الاتجاه الديني خلال السنوات الأخيرة نمواً وانتشاراً متزايداً يوماً بعد يوم في الكثير من المراكز العلمية والجامعات المعتبرة في العالم، وبالخصوص في الغرب حتى إنّه:

«في الوقت الراهن هناك ما يقارب ثلاثمائة إلى خمسمائة شخص من طلاب جامعة استاندفورد الأمريكية يشتركون دائماً في المراسم العبادية، في حين إنّه لم تكن هناك أهمية للعبادة في هذه الجامعة قبل عدة سنوات»[٣].

١ـ كلشني، مهدي؛ صحيفة كيهان، ١٣٧٥/١١/٧ و١٣٧٨/٤/٢٢ هـ.ش.

٢ـ صحيفة إطلاعات، ١٣٧٦/٤/٣ هـ.ش.

٣ـ مجلة سروش الشهرية، العدد ٦٣٥.

وطبقاً للإحصاءات الموجودة،فإن«نصف الباحثين في المركز الوطني للبحوث العلمية في فرنسا يعتقدون بالله، والكثير منهم يشعرون بإنّهم قريبون من هذه المرحلة»[١].

إنّ التقارير التي قدمت في هذا المجال تشير إلى إنّه: قد افتتحت جامعة كمبرج منذ عدة سنوات قسماً في الخطابة العلم والإلهيات.

وقد أهدي مبلغ مليون ومائة ألف باوند لجامعة أكسفورد في ١٩٩٨ لتأسيس كرسيّ العلم والدين في الجامعة، وإنّ جامعة ليدز الإنجليزية، افتتحت أيضاً أول مركز إرتباطي بين الإختصاصات للتعليم والبحث حول العلم والدين، ومنذ أكتوبر ١٩٩٨ وضعت الجامعة دورة ماجستير في العلم والدين، وفي جامعة بوسطن في أمريكا وضعت الجامعة برنامجا للدكتوراه في(العلم والدين والفلسفة)[٢].

لقد بدأ الاختصاص الجديد في البحوث النفسية في مجال الدين منذ عقدي الستينيات والسبعينيات الميلادية، وقد أظهرت زيادة ملحوظة خلال السنوات الأخيرة أنّه: "في هذه السنوات طبعت عشر مجلات معتبرة في هذا المجال، وعقدت عشرات المؤتمرات والندوات، وازداد عدد أعضاء نقابة علماء النفس المسيحيين من مائتي عالم تقريباً في عام ١٩٩٣ ميلادية إلى ألف

١ـ صحيفة كيهان، الصفحة العلمية، ١٣٧٠/٩/٢٥ هـ.ش؛ نقلاً عن مجلة أبزر فاتور الفرنسية الأسبوعية.

٢ـ كلشني، مهدي؛ أز علم سكولار تا علم ديني: ٥٩.

وستمائة عالم في السنوات الأخيرة، وازدادت البحوث المرتبطة بالدين في مجال العلوم الإنسانية والنظرية في شبكة الإنترنت بشكل ملحوظ"[١].

وفي الماضي "كان يعتقد علماء النفس أنّ علاج المرضى النفسيين يجب أن يبقى بعيداً عن الجانب القيمي، ولكنّه فقط منذ عام ١٩٨٧ حتى عام ١٩٩٣ طبعت أكثر من ستة آلاف مقالة علمية حول أهمية تأثير الدين في علاج المرضى النفسيين"[٢].

وفي السنوات الأخيرة أيضاً "وضع درس في العلم والدين في كثير من الجامعات الأمريكية والأوربية، وبحسب ما جاء في مجلة New Scientist، فإن هذا الدرس كان أكثر الدروس تطوراً من الناحية العلمية!"[٣].

"إنّ معهد العلوم السياسية في أمريكا[٤] أسس أيضاً قبل عشر سنوات قسما للدين والسياسة، ويقدم كل سنة هدية لأفضل كتاب في هذا المجال"[٥].

بداية سقوط المادية المحضة والسعي المتزايد لفهم واقعية الدين

إنّ العالم يشهد العد العكسي لسقوط وتزلزل الأفكار الإلحادية في الحضارة المادية المعاصرة والخيبة الكبيرة للثقافة غير الدينية.

١ـ كلزاري، محمود؛ مجلة بكاه الشهرية، شهر تير ١٣٨٠ هـ.ش.

٢ـ حق، عنبر؛ أستاذ جامعة ماليزيا، خلال كلمة له في أول مؤتمر دولي له حول دور الدين في الصحة النفسية في طهران، مجلة بكاه الشهرية، ١٣٨٠/٣/١ هـ.ش.

٣ـ كلشني، مهدي؛ أز علم سكولار تا علم ديني: ٥٩.

٤ـAmerican Political Science Association.

٥ـ المصدر نفسه.

وطبقاً لما ذكرت مجلة نوفل أبزرفاتور الأسبوعية الفرنسية:

إنّ علم المعلوماتي والتقنية شهد تطورات كبيرة في هذا العصر، في حين أننا نواجه يومياً سقوط واضمحلال الأسس الفكرية للمادية والإلحادية بشكل متزايد... فلم تعد اليوم المعرفة الإلهية هي التي تحاول أن تستفيد من المفاهيم العلمية لصالحها، بل إننا في الوقت الراهن نرى أنّ العلم هوالذي يطلب ويبحث بشدة عن الله[١].

إنّ مجلة ساينتفك أميركان العلمية الشهرية تذكر في هذا المجال:

إن عجز العلم عن الإجابة عن الأسئلة التي تتناول معنى الحياة والأمور القيمية والأخلاقية والغايات، هذا العجز هوالذي دفع العديد من العلماء ـ الذين كانت لهم في الماضي روحية الإنكار والإلحاد ـ أن يتركوا رؤيتهم السابقة وأصبحوا مجبرين على قبول التعاليم الدينية[٢].

نرى في السنوات الأخيرة هذا الانسجام مع التديّن عند عامة الناس على مستوى العالم، وإنّ المفكرين أيضاً انتفضوا ونهضوا لإصلاح أخطائهم العلمية السابقة، وقاموا بمراجعة ونقد رؤيتهم السلبية السابقة للدين ولمسوا موقع الدين في الحياة.

لقد عقدت عدة مؤتمرات لإثبات التوافق والانسجام بين الدين والعلم، وعرض في سوق العلم مؤلّفات وبحوث كثيرة في هذا المجال.

وكنموذج على ذلك:

١ـ صحيفة كيهان، ١٣٧٠/٩/٢٥ هـ.ش.

٢ـ صحيفة كيهان، ١٣٧٧/٦/٥ هـ.ش.

«تأسيس لجان ومراكز بحثية مرتبطة بالعلم والدين في أوربا وأمريكا بشكل متزايد يوماً بعد يوم، وعقد مؤتمر عالمي للتوفيق بين العلم والدين في الهند بحضور ألف ومائة عالم من علماء الفيزياء والكيمياء وعلماء الأحياء والفلاسفة وعلماء الدين و... من كل أرجاء العالم، وعقد مؤتمر لبحث ارتباط العلم بالدين في جامعة كاليفورنيا في بركلي بمشاركة عدد كبير من العلماء البارزين»[1].

وأيضاً «فإن المراكز الدينية والعلوم الطبيعية في بركلي في كاليفورنيا قامت بتنظيم مشاريع بحثية بعنوان **العلم والبحث المعنوي**، وقال مارك ريتشارد سون مدير هذا المشروع: "إنّ هذا العمل هومقدمة لعقد مؤتمر بمشاركة علماء العلوم الطبيعية الدينية هدفه تغيير رؤية النخب الفكرية بشأن مسألة ردّ العلم الدقيق للاعتقادات الدينية»[2].

وقد طبعت كتب كثيرة خلال السنوات الأخيرة تبيّن الرؤية الإيجابية لموضوع ارتباط العلم بالدين، وعلى سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى كتاب **الفيزياء وما وراء الطبيعة** (١٩٩٤) وهومن تأليف العالمة الغربية السيدة «جنيفر تروستد» التي لها تأليفات كثيرة في مجال الفلسفة وفلسفة العلم.

إنّ الكاتبة هنا بصدد محوهذا التصور الخاطئ المسيطر على الأفكار، وهو: أنّ الدين كان المانع من تطور العلم، وقد اعتبرت النموالعلمي في القرون الوسطى مرتبط بفلسفة الدين[3].

١ـ كلشني، مهدي؛ **أز علم سكولار تا علم ديني**: ٥٩.

٢ـ صحيفة كيهان، ١٣٧٧/٦/٥هـ.ش.

٣ـ صحيفة كيهان، ١٣٧٧/٦/٥ هـ.ش.

إنّ العالم يشهد ثورة عظيمة في ميدان الفكر المعاصر والمفكرين ورؤيتهم الجديدة للإيمان والتديّن، وتكتب مجلة تايم (Time) الأمريكية في عددها السابع من شهر أبريل ١٩٨٠ في هذا المجال: هناك ثورة صامتة في التفكير الاستدلالي تقع، وأنّ الله يرجع... ومجلة News week الأمريكية تذكر في عددها العشرين من الشهر السابع ١٩٩٨ أنّ العلم يجد الله"[١].

إنّ مجلة ساينتفيك العلمية الشهرية الأمريكية تشير إلى التحولات المذكورة، من خلال تناول المواضيع المطروحة في مؤتمر لبحث ارتباط العلم بالدين في كاليفورنيا، وتكتب: إنّ النقطة المهمة جداً التي اتضحت خلال المؤتمر هي: أنّ العلماء لم تعد نظرتهم إلى الدين على إنّه اعتقاد العوام والبسطاء من الناس، بل أصبحوا ينظرون إلى الدين بعين مجربة في عالم الواقع كسبت واقعيتها بمقدار ما لديها من التجارب العلمية، ويمكن ملاحظة أن الكثير من العلماء وصلوا إلى التوفيق بين العلم والدين لوجود نقطتين مهمتين هما:
أولاً: أنّ الله موجود، وثانياً: أنّ العلم كالأعرج من دون الدين، وأن الدين كالأعمى من دون العلم[٢].

إنّ الأضرار الفادحة الناتجة عن تجربة الاعتماد على العلم والعقل التي حصلت في الغرب، وصلت بهم إلى طريق مسدود على المستوى النظري والعملي.

١ـ كلشني، مهدي؛ أز علم سكولار تا علم ديني: ٦٠.

٢ـ صحيفة كيهان، ١٣٧٧/٦/٥ هـ.ش.

إذن لابدّ من ذكر هذه الحقيقة، وهي: أنّ أداتي العلم والعقل غير كافيتين لهداية البشر، وأنّ دعوى الاستغناء عن الدين واستبداله بالعلم والعقل هي دعوى محكومة بالهزيمة على المستوى النظري والعملي.

اعتراف رمز الاتجاه الإلحادي في القرن العشرين، بوجود الله

إنّ أفضل ما نختتم به هذا القسم، نخصصه للتحول الفكري لقائد المنكرين لله في القرن العشرين وهوأنطوني فلوالفيلسوف الإنجليزي صاحب المنهج التحليلي، ويعدّ من أهمّ المدّعين لعدم وجود معنى للقضايا الدينية وأنّه لا معنى لقضية (الله موجود) في القرن العشرين.

إنّ كتابه[١] ترك تأثيرات كبيرة حتى أن «نينيان سمارت» البروفسور في الدراسات الدينية في جامعة لينكستر من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٩٨ ـ اعتبر أن هذا الكتاب من أكثر الكتب نفوذاً في القرن العشرين[٢].

إنّ «فلو» مع دعاواه المضادة للدين خلال هذا القرن، تراجع أخيراً عن آرائه السابقة، واعترف بوجود الله، وقد تلقت المحافل العلمية ـ وبالخصوص المحافل الفلسفية والدينية ـ هذا الخبر باهتمام بالغ، وليس ذلك بسبب إيمان «فلو» باعتباره واحداً من أكبر ملحدي العصر ـ وهوملحد أورد أهم الأدلة وجود الله خلال الخمسين سنة الماضية كما زعم البعض ـ بل كانت تلك

١-Flew, Antony and MacIntyre, Alasdair; eds., **New Essays In Philosophical Theology London**: SCM press, ١٩٥٥.

٢- See: Magee, Bryan; **Modern British philosophy**, P.١٦٧, (London: Seckker & Warburg ١٩٧١).

الأهمية بسبب إعلان «فلو» أنّ أدلة المؤمنين على وجود الله قوية جدا ومقنعة وخصوصاً برهان النظم في بيانه الجديد[١] .

وقد أوردت أسيوشيتد بريس مثل هذا التقرير بتاريخ ٩ ديسمبر ٢٠٠٤:

لقد غيّر بروفسور وفيلسوف إنكليزي ـ كان قائداً مهماً للفكر الإلحادي لأكثر من نصف قرن ـ آراءه، وهوالآن يعتقد بوجود الله على أساس شواهد وأدلة علمية، وقد بيّن هذا الأمر في شريط تلفزيوني بث يوم الخميس، أنطوني فلوالبالغ من العمر ٨١ عاماً، وبعد أن كان يؤكد أنّ الاعتقاد بالله أمر خاطئ، وصل إلى هذه النتيجة وهي: إنّه هناك خالقٌ حكيمٌ لهذا العالم، وقد ذكر هذا الكلام خلال محاورة هاتفية أجريت معه في لندن.

ويمكن أن نذكر من بين العلماء الملحدين الذين آمنوا بوجود الله:

بال ديفيس، أرنوبنزياس، فريد هويل، وروجرز بنروس[٢]، وقد اعترف بهذه الحقيقة عالم الفلك الأمريكي جون غرينستن[٣] في كتابه The Symbiotic Universe.

وقد ختم هوغ روس[٤] ـ الفيزيائي وعالم الكونيات الأمريكي ـ مقاله بهذه الجملة:

١ـ هجرت از الحاد به خداباوری، كفت وكويى جامع با ملحد بيشين انجليزى بروفسور آنتونى فلو؛ ترجمة ونقد محمد علي، عبد اللهي؛ مجلة نقد ونظر، العدد ٣٦ـ٥٣.

٢ـ Paul Davies, Arno Penzias, Fred Hoyle and Roger Penrose .

٣ـ George Greenstein .

٤ـ Hugh Ross .

إنّ هناك خالقاً متعالياً وحكيماً أوجد هذا العالم، وإنّ هناك خالقاً عظيماً وخبيراً قد خلق وصمم هذه الكرة الأرضية، هوالذي صمم خارطة الحياة.

إنّ هذه نماذج قليلة من العلماء الكثيرين الذين أقرّوا بوجود الله، بعد أن كانت لديهم آراء واعتقادات مادية سابقة، وبالنظر للمطالب المذكورة أعلاه فإنّه يمكن القول: إنّ الانتشار المتزايد للاتجاه الديني في الغرب ـ أعم من عامة الناس أوالعلماء الذين طووا المرحلة الإلحادية والاتجاه العلمي ـ وبداية سقوط المادية المحضة أيضاً، هي شاهد على نقص وعجز الاتجاه العلمي وأصالة العقل. إضافة إلى ذلك، فإنّ العالم المعاصر يشهد تياراً إسلامياً وإقبالاً متزايداً على الإسلام لمختلف طبقات الشعوب في الدول الغربية، ونموالقدرة العالمية والاجتماعية للمسلمين.

إنّ بعض أسباب التوجّه نحو الإسلام والإقبال عليه كما ذكر أحد معتنقي الإسلام حديثاً، هو:

انتشار المفاسد الأخلاقية، والشذوذ الجنسي، والمشاكل الأسرية، وحادثة الحادي عشر من سبتمبر، وشخصية الإمام الخميني (رض) وعمق وتعادل ومنطقية الإسلام ورسالته العادلة والسلمية.

١ ـ ٥.انتشار الإسلام في الغرب

إنّ العالم المعاصر يشهد موجة من التديّن والإقبال المتزايد على الإسلام بين الطبقات المختلفة من الناس في الدول الغربية، ونموالإقتدار العالمي والاجتماعي للمسلمين، ونشير هنا إلى بعض الشواهد في هذا المجال.

الاعتراف بالازدهار السياسي للإسلام

إنّ انتشار الدين والازدهار السياسي والاجتماعي للإسلام في العالم المعاصر، هوشاهد آخر على عجز الاتجاه العلمي الإفراطي، لوكان الاتجاه العلمي الإفراطي هوالحل لكل مشاكل الإنسان، لما شهدنا ازدياد أجواء التديّن، بل كان من المفروض أن يتراجع، بينما نحن اليوم نرى اعتراف الأعداء أيضاً بالازدهار العلمي للإسلام.

إنّ جريدة سدني مورنينغ واسعة الانتشار، تكتب ضمن تقرير لها عن الإسلام في عدد من أعدادها(في عام ١٩٨٥):

> إنّ الإسلام يعبر حدوده الجغرافية، فهويتقدم تاركاً وراءه المدارس السياسية والنظم القومية، وإنّ مختلف الدول تشهد تحركاً سياسياً ونمواً مطرداً للإسلام[١].

ويعترف وزير الخارجية الألماني الأسبق «كلاوس كينكل»، في مقال له:

> بأنّ نفوذ الإسلام يزداد يوماً بعد يوم، وإنّ المسلمين يشكلون إلى الآن أكثرية السكان في ٤٥ دولة في العالم.

ويضيف:

> في حين أنّ المسلمين كانوا يشكلون قبل ما يقارب الثلاثين سنة ما يعادل ١٧ بالمائة من سكان العالم، قد وصلوا اليوم إلى ما يعادل ربع سكان العالم[٢].

١ـ مجلة أميد إنقلاب، العدد٢٢٢.

٢ـ صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٧٧/١١/٣٠ هـ.ش، نقلاً عن وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية، مقالة (إسلام همسايه)، صحيفةفرانكفورتر الغمانية الألمانية.

وبحسب ما ذكر روجيه دوباسكيه:

بصورة عامة إنّه غير قابل للإنكار اليوم، أنّ الإسلام ينتشر يوماً بعد يوم، بينما الأديان الكبرى الأخرى في حال تراجع، أو على أقل إنّها في حال الدفاع عن نفسها في مقابل الموانع والحواجز التي تحول دونها، وهي تسعى لأن تقاوم وأن تحافظ على مكانتها[١].

القرآن أكثر الكتب مبيعاً في الغرب

إنّ بعض التقارير تشير إلى حركة الانتشار المتزايد لبيع القرآن في الغرب، إن الدكتور محمد لنغهاوزن، أستاذ جامعات أمريكا الذي اعتنق الإسلام قبل عدة سنوات، وله حضور في المحافل العلمية في إيران، وكل سنة يذهب إلى أمريكا في أشهر الصيف، أكد في مؤتمر(بحث ظاهرة الإقبال والتوجه إلى الإسلام في أمريكا) إنّه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصبح القرآن أكثر الكتب مبيعاً في الغرب، وأشار إلى تغيير رؤية الكثير من الأمريكيين والأوربيين بشأن أصالة الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر، وذكر أنّه:

بعد هذه الحادثة، ازدادت المواجهة الإعلامية ضد الإسلام بشدة في الغرب، وكان هذا الأمر سبباً لإقبال الكثير من الشباب المسيحيين نحوالإسلام[٢].

١ـ دوباسكيه، روجيه؛ سركذشت إسلام وسرنوشت إنسان، ترجمة كسمائي: ١٢.

٢ـ برتو، الإثنين ١٧ آذر ١٣٨٣ هـ.ش.

وتؤيد كلمة أستاذ جامعة كولغيت في أمريكا أيضاً الانتشار الذي لا سابق له للإسلام اليوم وأنّه يعتبر ثاني دين كبير في الغرب[١].

قراءة القرآن في مراسم الإتحاد الأوربي

إنّ المسلمين في أوربا وصلوا إلى الموقع الذي يقرأ فيه رئيس المركز الإسلامى في إيرلندا بعضاً من الآيات القرآنية المرتبطة بالعدالة والحرية والمساواة بين البشر دون التوجه للعنصر أواللون والدين، وذلك في مراسم رسمية للاتحاد الأوربي في إيرلندا.

قال رئيس المركز الإسلامي في إيرلندا السيد حلاوة، في معرض جوابه عن سبب اختياره هذه الآيات الكريمة:

«نحن نريد أن نعلن رسالتنا بصوت عالٍ حتى تصل إلى الجميع، ونقول: إنّ رسالة الله هي دعوة لتحكيم القيم الإنسانية مثل العدالة والتعاون بين الناس، على الرغم من وجود الإختلافات بين بعضنا والآخر في الاعتقادات الدينية»[٢].

رأي «هنتغتون»

إنّ الإسلام أخذ مثل هذه الموقعية في العالم بحيث أن صاحب نظرية صراع الحضارات صاموئيل هنتغتون طلب من العالم الغربي أن يعترف رسمياً

١ـ صحيفة رسالت، ١٣٨٢/١٠/٢٤ هـ.ش.

٢ـ موقع «بازتاب» الخبري الإلكتروني، ١٣٨٣/٢/١٤ هـ.ش ، ١١:٤٧:٢٥.

بالحضارات الكبيرة مثل حضارة العالم العربي والإسلامي التي تطورت دون أن تستعير القيم والآداب والعادات الغربية[١].

وقد اعتبر أنّ الطريق الوحيد أمام الغرب هوالاعتراف بالإسلام رسمياً[٢].

وباعتباره واضع نظرية صراع الحضارات قال: "إن القرن الواحد والعشرين هوعصر بداية الحرب مع المسلمين، وقد أضاف: إنّ النصف الأول من القرن العشرين كان عصر الحروب العالمية ولكن النصف الثاني منه كان يشكّل عصر الحروب الباردة، وذكر البروفسور في جامعة هارفارد والمستشار للعديد من الحكومات الأمريكية، أنّ أسباب هذه الظاهرة هي الازدياد المطّرد للسكان في العالم الإسلامي"[٣].

اعتراف الأسقف الأعظم

إنّ الأسقف الأعظم لكنيسة كانتربوري الإنجليزية لرد كري ضمن تصريحه الجديد بالتأمل حول الإسلام، اعترف بتنامي الإسلام ، وصرّح في العام الحالي في جامعة غرغوريان رم في كلمة له:

> إنّ الإسلام مقلق لنا كثيراً، فهودين وحضارة وثقافة تنتشر بسرعة في كل مكان في العالم، فهوحضارة لها مشاركة عظيمة في الحضارة البشرية وإلى الآن لازال للإسلام أشياء كثيرة يقدمها للعالم، إنّها حضارة لها خصوصية لا نظير لها تجذب إليها الملايين من الناس، وهوأيضاً في

١ـ بولتن، العدد ٥٧.

٢ـ خبر روز، العدد ١١٣٤.

٣ـ مجلة پرتو الأسبوعية، ١٣٨١/٦/١٨ هـ.ش.

عرض جوابه عن تصريحات صاموئيل هنتغتون، واضع النظرية الأمريكية المشهورة، يذكر في كتاب حوار الحضارات: أنّ المشكلة الأساسية للغرب ليست في مؤسسي الإسلام، بل المشكلة في الإسلام نفسه، والثقافة المختلفة التي يعتقد رجالها بأفضليتها، والهواجس التي تراودهم حول سقوط قدرتهم[1].

الاعتذار الإجباري من التصريحات المشينة ضد الإسلام

إن الحالة المتنامية للمسلمين أصبحت بالشكل الذي فقد معه الأعداء جرأتهم السابقة على النيل من الإسلام، وأصبحوا مجبرين على الاعتذار ممّا صدر عنهم سابقاً من تصريحات مشينة ضد الإسلام، وكمثال على ذلك، فإن جري «فالول» القسيس البروتستانتي والمتطرف الأمريكي ـ بعد تصريحاته التي أثارت ضجة في العالم الإسلامي، اعتذر من تصريحاته التي نالت من قدسية النبي محمدﷺ، وأعلن من خلال إصدار بيان في لنشرغ في فرجينيا:

أنا أعلن بصدق عن اعتذاري للمسلمين ممّا صدر مني من كلام موجب لجرح مشاعر الكثير من المسلمين خلال حواري مع ال سي.بي.أس والذي استغرق ستين دقيقة[2].

ونموذج آخر: اعتذار جنرال أمريكي ممّا صدر منه من إهانة للدين الإسلامي، هذا الجنرال الذي يحمل ثلاث شارات، أصبح هدفاً لانتقاد المسلمين له بسبب تصريحاته المسيئة للإسلام، أجبر على تقديم اعتذاره للإسلام.

١ـ خبرنامه، العدد ٨٤٠، ص٣٩.

٢ـ خبرنامه، العدد٧٨٣، ص٥٢؛ نقلاًعن صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٨١/٧/٢١هـ.ش.

إنّ الجنرال «وليام بويكين» مستشار معاونية استخبارات الوزارة الأمريكية ـ أطلق على حرب أمريكا الأخيرة على الإرهاب، بحرب المسيحيين ضد الشيطان، وقد صرح في معرض تصحيحه للخطأ الذي ارتكبه:

أنا أعتقد أن الإرهابيين ليسوا أتباعاً واقعيين للدين الإسلامي، بل إنّهم يستخدمون الدين ذريعة لهجماتهم، قال أيضاً: أنا أطلب العذر من جميع الذين اعتبروا تصريحاتي مسيئة لهم[1].

إقبال المثقفين الجامعيين والشخصيات الاجتماعية على الإسلام

يمكن الإشارة الى الاقبال المتزايد على الإسلام لدى النخب والمثقفين في الغرب من بين عشاق طريق الهداية ، وطبقاً لقول «روبرت مارتن غلفر»، لبروفيسور الإنجليزي واستاذ جامعة مانشستر، فإن انتشار الإسلام في العالم الغربي في حال تزايد وخصوصاً في الجامعات. وهومع الإشارة الى أن الإسلام اليوم قد تجاوز حدود منطقة الشرق الأوسط، وإنّ انتشاره في الغرب في حال تزايد يوماً بعد يوم، ذكر أيضاً: أنّ العلماء في إنجلترا بدأوا حملة واسعة لفهم الإسلام، وهذا الأمر هوالذي كان السبب لتأسيس قسم (معرفة الإسلام) في الجامعات الإنجليزية المهمة ومن ضمنها جامعة كمبردج[2].

وقال أيضاً:

١ـ خبر روز، السبت ٢٦ مهر ١٣٨٢ هـ. ش، العدد٩٥٨، نقلاً عن واشنطن، وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية، ١٣٨٢/٧/٢٦ هـ. ش.

٢ـ مجلة برتو الأسبوعية، ١٣٨٢/٩/١٠ هـ. ش.

لقد تعرف بعض العلماء الإنكليز ـ ومن ضمنهم البروفيسور «رون» ـ على بعض السياسيين والعلماء الإيرانيين، وتأثروا بأفكارهم تأثراً شديداً. وبسبب تأثر علماء الإنجليز هؤلاء بسياسة علماء الإسلام في ايران، خصص كرسيّ لأدبيات الجمهورية الإسلامية في إنجلترا[١].

إنّ بعض الشخصيات التي اعتنقت الإسلام حديثاً هي من الشخصيات الإنجليزية البارزة، ويمكن تسمية بعضهم مثل جوناثان بيرت ابن الأمير بيرت، وإيما كلارك حفيدة رئيس الوزراء السابق لإنجلترا هربرت اسكفيس.

وبحسب تقرير جريدة ساندي تايمز، فإنّ عدداً من أشهر أصحاب الأملاك في إنجلترا والشخصيات المهمة وأفراداً من العوائل الغنية قد اعتنقوا الإسلام.

ومن خلال قراءة جديدة حول يحيى بيرت (جوناثان بيرت سابقاً) ابن اللورد بيرت الرئيس السابق لشبكة بي.بي.سي ، فإننا نحصل على اول معلومات معتمدة عن اعتناق المسيحيين للدين الإسلامي، ويقول يحيى:

في البداية يجب ان تتحدث معنا الشخصيات الدينية حول الإسلام حتى نستطيع قبول الإسلام، وأيضاً يجب أن يكون هناك اشخاص يستطيعون أن يترجموا بشكل كامل اللغة الأجنبية الى لغتنا المحلية.

وفي الوقت نفسه، علمنا أنّ «إيما كلارك» الحفيدة الكبرى لرئيس الوزراء السابق لإنجلترا ـ قد اعتنقت الإسلام أيضاً.

إنّ إيما كلارك، هي حفيدة هربرت اسكفيس، الذي زجّ بإنجلترا في الحرب العالمية الاولى.

١ـ ملحق، الخميس٦/اذر/١٣٨٢ هـ.ش ـ٣ /شوال/١٤٢٤، نقلاً عن سياست روز، ١٣٨٢/٩/٣ هـ. ش.

وهناك شواهد تتحدّث عن الاقبال على الإسلام في الجهاز الحكومي لإنجلترا، وقد قدّمت ملكة إنجلترا حديثاً آلية تسمح من خلالها للموظفين المسلمين في قصر بوكينغهام بامكان أخذ الإجازة للاشتراك في صلاة الجمعة في المساجد[١].

١ ـ ٦. نماذج من الدول الغربية التي انتشر فيها الإسلام

كنّا نبيّن حتى الآن الشواهد العامّة التي تتحدث عن انتشار الإسلام في الغرب، بغضِّ النظر عن هذا البلد أوذاك، وفي هذا الباب رأينا أنّه من الأفضل أن نشير الى انتشار الإسلام في بعض الدول الغربية.

أمريكا

لقد كتبت مجلة مسلمز الاسبوعية ـ طبع امريكا ـ في عددها الجديد: " إن عدد المسلمين في امريكا يتراوح ما بين ٦ الى ٢,٧ مليون شخص تقريباً، وهذا العدد يشكّل ٢,٥ الى ٣ بالمائة من عدد سكان امريكا البالغين ٢٨٠ مليون شخص.

إنّ الأرقام المذكورة آنفاً ذكرت بحسب الأرقام الافتراضية التقريبية للمسلمين الأمريكان، وهذه الأرقام الافتراضية تظهر أنّ ٩٠ بالمائة من المسلمين الامريكان يتمركزون في ١٥ ولاية مكتظة بالسكان، منها:

١ـ موقع باستار الالكتروني الخبري، ١٣٨٣/١/١٢ هـ.ش، ١٢:٣٤:٤١؛ خبر روز، ملحق، الخميس ٢٧ فروردين ١٣٨٣ هـ.ش، نقلاً عن: صبح صادق، ١٣٨٣/١/١٧ هـ. ش؛ خبرنامه، العدد ٨٣٩، ص ٣٣.

كاليفورنيا، ونيويورك، ونيوجرسي، وميريلاند، وفرجينيا، وماساشوست، وايلينويز، وميشغن.

وبحسب الاحصائيات غير الرسمية المنتشرة في هذه المجلة الاسبوعية، فإنّ ٤٥ بالمائة من مسلمي امريكا هم تحت سن الخامسة عشرة، و١٥ بالمائة منهم بين سن السادسة عشرة الى العشرين، و٣٠ بالمائة منهم بين سن السادسة والعشرين الى الخمسين، و١٠ بالمائة منهم اعمارهم اكثر من الإحدى وخمسين سنة[١].

لقد أصبح هذا الانتشار للإسلام الذي لم يسبق له مثيل في أمريكا سبباً لاعتراف القادة السياسيين هناك؛ بحيث إنّ بل كلينتون رئيس الجمهورية السابق في أمريكا أكّد: أنّ الإسلام من بين الأديان المختلفة، لديه اوسع انتشار في امريكا، وطبقاً لتقرير وكالة الانباء الفرنسية، أوضح كلينتون في الجلسة الختامية للتجمع الإسلامي الأمريكي الثاني في الدوحة ـ عاصمة قطر ـ في بيان أنّ الأمريكيين يجب ان يتعرفوا أكثر على العقائد الإسلامية قائلاً:

> إنّ انتشار الإسلام في امريكا كان هوالاسرع بحيث بلغ عدد المسلمين في امريكا الى الآن أكثر من ستة ملايين مسلم[٢].

ومن الشواهد الأخرى على تنامي الاقبال على الإسلام في امريكا، بيع نسخ المصحف الشريف الذي لم يسبق له مثيل في امريكا، فقد أعلن رئيس مكتب المطبوعات في الناتو: «ان القران هواكثر الكتب مبيعاً في امريكا».

١ـ مجلة خبرنامه، العدد ٨٢١، ص ٤٦.

٢ـ موقع واحد مركزي خبر الالكتروني، ٢٠٠٤/١/١٣؛ خبرنامه، العدد ٨٤٢، ص ٣٦.

وطبقاً لتقرير وكالة انباء الجمهورية الإسلامية في برلين، فإنّ الناطق السابق باسم الناتوفي حرب كوسوفوفي مؤتمر «دور الإعلام في السياسة الخارجية للدول» في برلين قال:

إنّ الشعب الأمريكي متعطش للحصول على المعلومات عن العالم المحيط به، وبالخصوص حول الإسلام والمسلمين .

وأضاف جيمي شيما:

إنّ القران أكثر الكتب مبيعاً في أمريكا، وإنّ دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على الحاجة الملحّة للشعب الأمريكي إلى زيادة معلوماته العامة عن العالم المحيط به[1] .

ومع كلّ الجهود الواسعة واليومية التي يبذلها النظام الحاكم في امريكا للحد والضغط على العوامل الفعالة في مجال انتشار الإسلام، فإنّ الإقبال على الإسلام يتزايد يوماً بعد يوم.

وكمثال على ذلك أنّ وضع كتاب (مقدمة عن القرآن) ووضع وحدات دراسية حول معرفة الإسلام، وإقبال طلاب جامعة كارولينا الشمالية على هذا الدرس، كلّ ذلك لاقى انتقاداً في المحافل المختلفة في المجتمع الامريكي في البداية، ثم انجرّ الأمر أخيراً الى قطع المساعدات المالية من الحكومة الامريكية لهذه الجامعة[2].

١ـ خبرنامه، العدد ٨٠١ .

٢ـ خبرنامه، العدد ٧٧٦، ص ٥٣.

نحن نشهد اقبالاً كبيراً نحوالإسلام في سجون أمريكا، وبحسب كلام مسؤولي مجموعة سجون تكساس، فإنّ هناك أكثر من سبعة الاف سجين مسلم حالياً، وهم من الذين تعرّفوا على الإسلام بعد دخولهم السجن واعتنقوا الإسلام[1].

الجنود والضباط الامريكان في العراق

لقد أخبر أحد الباحثين المسلمين عن اشتياق الجنود الامريكان لتعلم اصول الإسلام قائلاً: إنّ عدداً ملحوظاً من العسكريين الامريكان اعتنقوا الإسلام.

وطبقاً لتقرير موقع«اسلام اونلاين» الالكتروني، فان الشيخ محمود الصميدعي، أحد أعضاء تجمع الباحثين المسلمين العراقيين ذكر أيضاً:

> إنّ الكثير من الجنود يأتون الينا للتعرف على اصول الإسلام وكيفية اعتناق الإسلام، ويقرون بأن الإسلام يختلف بشكل كامل عمّا يسمعونه في وسائل اعلام دولهم.

ويذكر هذا الباحث المسلم أيضاً مشيراً الى ذكرياته حول دعوته احد العسكريين الامريكان للاسلام، قائلاً:

> إنّني لن انسى أبداً بكاء ذلك الجندي الامريكي الذي اعتنق الإسلام حديثاً، وكان يبكي حسرة وأسفاً على أفراد اسرته الذين ماتوا وتركوا الدنيا دون ان يسلموا.

١ـ جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، تبليغ: ١١٥.

وعلى هذا الأساس، فإنّ عدداً كبيراً من الجنود والمجندات الأمريكان في العراق قالوا أيضاً:

مع مشاهدة الإسلام والمسلمين عن قرب، فقد زالت عن أذهانهم كل التصورات الخاطئة التي سمعوها من الإعلام المضلل حول الإسلام[1].

وطبقاً لتقرير وكالة أنباء فارس نقلاً عن موقع الجزيرة الخبري الإلكتروني، فإن الجنود الأمريكان يعتبرون من رواد أكبر سوق للكتاب في بغداد في شارع المتنبي، والأكثر إقبالاً على قراءة الترجمة الإنجليزية للقرآن الكريم بحيث إنّهم يقبلون على شراء القرآن الكريم بشكل كبير[2].

وإن بعض الضباط الأمريكان مع أنّهم كانوا قادة للحرب ضد المسلمين، ولكنهم خلال تواجدهم في العراق تعرفوا على الإسلام وأسلموا.

وكمثال على ذلك، فإنّه بحسب تقرير وكالة الأنباء الرسمية السعودية، إن أحد الضباط الأمريكان بعد أن تعرف على تعاليم الدين الإسلامي المبين، اعتنق الإسلام أمام محكمة الأحوال الشخصية في بغداد، وقال في هذا الإطار: «إنني اخترت الدين الإسلامي بعد بحث وتحقيق دقيق»، وفي الإطار نفسه، فإنّ الشيخ محمود الصميدعي ـ عضو هيئة العلماء المسلمين في العراق ـ أشار إلى وجود عدد ملحوظ من العسكريين الأمريكان الذين اعتنقوا الإسلام قائلاً:

١ـ خبرنامه، العدد ٨٢١، ص٤٨.

٢ـ خبر روز، ملحق، الخميس ٣ أرديبهشت ١٣٨٣ هـ.ش؛ نقلاً عن صحيفة ١٩دي، ١٣٨٣/١/٢٥ هـ. ش؛ خبرنامه، العدد ٨٣٩، ص٣٢. إن هذا الخبر قد جاء في موقع وكالة الأنباء القرآنية في إيران كذلك.

بعدما تعرف العسكريون الأمريكان على تعاليم الإسلام عن قرب، وصلوا إلى هذه الحقيقة وهي أنّ تعاليم الإسلام تختلف عمّا تذكره وسائل الإعلام الغربية، ولذلك أصبح لديهم شوق كبير للإقبال على الإسلام.[١]

مجندة أمريكية في الحرم المطهر للإمام الحسين عليه السلام

لقد تشرّفت إحدى المجندات الأمريكيات بدخول الحرم المطهر للإمام الحسين عليه السلام قبل أسبوعين آملة قضاء حوائجها، ومتأثرة بالأجواء المعنوية للمسلمين في العراق، وقد دخلت الحرم المطهر للإمام الحسين عليه السلام وهي مرتدية ملابسها المدنية وحاملة علماً أخضراً بيديها، ملقية نفسها على الضريح المطهر للإمام صارخة:"baby,baby" (طفل، طفل)، وقد أحاط زوار الحضرة الحسينية بها متعجبين من وضع هذه المجندة الأمريكية، وسألوها عن سبب حضورها وصراخها في الحضرة، فأجابتهم قائلة:

إنني خلال مدة وجودي في كربلاء ضمن القوات العسكرية الأمريكية، كنت أشاهد مرات عديدة النساء يحملن أعلاماً خضراء بأيديهن ويذهبن لزيارة هؤلاء العظماء ويعتبرنهم وسيلة للتقرب من الله تعالى، لكي يجيب الله دعواتهن ببركة أصحاب هذه القبور ويقضي حوائجهن، ولهذا فإنني حملت علماً أخضراً وجئت إلى هنا لكي أطلب من الله تعالى أن يرزقني طفلاً بعد خمس سنوات من عدم الحمل، وجاء في آخر هذا الخبر أنّ هذه الأمريكية عاهدت نفسها إنّه إذا رزقها الله طفلاً فإنّها ستسميه "حسين" وستسلم وستعلن إسلامها[٢].

١ـ خبرنامه، العدد ٨١٩، ص٢٧.

٢ـ خبرنامه، العدد ٨٣٦، ص٢٩.

أمريكا اللاتينية

قدمت وكالة الأنباء الإسلامية لايت نيوز تقريراً عن الإقبال المتزايد للناس على الإسلام في الأرجنتين وبقية دول أمريكا اللاتينية، إنّ هذا الإقبال المتزايد على الإسلام يحدث في الأرجنتين في حين إنّه لا توجد أيّ مدرسة حكومية أوخاصة إلا مدرسة واحدة تدرس أصول الإسلام واللغة العربية. وفي الوقت الحالي يبلغ عدد المسلمين في الأرجنتين مليون مسلم، وإن كانوا يعانون من نقص كبير بالنسبة للمؤسسات والجمعيات الإسلامية الفعالة، وعلى سبيل المثال فإنّ ٤٠٠ عائلة مسلمة تعيش في منطقة فوفوي الحدودية ليس لديهم حتى مسجد واحد للصلاة أوعالم دين أوكتاب حول الإسلام[١].

كندا

وإنّ الموقع الإلكتروني «مسلمز» يعتقد أنّ الإسلام أكثر الأديان انتشاراً في كندا وأمريكا، وقد أعلن هذا الموقع الخبري في تقرير له، نقلاً عن لجنة العلاقات الإسلامية في أمريكا طبقاً للأرقام الواردة عن مديرية الإحصاء في كندا: إنّه خلال السنوات من ١٩٩١م إلى ٢٠٠١ (١٣٧٠إلى ١٣٨٠ هـ. ش) ازداد عدد المسلمين في كندا بنسبة ٩ و١٢٨ بالمائة، وبحسب التقرير الوارد عن هذا الموقع الإلكتروني، فإنّه في الوقت الراهن قد ارتفع عدد المسلمين في كندا ارتفاعاً مذهلاً بحيث بلغ المسلمون ٥٧٩ ألفاً و٦٤٠ شخصاً.

١ـ خبرنامه، العدد ٨٠٦، ص٢٧.

وأضاف موقع «مسلمز» أنّه مع هذا الازدياد للمسلمين في كندا، فإنّ الإسلام أصبح أكثر الأديان انتشاراً في هذا البلد، وطبقاً لهذا التقرير، فإنّ ازدياد عدد المسلمين وصل إلى الحد الذي أصبح فيه أكثر من عدد اليهود لأول مرة في هذا البلد، في حين أنّ إحصائيات عام ١٣٧٠ هـ. ش الواردة عن مديرية الإحصاء في كندا، تشير إلى أنّ تعداد اليهود في كندا كان أكثر من تعداد المسلمين في هذا البلد بنسبة ٢٥ بالمائة[١].

إنّ إحصائية عام ٢٠٠١ في كندا تشير إلى أنّ تعداد اليهود في هذا البلد قد ازداد خلال العقد الماضي بنسبة ٣,٧ بالمائة بحيث بلغ عدد اليهود ٣٢٩ ألفاً و٩٩٥ شخصاً؛ في حين أنّ المسلمين قد ازداد تعدادهم في هذه المرحلة نفسها بنسبة ١٢٨,٩ بالمائة، ويشكل المسلمون في الوقت الراهن ٢ بالمائة من مجموع سكان كندا، هذا في حين أنّ اليهود يشكلون ١,١ بالمائة من مجموع سكان هذا البلد[٢].

وطبقاً لآخر الإحصاءات في كندا، فإنّ عدد المسلمين خلال العقد الأخير من القرن العشرين قد ازداد أكثر من ٩ بالمائة، بحيث وصل عدد المسلمين إلى ٥٧٩ ألف شخص، فأصبحت نسبة المسلمين بهذا ٢ بالمائة من مجموع سكان كندا ممّا يعني أنّ الإسلام حصل على أعلى مستوى للانتشار في كندا[٣].

١ـ ملحق، الخميس ٢٠ آذر ١٣٨٢ هـ. ش، ١٦ شوال ١٤٢٤ هـ، صبح صادق، ٩/١٠/١٣٨٢ هـ. ش.

٢ـ خبر نامه، العدد ٨٢٢، ص٢٨.

٣ـ خبرنامه، العدد ٨٢١، ص٤٢.

إنجلترا

إنّ ١٤ ألف إنجليزي اعتنقوا الإسلام، والإحصاءات تشير الآن إلى أن ١٤٢٠٠ شخص من البيض في إنجلترا قد اعتنقوا الإسلام[١].

وطبقاً للتحقيق الذي أجرته جريدة ساندي تايمز، فإنّ هناك شواهد جديدة تشير إلى أنّ الإسلام لاقى بشكل رسمي قبولاً عاماً من الجميع، وإنّ البعض منهم قد تعرّف على الإسلام من خلال أصدقائهم واعتنقوا الإسلام.

إنّ كريستيان بيكر عندما كان صديقا لشخص اسمه عمران خان، يقول: إنّه تعرّف على الإسلام عن طريق صديقه هذا، ولكنه بعد أن افترق عنه اعتنق الإسلام، ويقول: «لقد نثر عمران بذور هذا التغير عندي، ولكننا عندما افترقنا وانتهت علاقتنا، فإن الدين نفسه زودني بقوة الحركة والاستمرار»[٢].

كانت حالة الانتشار للإسلام في إنجلترا بالشكل الذي أصبحت معه العقائد الدينية لدى المسلمين أكثر رسوخاً، وحضورهم في المساجد أكثر جدية واهتماماً.

وطبقاً لتقرير ساندي تايمز:

> إنّ عدد المصلين في إنجلترا الذين يذهبون إلى الصلاة في المساجد، أصبح لأول مرة أكثر من عدد المسيحين الذين يذهبون إلى الكنيسة

١ـ موقع بازتاب الالكتروني الخبري، ١٣٨٣/١/١٢ هـ. ش، ١٢:٣٤:٤١؛ خبر روز، ملحق، الخميس ٢٧ فروردين ١٣٨٣ هـ. ش، نقلاً عن : صبح صادق، ١٣٨٣/١/١٧ هـ. ش؛ خبر نامه ٨٣٩، ص ٣٣.

٢ـ المصدر نفسه.

لأداء المراسم العبادية في كلّ يوم أحد من الأسبوع. والإحصاءات تشير إلى أنّ كلّ أسبوع يذهب ٩٣٠ ألف شخص من المسلمين إلى المسجد، في حين أنّ كل أسبوع يحضر ٩١٦ ألف شخص من المسيحيين إلى الكنيسة[١].

بريطانيا

بحسب تقرير مجلة ميل آن ساندي الأسبوعية الإنجليزية المعتبرة، فإنّ الإسلام قد أصبح ديناً رسمياً في بريطانيا[٢]، وتحذر هذه المجلة الاسبوعية من: "إنّ المسيحية جعلت الشعب البريطاني يشعر بالخيبة منها، بحيث إنّه مع استمرار الوضع الحالي فإنّه سوف تصمت نواقيس الكنيسة وأصوات جوقة الإنشاد المسيحية؛ لأنّه سوف لا يبقى هناك شوق للحضنور ضمن هذه المجاميع الدينية، ولا مستمع أومخاطَب لهذه البرامج.

ولهذا فإنّ الكنائس إما إنّها ستغلق أوستحول عملياً إلى نوادٍ خاصة لمجاميع معينة، واستمراراً لهذا التقرير تقترح الجريدة الإنجليزية اليمينية منع بناء المساجد والمراكز الإسلامية في إنجلترا، وتكتب: إنّ هناك الآن مركزاً إسلامياً كبيراً وفخماً يشارف على الانتهاء في أكسفورد التي هي من أكثر المدن المسيحية قداسة في إنجلترا وتضيف هذه الجريدة: تصوّر، لو أنّ الإنجليز فكّروا في تأسيس مركز مسيحي في قم وأصفهان والنجف، فماذا سوف يحدث للمسلمين؟"[٣].

١ـ خبر نامه ٨٤٠/ ص٣٩.

٢ـ ملحق، الخميس ٦ آذر ١٣٨٢ هـ. ش، ٣شوال ١٤٢٤ هـ

٣ـ ملحق، الخميس ٦/آذر/ ١٣٨٢ هـ. ش، ٣ شوال ١٤٢٤؛ نقلاً عن مشرق، ٨/٢٦/ ١٣٨٢ هـ. ش.

الدنمارك

بحسب تقرير راديوالدنمارك الدولي، فإنّ ما بين ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف شخص من الدنماركيين قد اعتنقوا الإسلام خلال العشر سنوات الماضية، هذا مع أنّ عدداً كبيراً من الذين اعتنقوا الإسلام لم يدرجوا في الإحصائيات[1].

وطبقاً لتقرير إحدى الصحف الدنماركية، فإنّه في كل يوم يتشرّف باعتناق الإسلام عددٌ من المواطنين الدنماركيين.
إنّ الشباب الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً يشكّلون ثلث المسلمين من الذين اعتنقوا الإسلام في هذا البلد، وفي هذا الإطار فإن عدد البنات اللواتي اعتنقن الإسلام حديثا يقع في الصدارة.[2]

ألمانيا

تقول أمينة دميوبوكن، من الحزب الديمقراطي المسيحي الألماني، مشيرة إلى نتائج أحد الإستطلاعات في هذا البلد: يوجد ثلاثة ملايين نسمة من المسلمين في ألمانيا، بحيث يعتبر المجتمع المسلم ثالث مجتمع ديني كبير في هذا البلد، وخصوصاً بعد الحادي عشر من سبتمبر، فإنّ الإسلام قد جلب انتباه وسائل الإعلام والناس في هذا البلد إليه.

١ـ خبر نامه، ٨٤٨، ص٤٥.

٢ـ جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، تبليغ: ٨٥.

إنّ انتشار الإسلام في ألمانيا بلغ الحد الذي حسّن معه صورة المسلمين عند الشعب الألماني، وتشير نتائج الاستطلاعات لمؤسسة «كن راد آدنائر» الألمانية حول نظرة الناس في هذا البلد للإسلام، إلى أنّ أكثر الألمانيين يكنّون احتراماً كبيراً لمسلمي هذا البلد، وفي هذا الاستطلاع، أكّد ثلثا الألمانيين الذين سئلوا إنّه يجب السماح للمسلمين بأداء مراسمهم الدينية بدون حدود ومضايقات.

وطبقاً لهذا التحقيق، فإنّ ٦٩ بالمائة منهم رفض أفضلية المسيحية على الإسلام، و٤٦ بالمائة منهم أيضاً مخالف لفكرة أنّ الإسلام والمسيحية يمثلان قيما ومبادئ متساوية[1].

لقد أعطى ازدياد الأقلية المسلمة في ألمانيا للمسلمين ثقة بالنفس عالية وقادهم ذلك إلى حفظ وتقوية الهوية الدينية لأبنائهم، وكمثال على ذلك، رواج ألعاب خاصة لأطفال المسلمين في الأسواق الخاصة بالمسلمين في ألمانيا والعديد من دول أوربا الأخرى، ولعبة «العروس» هي إحدى اللعب التي تلعب فيها البنات دور العروس، وتلبس اللعبة «رزان» الحجاب الإسلامي الوقور ومعها سجادة صلاة وبساط إيراني.

ويعرض أيضاً للبيع في أسواق المسلمين، لوحات بالخط العربي للآيات والأحاديث حول الفنون الإسلامية وأيضاً الكتب التعليمية والقصص والموسيقا والأقراص المضغوطة التي تتضمن الأناشيد الإسلامية المنتجة في

١ـ خبرنامه، العدد ٨١٧، ص٣٢.

ماليزيا، وتشاهد في تلك المحلّات أقراص مضغوطة حول التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية والقرآن الكريم، وتشاهد أيضاً الكتب الإسلامية والسواك والعطور... ونقش على واجهة البيوت اسم النبي الأكرم أوآية الكرسي[١].

فرنسا

بعد توجيه الإهانة لنبي الإسلام الأكرمﷺ، فإنّ ترجمة القرآن الكريم شهدت بيعاً ملحوظاً بلغ ٣٨ بالمائة، وعلى هذا الأساس فإنّه قد تمّ بيع ما يقارب ٦٠ ألف نسخة من هذه الترجمة[٢].

السويد

كتبت صحيفة متروالسويدية: مع وصول حالة التضاد بين الحكومات الرأسمالية في الغرب والإسلاميين إلى ذروتها، نجد إنّ علاقة السويديين بالإسلام في حالة ازدياد، وتنقل هذه الصحيفة عن أحد الأساتذة في تاريخ الأديان: إنّ عدد السويديين الذين اعتنقوا الإسلام في عقد الثمانينيات كان أقل من خمسين ألف شخص، ولكن اليوم ازداد هذا العدد إلى ما بين ٢ إلى ٥ آلاف مسلم وأنّ أكثر هؤلاء كان إسلامه في السنوات الأخيرة.

وأضافت صحيفة متروأنّ أغلب السويديين الذين أسلموا حديثاً تعرّفوا على الإسلام من طريق التعرّف على المسلمين المقيمين في هذا البلد والارتباط بهم، وبذلك اعتنقوا الإسلام[٣].

١ـ خبرنامه، العدد ٨٣١، ص٤٢.

٢ـ جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، تبليغ: ١١٤ـ١١٥.

٣ـ خبرنامه، العدد ٨٠١.

الهند

بحسب قول أحد المسؤولين في لجنة بنتر في تاميل نادو، إن ألف شخص من الهندوس في الهند اعتنقوا الدين الإسلامي، وطبقاً لتقرير وكالة الأنباء المركزية التي تنقل عن هذا المسؤول الهندي، إنّ هؤلاء الأفراد الذين أسلموا كانوا من عوائل ريجان ومن الطبقات الفقيرة في المجتمع الهندي، وسيعلنون اعتناقهم للدين الإسلامي بشكل رسمي في الخامس عشر من الشهر الأول للسنة الميلادية القادمة[1].

الحياة الجديدة في الدول الإسلامية

إنّ حركة التيار الإسلامي لم تشر إلى تسارع جديد بين الدول الغربية فقط، بل إنّ المسلمين في الدول الإسلامية يرغبون أيضاً بتجديد حياتهم الإسلامية بشكل متزايد يوماً بعد يوم.

وكمثال على ذلك فإن المدارس الإسلامية في تركيا واجهت إقبالاً شعبياً ملحوظاً مع بداية السنة الدراسية لعام ١٣٨٣هجري شمسي، بحيث ازداد تسجيل الطلاب في هذه المدارس بنسبة ٧٠ بالمائة، إنّ رئيس اتحاد المدارس الإسلامية في تركيا أعلن عن تسجيل أسماء ٣٥ ألف طالب في هذه السنة الدراسية في مدارسهم الإسلامية في هذا البلد.

وطبقاً لوكالة الأنباء الفرنسية، فإن هذا الاقبال بدأ بعد فترة من الركود، لأنّ الجيش التركي العلماني في عام ١٩٩٧ أقال أول حكومة إسلامية في هذا البلد بقيادة أربكان رئيس وزراء تركيا في ذلك الوقت[2].

١ـ جريدة يالثارات الحسين الأسبوعية، ١٠/٣/ ١٣٨٢ هـ. ش.

٢ـ خبرنامه، العدد ٨٣٥، ص ٣٠.

وتشاهد أيضاً حركات مشابهة للتيار الإسلامي في لبنان وسوريا ومصر والسعودية.

١ ـ ٧.أسباب الإقبال على الإسلام من لسان معتنقي الإسلام حديثاً

دور شخصية الإمام الخميني قدس سره

إنّ البعض من معتنقي الإسلام حديثاً قد اختار الدين الإسلامي تأثّراً بالإمام الخميني(رض).

إنّ ديه غورد درد، شاب مسلم أمريكي، قال مبيّناً أحد أسباب اختياره دينه الجديد:"إن قراءة كتاب للإمام الخميني(رض)كانت السبب في أن أختار الإسلام وأعتبره ديني الذي أدين به." وقد اختار لنفسه اسم علي أكبر، وقد اعتنق الإسلام بعد خمسة أشهر من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، يبلغ علي أكبر من العمر ٢٣ سنة، وهوطالب جامعي في قسم الفنون الحرة في جامعة سوني نيويورك، واختار علي أكبر المذهب الشيعي[١] .

انتشار المفاسد الأخلاقية والشذوذ الجنسي والمشاكل العائلية

إنّ الشاب ديه غورد درد المعتنق للإسلام حديثاً والذي ذكرناه سابقاً، يعتبر أن دافعه الآخر لاعتناقه الإسلام هوالحياة المتحللة أخلاقياً في أمريكا والشذوذ الجنسي، والمشاكل العائلية الناتجة عن النظام الإعتقادي الفاسد هناك، وبحسب قوله،"في أمريكا الهيمنة للحياة اللادينية غير القادرة على حل مشكلات المجتمع، إنّ هذه الحياة تعاني من التحلل الأخلاقي والشذوذ

١ـ خبر روز، ملحق، الخميس١٦ بهمن١٣٨٢هـ.ش؛ نقلاً عن اعتماد، ١٢/١٨/ ١٣٨٢ هـ. ش.

الجنسي، والعوائل لديها مشاكل كثيرة مع هذا النظام الاعتقادي، وأنا لم أكن قادراً على الانسجام مع هذا النوع من النظام الاعتقادي"[1].

إنّ مجلة «ميل آن ساندي» الأسبوعية حذّرت في أحدث عدد لها، في مقال بقلم أحد المحررين فيها ومن خلال طرح هذا السؤال وهو:

هل من الممكن في يوم ما أن يصبح الإسلام الدين الرسمي في بريطانيا؟

نعم، في حال استمرار الوضع الحالي المتحلل من الناحية الثقافية والاجتماعية والدينية في إنجلترا، يجب علينا أن ننتظر مثل هذا اليوم.

ويشير الكاتب مؤكّداً على التغيير المحسوس في تركيبة المجتمع المسلم في إنجلترا، واشتياق الكثير من الناس في هذا البلد إلى تعلم القرآن والحضور في المساجد:

إنّ حركة الإقبال على الإسلام تسارعت بشدة، خصوصاً مع غرق المجتمع البريطاني في وحل المشاكل الجنسية والكحول وحالة التفكك الأسري واستعمال المخدرات بشكل واسع ومذهل.

وتحذّر «ميل آن ساندي»:

مع الالتفات إلى أنّ استعمال الكحول أصبح عادياً بين الشباب، وابتلاء الجميع باستعمال الأقراص المخدرة، وانتشار الكوكايين، واتساع ثقافة الغوغاء والأوباش، واعتبار حمل البنات وإنجابهن بعمر الثاني عشر أمراً عادياً، إنّ كل هذا سيستفيد منه الإسلام لتوظيفه لمصلحته في الحاضر والمستقبل[2].

١ـ المصدر نفسه.

٢ـ شرق، ١٣٨٣/٨/٢٦ هـ. ش.

وفي أوّل تحقيق جدي حول موضوع اعتناق شخصيات إنكليزية للإسلام، في صحيفة «ساندي تايمز»، التي أنجزته في ٢٢ فبراير، تبيّن أنّ سبب اعتناق عدد كبير من أصحاب الأملاك الإنكليز والشخصيات المهمة وبعض الأفراد من العوائل الغنية للإسلام، كان هوالملل واليأس الذي يعانونه منن القيم الغربية[١].

حادثة الحادي عشر من سبتمبر

إنّ أحد أسباب ازدياد عدد المسلمين في العالم وبالخصوص في أمريكا كان حادثة الحادي عشر من سبتمبر، إنّ هذا الحدث أصبح سبباً في توجّه كثير من الناس في العالم الغربي للإسلام وسعيهم لمعرفته، هذه المعرفة قربتهم من الحقيقة، وأيقظت فطرتهم النائمة وحملتهم إلى حضن الإسلام.

يقول الدكتور احمد حنيف، المسلم الأمريكي، في هذا الإطار:

> **كانت الإستراتيجية الأمريكية بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر هي تضعيف المسلمين في العالم، ولكن عمل أمريكا هذا كان السبب في تعرف شعبهم أكثر على الإسلام.**

وأضاف ضمن كلمة ألقاها في جامعة آزاد في تبريز:

> **بعد هذه الحادثة، طرح القرآن الكريم باعتباره أحد أكثر الكتب مبيعاً في أمريكا، واعتنق الإسلام أشخاصٌ كثيرون.**

وبحسب قوله:

١ـ موقع بازتاب الالكتروني الخبري، ١٣٨٣/١/١٢ هـ. ش، ١٢:٣٤:٤١؛ خبر روز، ملحق، الخميس ٢٧ فروردين ١٣٨٣ هـ. ش، نقلاً عن: صبح صادق، ١٣٨٣/١/١٧ هـ. ش؛ خبر نامه، العدد ٨٣٩، ص ٣٣.

إن أكثر انتشار للإسلام هوفي مكانين في العالم، يعني بذلك: أمريكا وأفريقيا، وكلا المكانين تعتبر المواجهة فيهما ضد الإسلام قوية[١].

عمق وتعادل ومنطقية الإسلام

يقول يحيى برت(جوناثان برت سابقاً)، ابن اللورد برت الرئيس السابق لشبكة بي بي سي:

"إنّ الصور التي تعكسها الحركات السياسية الإسلامية عن الإسلام لم تكن صورة ناصعة وجذابة عن الإسلام، ولكنّ الأمر الذي دفعني لاعتناق الإسلام هوالعمق والتعادل والمنطقية الموجودة في هذا الدين وفي طريقة حياة المسلمين[٢].

رسالة السلام والعدالة في الإسلام

إنّ خمسة وأربعين سائحاً يابانياً قدموا إلى الجمهورية الإسلامية في إيران للسياحة والتعرّف على ثقافة وحضارة إيران والإسلام، وقد تشرّفوا باعتناق الدين الإسلامي المبين وتشهّدوا الشهادتين خلال لقائهم مع رئيس منظمة الثقافة والروابط الإسلامية.

إنّ هؤلاء السياح هم أعضاء في جماعة تسمى «أوموتو» جعلت هدفها السلم والعدالة العالمية، وطبقاً لتقرير قسم العلاقات العامة في منظمة الثقافة

١ـ خبرنامه، العدد ٨١٢، ص٥٥.

٢ـموقع بازتاب الالكتروني الخبري، ١٣٨٣/١/١٢ هـ. ش، ١٢:٣٤:٤١؛ خبر روز، ملحق، الخميس٢٧ فروردين ١٣٨٣ هـ. ش، نقلاً عن: صبح صادق،١٣٨٣/١/١٧ هـ. ش ؛ خبر نامه ٨٣٩ ص ٣٣.

والروابط الإسلامية، فإنّ هذه الجماعة قد تعرّفت على الإسلام من خلال رسالة السلام والعدالة في الإسلام، مما دفعهم إلى اعتناق الإسلام[١] .

منشأ الراحة النفسية والبدنية للفرد ونشاط وحياة المجتمع

إنّ بعض آراء المواطنين الإسبان الذين تحولوا من الدين المسيحي إلى الإسلام، ترجمت من اللغة الإسبانية إلى اللغة الفرنسية، ونشرت في كتاب مستقل بعنوان«اعتناق الإسلام في إشبيلة اليوم» .

وقد قدّم للكتاب أستاذ الاستشراق الفرنسي «ميكائيل ده أبالنا»، وبحث في المقدمة طرق التحوّل من المسيحية إلى الإسلام في المجتمع الإسباني من القرن الخامس حتى العصر الراهن، ومن ضمن الموضوعات المذكورة في هذا الكتاب ، المواطنة الإسبانية التي اعتنقت الإسلام حديثاً، فهي تذكر إنّها تركت المسيحية(المحرّفة)؛ لأنّ هذا الدين دين الألم، يحمل معه عقدة الألم والدم، ودين أغفل البدن والحياة المادية، أمّا في الإسلام فإنّ الإنسان قد تحرّر من الرب الذي عرفته المسيحية، وارتبط بالله وبالقوة التي تهب لحياته معنى وسعة، وتعتبر الانشراح الروحي والمادي مسموحاً بهما كلايهما، وفي نفس الوقت، ففي تعاليم الإسلام تتوفر أسباب وجود المجتمع الحي المفعم بالنشاط والحيوية[٢].

١ـ خبرنامه، العدد ٧٨٦، ص٤٧، نقلاً عن روزنامه قدس، ١٣٨١/٨/١٥ هـ. ش.

٢ـ پرتوسخن، العدد٢٢٦، ص٦.

دين الحياة وإجاباته عن جميع الأسئلة

إنّ السيدة ياسمينة، المواطنة الإسبانية التي اعتنقت الإسلام حديثاً تاركة دين المسيحية، تقول عن سبب تحوّلها الفكري: أنني وجدت في الإسلام جميع الأجوبة عن أسئلتي، وإنّ هذا الدين يرسم لي الطريق العملي للحياة. وهي بعد اعتناقها للدين الإسلامي، ترى نفسها شخصياً ملتزمة بشكل كامل أمام الله، وهذا الإلتزام يفرض القبول بارتداء الحجاب الشرعي، وعلى أساس قناعتي وإرادتي الحرة[1].

الخلاصة

١ ـ إنّ ضرورة الدين المطروحة في بحثنا، هي ضرورة منشؤها أعم من الحاجة الدنيوية والأخروية، ولها نتائج نفسية وفكرية وفردية واجتماعية.

٢ ـ إن الباحثين الغربيين يوصون بالرجوع إلى الدين، ويبيّنون ذلك غالباً من خلال رؤية علم الاجتماع وعلم النفس. ويعدّون الرجوع إلى الدين ضرورياً للفوائد المهمة التي يحصل عليها الإنسان من التزامه بالدين. وعلماء الإسلام غالباً ما يثبتون ضرورة الدين اعتماداً على الفوائد المعرفية له، ويعتبرون أن الدين مكمل للنواقص المعرفية للناس، وإن كانوا يذكرون أيضاً الفوائد غير المعرفية للدين.

١ـ پرتوسخن، العدد٢٢٦، ص٦.

٣ ـ إنّ ضرورة الرجوع إلى الدين المطروحة في بحثنا هذا، لها ارتباط وثيق بـ "ضرورة بعثة الأنبياء" التي يتكلّم عنها العلماء المسلمون؛ لأنّ أهم دليل على ضرورة البعثة الذي جاء في براهينهم هووجود نوع من النقص في الأدوات المعرفية للإنسان، يستتبع ضرورة الرجوع لأدوات أكمل، ولذلك، فإنّ الحاجة للوحي وضرورته هي فرض مقدّم على ضرورة البعثة.

٤ ـ إنّ المتكلمين الشيعة والمعتزلة ـ خلافاً للأشاعرة ـ يعتمدون على قاعدة الحسن والقبح العقليين، وقاعدة اللطف في إثبات ضرورة إرسال الوحي، والعرفاء يعدّون الوحي ضرورياً لإداة لازمة لمعرفة الله وللسير والسلوك إليه تعالى.

٥ ـ إنّ أحد الأدلة التي طرحت لضرورة بعثة الأنبياء يعرف بدليل الحكماء، وهذا الدليل يعتمد على كون الإنسان اجتماعيّاً بالطبع، وحاجة المجتمع للقانون، وعدم قدرة الإنسان على وضع وإجراء القوانين، وقد طرح هذا الدليل علماء وفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا والعلامة الطباطبائي.

٦ ـ وجود شواهد في كلام الحكماء تتحدث عن ضرورة إبلاغ الوحي، وذلك لحاجة أشمل من الأمور الدنيوية والقوانين الاجتماعية، فهم يبحثون عن القوانين التي تستطيع هداية الإنسان إلى كماله النوعي وسعادته في الدنيا والآخرة.

٧ ـ إنّ بعض المفكرين بيّنوا ضرورة إرسال الوحي على أساس حاجة البشر لفهم طريق الكمال.

٨ ـ إنّ البرهانين الأخيرين لا يستطيعان إثبات ضرورة نزول آيات القرآن الإرشادية، بل يثبتان ضرورة الوحي في موارد محدودة يعجز العقل البشري عن إدراكه. إضافة إلى ذلك، فإنّ مركز ثقل البرهانين يعتمد على نقص أدوات المعرفة الإنسانية بالنسبة لطريق الكمال؛ في حين إنّه يمكن القول إن ما يجعل إرسال الوحي ضرورياً ـ إضافة إلى الجانب المعرفي ـ هوقيادة الإنسان وتحريكه عملياً نحوطريق الهداية.

٩ ـ ولإكمال هذا البرهان يجب التأكيد ـ إضافة إلى النقص المعرفي للإنسان ـ على النقص النفسي والروحي للإنسان، وكونه يتمتع بميول متضادة، ولذلك فإنّ هدف نزول الوحي هوتحريك الإنسان نحوطريق الكمال.

١٠ ـ هناك دليلان آخران يوضّحان وجوب الرجوع إلى الوحي، وهما:الضرورة العقلية على دفع الضرر المحتمل، والضرورة العقلية على التسليم للقضايا الحقة والصادقة.

١١ ـ يؤكّد البعض، ومنهم الدكتور سروش على دعوى الاكتفاء بالتطورات العلمية والنموالعقلي للإنسان، واعتبر ذلك دليلاً على الاستغناء عن الوحي.

وفي مقام الجواب، تمّ تبيين عشر محدوديات للعلوم التجريبية وأربع عشرة محدودية للعقل الفردي، وذكرت بعض مشاكل العقل الجمعي بالنسبة لهداية البشرية.

١٢ ـ اعتمد سروش لإثبات دعواه على ثلاثة أدلة أخرى وهي: نجاح الأنبياء، وضع معيار خاص للاستغناء عن الدين، والاستشهاد بالآيات والروايات؛ في حين إنّه لا يمكن قبول أيّاً منها.

١٣ ـ تتضح نواقص العلم والعقل بالنسبة لطريق الهداية، بالنظر إلى بعض نتائج الاتجاه العلمي الإفراطي والاتجاه العقلي المادي في الغرب فإنّ الاعتماد على هاتين الأداتين قد خلّف آثاراً مخربة في المجتمعات الحالية ممّا دعا الباحثين إلى طلب مراجعة الفكر المادي المهيمن على الغرب، وإنّ نتيجة هذه المراجعة قد واجهت طريقاً مسدوداً من الناحية النظرية، وواجهت أزمة من الناحية العملية، وإنّ العالم المعاصر واجه طريقاً مسدوداً أمام العلم والعقل المادي الصرف في جانب النظرية، قد جرّب ولمس العالم المعاصر المشكلات الاجتماعية الكثيرة الناشئة عن هذه الرؤية من الناحية العملية.

١٤ ـ إنّ بعض النتائج الوخيمة المترتبة على الاكتفاء بالعلم والعقل، والتي جرّبها الإنسان المعاصر هي عبارة عن: اللاهدفية، الاضطرار والإحساس بالوحدة، الفتور والخمول الروحي والمعنوي، الإحساس بالفراغ المعنوي والأخلاقي، تحوّل الإنسان إلى آلة، زيادة الجرائم والفسق، والعجز عن حلّ المشكلات المستعصية للإنسان المعاصر.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر الفارسية والعربية

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة.

٣ ـ آون،اج.بي.ديدكاهها درباره خدا،ترجمةحميد بخشنده؛ قم: انتشارات اشراق، ١٣٨٠ش.

٤ ـ ابن خلدون،مقدمةابن خلدون؛ بيروت، دار القلم: ١٩٧٨م.

٥ ـ ابن سينا،الاشارات والتنبيهات، مع تعليقة خواجه نصير الدين والفخر الرازي، طهران: دفتر نشر كتاب، ١٣٦٢هـ. ش.

٦ ـ ــــ، إلهيات الشفاء؛ قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي،١٤٠٥ هـ. ق.

٧ ـ آملي، سيد حيدر، جامع الأسرار ومنبع الأنوار؛ [بلا مكان]، شركت انتشارات علمي فرهنكي وانجمن ايران شناسي فرانسه،١٣٦٨ هـ. ش.

٨ ـ امين،أحمد، التكامل في الإسلام؛ [بلا مكان]، [بلا اسم]، [بلا تاريخ].

٩ ـ باربور، ايان،علم ودين؛ ترجمة بهاء الدين خرمشاهي، طهران:نشر دانشكاهى، ١٣٦٢ هـ. ش.

١٠ ـ بست من، نيل، تكنوپولي، تسليم فرهنك به تكنولوجي، ترجمة صادق طباطبائي، طهران: اطلاعات،١٣٧٥هـ. ش.

١١ ـ تافلر، ألوين؛ موج سوم؛ ترجمة شهيندخت خوارزمي، طهران: [بلا اسم]،١٣٧١هـ. ش.

١٢ ـ توسلي،حسين، مبناي عدالت در نظرية جان رالز؛ نقد ونظر، العدد.١٠

١٣ ـ توكلي، غلامحسين، (مترجم)؛ **نيچه يا ارسطو؟ در كفت وكو با السدر مك اينتاير؛ نقد ونظر**؛ العدد.١٠

١٤ ـ جوادي آملي، عبد الله؛ **شريعت در آيينه معرفت**؛ طهران: نشر فرهنكي رجا، ١٣٧٢ هـ. ش.

١٥ ـ چالمرز، آلن اف؛ **جيستي علم**؛ ترجمة سعيد زيبا كلام؛ طهران: شركت انتشارات علمي فرهنكي، ١٣٧٤ هـ. ش.

١٦ ـ حاجتي، مير احمد رضا؛ **عصر امام خميني**؛ قم: بوستان كتاب، ١٣٨١هـ. ش.

١٧ ـ حسن زاده آملي، حسن؛ **دروس معرفت نفس**؛ قم، الف ـ لام ـ ميم، ١٣٧١ هـ. ش.

١٨ ـ ــــــ، **عيون مسائل النفس**؛ طهران: امير كبير،١٣٧١ هـ. ش.

١٩ ـ حسن زادة؛ صادق، **اسوه عارفان**؛ قم: مؤمنين،١٣٧٨ هـ. ش.

٢٠ ـ حسن زادة، محمد؛ **معرفت شناسى**؛ قم: مؤسسة آموزشي وپژوهشي امام خميني،١٣٨٠ هـ. ش.

٢١ ـ خرمشاهي، بهاءالدين؛ **نظري اجمالي وانتقادي به پوزيتيويسم منطقى**؛ طهران: شركت انتشارات علمي وفرهنكي، ١٣٦١هـ. ش.

٢٢ ـ خليلي، مصطفى؛ **انديشههاي كلامي علامة طباطبايي**؛ قم: دفتر تنظيم ونشر آثار علامة طباطبائي،١٣٨٢ش.

٢٣ ـ خميني، روح الله؛ **صحيفه نور**؛ طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٧٠هـ. ش.

٢٤ ـ سيد أحمد فهري؛ **مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية**؛ طهران: انتشارات پيام آزادي، ١٣٦٠ هـ. ش.

٢٥ ـ دوباسكيه، روژيه؛ **سرگذشت اسلام،سرنوشت انسان**؛ ترجمة علي أكبر كسمائي، طهران: فرجام، ١٣٧٤ هـ. ش.

٢٦ ـ رجبي، محمود؛ **انسان شناسي، مجموعه كتب آموزش از راه دور**؛ قم: مؤسسة آموزشي پژوهشي امام خميني، ١٣٨٠ هـ. ش.

٢٧ ـ رووير، هـ؛ **حيات وهدفداري**؛ ترجمة عباس شيباني، طهران: شركت سهامي انتشار، ١٣٥٩ هـ.ش.

٢٨ ـ ساجدي ابوالفضل؛ **چالش يا سازش، نقدي بر آراي دكتر سروش در خارج كشور**؛ قم: يمين، ١٣٨٠ هـ. ش.

٢٩ ـ السبحاني، جعفر؛ **الالهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل**؛ مؤسسة الامام الصادق، ١٤١٧هـ. ق.

٣٠ ـ ــــــ، **محاضرات في الالهيات**؛ تلخيص علي رباني كلبايكاني؛ مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦هـ. ق.

٣١ ـ السبحاني، محمد تقي؛ **رسالة في التقبيح والتحسين العقليين**؛ [بلا مكان]، مؤسسة الإمام الصادق، [بلا تاريخ].

٣٢ ـ سروش، عبد الكريم؛ **شريط صوتي لندوة خطابية مع الأسئلة والأجوبة ١٣٧٦/١٢/٢٥هـ. ش؛ في مسجد فاطمة عليها السلام في مدينة مونتريال بكندا.**

٣٣ ـ سعد، فاروق؛ **مع الفارابي والمدن الفاضلة**؛ بيروت: دار الشرق، ١٤٠٢ق.

٣٤ ـ السهروردي، شهاب الدين يحيى؛ **مجموعة مصنفات شيخ اشراق**؛ تصحيح ومقدمة هنري كوربن؛ طهران: انجمن فلسفة ايران، ١٣٦٩ هـ.ش.

٣٥ ـ الشيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم؛ **الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الأربعة**؛ طهران: وزارت فرهنك وارشاد اسلامي، ١٣٧٤ هـ.ش.

٣٦ ـ ــــــ، **الشواهد الربوبية**؛ تصحيح: سيد جلال الدين آشتياني؛ طهران: سروش، ١٣٦٦ هـ.ش.

٣٧ ـ ــــــ، **شرح اصول الكافي**؛ طهران: موسسة تحقيقاتي فرهنكي، ١٣٦٦ هـ.ش.

٣٨ ـ الطباطبائي، محمد حسين؛ **الميزان في تفسير القرآن**؛ قم: جامعة مدرسين حوزة علمية قم؛ دفتر انتشارات اسلامي، ١٣٦٠ هـ. ش.

٣٩ ـ ــــــ، **اصول فلسفة وروش رئاليسم**؛ قم: دفتر انتشارات اسلامي، [بلا تاريخ].

٤٠ ـ ــــــ، **شيعة در اسلام**؛ [بلا مكان]، الغدير، ١٣٤٦ هـ. ش.

٤١ ـ الطوسي، خواجه نصير الدين محمد؛ **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**؛ شرح العلامة الحلي، ترجمة ابوالحسن شعراني، قم: منشورات شكوري، ١٤٠٩هـ. ق.

٤٢ ـ ــــــ، **اخلاق ناصري**؛ طهران: انتشارات علمية اسلامية، [بلا تاريخ].

٤٣ ـ العكبري البغدادي، محمد بن النعمان؛ **مصنفات الشيخ المفيد**، [بلا مكان]، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ. ق.

٤٤ ـ الغزالي، محمد بن محمد؛ **إحياء علوم الدين**؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.

٤٥ ـ الفارابي، محمد بن محمد؛ **انديشه‌هاي اهل مدينة فاضلة**؛ ترجمة: دكتور سيد جعفر سجادي؛ طهران: طهوري، ١٣٦١ هـ. ش.

٤٦ ـ ـــــ، **سياست مدنية**؛ ترجمه وشرح حسن ملكشاهي؛ طهران: سروش، ١٣٧٦ هـ. ش.

٤٧ ـ فروم، اريك؛ **انسان براي‌خويشتن**؛ ترجمة: اكبر تبريزي، تبريز: بهجت، ١٣٧٠ هـ. ش.

٤٨ ـ الفيض الكاشاني، المولى محسن؛ **علم اليقين في اصول الدين**؛ [بلا مكان]، بيدار ١٣٥٧ هـ. ش.

٤٩ ـ قاسملو، يعقوب؛ **طبيب عاشقان**؛ قم: نسيم حيات، ١٣٧٩ هـ. ش.

٥٠ ـ كاظمي، سيد على اصغر؛ **بحران جامعة مدرن**؛ طهران: دفتر نشر فرهنك اسلامي، ١٣٥٧ هـ. ش.

٥١ ـ كالمبو، فوريور؛ **خدا در امريكا**؛ ترجمة: محمد بقايي؛ طهران: حكمت، ١٣٧١ هـ. ش.

٥٢ ـ كسمايي، على‌اكبر؛ **جهان‌امروز وفردا**؛ طهران: اطلاعات، ١٣٧٤هـ. ش.

٥٣ ـ الكليني الرازي، محمد بن يعقوب؛ **الكافي**؛ طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧ هـ.ش.

٥٤ ـ كلشني، مهدي؛ **فيزيك دانان غربي ومسألة خدا باوري قبسات**؛ بهار ١٣٧٦ هـ. ش.

٥٥ ـ ـــــ، **از علم سكولار تا علم ديني**؛ طهران: بجوهشكاه علوم انساني ومطالعات فرهنكي، ١٣٧٧ هـ. ش.

٥٦ ـ لاهيجي، عبد الرزاق، **كزيده كوهر مراد**، باهتمام صمد موحد؛ طهران: كاتبخانه طهوري، ١٣٦٤ هـ.ش.

٥٧ ـ مصباح يزدي، محمد تقي؛ **راهنماشناسي**؛ قم: مؤسسة آموزشي وبجوهشي امام خميني، ١٣٦٧ هـ.ش.

٥٨ ـ ـــــ، **آموزش عقائد**؛ طهران: سازمان تبليغات اسلامي، ١٣٧٠ هـ.ش.

٥٩ ـ ـــــ، **راه وراهنماشناسي**؛ قم: مؤسسة آموزشي وبجوهشي امام خميني، ١٣٨٣ هـ. ش.

٦٠ ـ ـــــ، **قلمرودين**؛ بايكاه اطلاع رساني انديشة، قم.

٦١ ـ مصباح، مجتبي؛ **بنياد أخلاق**؛ قم: مؤسسة آموزشي وبجوهشي امام خميني، ١٣٨٢هـ.ش.

٦٢ ـ مطهري، مرتضى؛ **مجموعة آثار**؛ قم: صدرا، [بلا تاريخ].

٦٣ ـ ـــــ، **مقدمهاي بر جهان بيني اسلامي**؛ قم: صدرا، ١٣٥٧هـ.ش.

٦٤ ـ موريسن، كرسي؛ **راز آفزينش انسان**؛ ترجمة: محمد سعيدي، طهران: محمدي، ١٣٦٥ هـ.ش.

٦٥ ـ مهري، حسين، **صداي باي دگرگوني**؛ طهران: امير كبير، ١٣٥٧ هـ.ش.

٦٦ ـ نازيك، رابرت؛ **عدالت واستحقاق**؛ مصطفى ملكيان، نقد ونظر: العدد. ١٠

٦٧ ـ نصري، عبد الله؛ **فلسفة خلقت انسان**؛ طهران: كانون انديشة جوان، ١٣٧٨ هـ.ش.

٦٨ ـ نيكلاس؛ **فرهنك جامعة شناسي**؛ حسن بويان، طهران: جابخش، ١٣٦٧هـ. ش.

٦٩ ـ واعظي، احمد؛ **انسان از ديدگاه اسلام**؛ طهران: سمت، ١٣٧٧ هـ.ش.

٧٠ ـ ويلهم، جان بل؛ **جامعه شناسي اديان**، ترجمة: عبد الرحيم كواهي، طهران: تبيان، ١٣٧٧ هـ.ش.

٧١ ـ همتي، همايون؛ **رهيافت دين شناسي امام خميني**؛ كيهان فرهنكي، العدد١٣٦ مهر ١٣٧٦ هـ.ش.

٧٢ ـ هوبر، جوديث؛ وديك ترسي؛ **جهان شكفت انكيز مغز**؛ ترجمة: ابراهيم يزدي، طهران: قلم، ١٣٧٢هـ.ش.

٧٣ ـ هيك، جان؛ **فلسفة دين**؛ ترجمة: بهزاد سالكي، طهران: نشر الهدى، ١٣٧٦ هـ. ش.

٧٤ ـ اليادة، ميرجا؛ **دين بجوهي**؛ بهاء الدين خرمشاهي، طهران: وزارت فرهنك وآموزش عالي، ١٣٧٢ هـ.ش.

المصادر الانجليزية

٧٥ - Ayer, A.J., **Language, Truth, And Logic**, New York, Dover Publications American Political Science Association.

٧٦ - Brown, Stuart, Diane Collinson, and Robert Wilkinson. eds. **Biographical Dictionary of Twentieth - Century Philosophers**. London and New York Routledge, ١٩٩٦.

٧٧ - Flew, Antony, and Alasdair Mac Intyre, eds. **New Essays in Philosophical Theology**, London: SCM press, ١٩٥٥.

٧٨ - Hick, John, **Philosophy of Religion**, Prentice Hall, Englewood, New Jesery , ١٩٩٠.

٧٩ - Magee, Bryan, **Modern British Philosophy**. London: Secker & Warburg, ١٩٧١.

٨٠ - Magee, Bryan, **Men of Ideas**, Oxford: Oxford University Press, ١٩٧٨.

٨١ - Murphy, Nancey. **Beyond Liberalism and Fundamentalism, How Modern and Postmodern Philosophy Set the Theological Agenda**. Pennsylvania: Trinity press international, ١٩٩٦.

الفهرس